الباب الثانی

منظور نمائی

obeikandl.com

obeikandl.com

يتناول هذا الباب من الكتاب والذى يعد هو الباب الثانى فيه ذلك الدور الذى يمكن أن يلعبه الأب فى حياة الطفل سواء كان ولدًا أو بنتًا وذلك على مدى أربعة فصول يتناول كل منها جانبًا معينًا من جوانب نمو الطفل ، ويتطرق إلى ذلك الدور الذى يلعبه الأب إيجابًا وسلبًا بالنسبة لنمو الطفل فى هذا الجانب أو ذاك . وليست هذه الجوانب بطبيعة الحال سوى أمثلة فقط لبعض جوانب النمو تم تناول دور الأب فى كل منها من خلال الأسس النظرية ، والبحوث الميدانية التى تم إجراؤها فى مثل هذه الجوانب .

وعلى هذا الأساس يتناول الفصل الخامس دور الأب فى قيام الطفل بعملية الاستدخال الخلقى أى استدخاله للمعايير الخلقية كى تصبح جزءًا من شخصيته يتصرف فى ضوئها ، ويسير بمقتضاها فى مختلف الظروف سواء كان مع الآخرين وفى وسطهم ، أو كان بمفرده ولم يره أحد . ويتناول الفصل السادس دور الأب فى النمو العقلى والأكاديمى للطفل أى أثره على أداء الطفل وكفاءته عقليًا ، ومعرفيًا ، وأكاديميًا بحيث يطالعنا بالعديد من الحقائق الخطيرة فى هذا المضمار والتى ينبغى أن يكون من شأنها أن تجعل كل منا يفكر ألف مرة قبل أن يقرر شيئًا ما فى هذا الخصوص .

أما الفصل السابع فيتناول دور الأب فى نمو الدور الجنسى للطفل ، أى دوره فى قيام الطفل بما يتوقعه منه المجتمع من أدوار بناء على جنسه البيولوجى فضلاً عن نمو هوية الدور الجنسى للطفل ، ومن المعروف أن البعض كان يعتقد أن الأب يوثر فقط على الدور الجنسى للولد ، وليس له نفس التأثير على البنت وهو الأمر الذى كشفت الدراسات الحديثة عن خطئه ، وأوضحت أن للأب تأثيرًا على الدور الجنسى للبنت لا يقل عن تأثيره على الولد حيث أنها تتعلم منه حدود دورها الجنسى الأنثوى . ويتناول الفصل الثامن غياب الأب والطلاق وأثر كل منهما على نمو شخصية الطفل ، وقد تم تخصيص الطلاق من بين صور وأنماط غياب الأب المتعددة والتى قد تتمثل غالبًا فى الطلاق أو الانفصال ، والوفاة ، والسفر سواء داخليًا أو خارجيًا لأنه أكثرها أثرًا ، وأبعدها خطرًا على نمو شخصية الأبناء لأنه أكثرها ضررًا وإن كان هذا الفصل لم يتجاهل أثر الأنماط الأخرى لغياب الأب على الأطفال ذكورًا أو إناثًا . كذلك فهو يتعرض لنمط آخر من هذه الأنماط لا يقوم على الغياب البدنى أو عدم التواجد بدنيًا هو الغياب النفسى للأب ومدى خطورته على شخصية الأبناء بحسب جنسهم البيولوجى حيث أنه لا يقل خطورة عن الأنماط الأخرى لغياب الأب ما لم يزد عنها .

obeikandl.com

الفصل الخامس

دور الأب فى قيام الطفل بالاستدخال الخلقى

مارتن هوفمان

Martin L.Hoffman

obeikandl.com

obeikandl.com

يناقش هذا الفصل ما هو متاح ومعروف حتى الآن عن دور الأب فى استدخال الطفل للمعايير الخلقية . ومن الجدير بالذكر أن المعايير الخلقية المرتبطة بموضوع ما تتعلق بالكيفية التى يسلك بها الفرد إزاء الآخرين كأن يحافظ على مشاعر الآخرين مثلاً ، أو يقول الصدق ، أو يحافظ على وعوده ، أو يخدع الناس ، أو يكذب ، أو يضلل العدالة بتغيير الحقيقة ، أو يسبب الضرر الجسمى المادى للآخرين . وعادة ما نعتبر أن المعايير الخلقية قد تم استدخالها حينما يتصرف الفرد وفقًا لها ويسير بمقتضاها حتى عندما لا يكون هناك أى احتمال للقبض عليه أو عقابه عندما يخالفها .

وقبل أن نقوم بتقييم دور الأب فى عملية الاستدخال الخلقى التى يقوم بها الطفل فإن علينا أن نتناول أبعاد هذا الدور ، إضافة إلى الميكانيزمات التى يحدث الاستدخال الخلقى عن طريقها ، ثم نبحث بعد ذلك عن إمكانية وجود علاقات بين هذين الجانبين .

أبعاد دور الأب :

يتضمن الدور الذى يمكن أن يقوم به الوالد أبًا كان أو أمًا أربعة أبعاد أساسية على الأقل يمكن لكل منها أن يساهم فى النمو الخلقى للطفل . ويمكن استعراض ذلك على النحو التالى :

أولاً : يمكن للوالد عن طريق الكلام أو الفعل أن يكون نموذجًا يحتذى الطفل به .

ثانيًا : يقوم الوالد بتهذيب الطفل ويضع النظام له فيشجعه على القيام بأنماط سلوكية معينة ، ويثبطه عن القيام بأنماط أخرى ، ويقدم له كل ما يلزم من تفسيرات .

ثالثًا : يعتبر الوالد مصدرًا أساسيًّا لتلبية حاجات الطفل الانفعالية .

رابعًا : يعتبر الوالد بمثابة حلقة الوصل بين الطفل والمجتمع الأكبر وذلك بطريقتين :

١ - يقوم الوالد بتمثيل متطلبات المجتمع وتوقعاته للطفل وجعلها حقيقة أمامه فى المنزل.

٢ - يستطيع الوالد بمقتضى مكانته فى المجتمع الأكبر أن يعطى للطفل وضعًا معينًا يصبح له أهميته الخاصة عندما يبدأ الطفل فى التفكير فى العالم الخارجى ويحدد الموقع الذى يشغله فى هذا العالم .

وفيما يتعلق بدور الأب على وجه الخصوص فقد وجدنا أن الصياغة النظرية التى أعدها كل من بارسونز وبيلز (١٩٥٥) Parsons & Bales والتى قام جونسون (١٩٦٣) Johnson بمراجعتها وتمحيصها لها أهميتها فى هذا الصدد . ومن الملاحظ أن الأم وفقًا لهذا النموذج تقوم بدور « تعبيرى » رئيسى يتمثل فى إمداد الأسرة بالعاطفة والإبقاء على تناسقها وانسجامها ، وهى بذلك تعتبر العنصر الأساسى فى الإشراف على البيت والأولاد ، ووضع النظام لهم ، كما تعتبر نموذجًا يحتذى الطفل به وخاصة فى السنوات الأولى من حياته . وتقوم الأم بهذا الدور بالنسبة للأولاد والبنات على حد سواء وذلك بدرجة متساوية ، أما الأب فيصبح من الأكثر احتمالاً أن يكون هو الشخص الذى يمثل المعايير والاتجاهات الوسيلية الأكبر للمجتمع فى المنزل ، كما يستمد الطفل مكانته الاجتماعية من وضع الأب فى المجتمع الخارجى . كذلك يمكن تصوير الأب على أنه يمثل استمرارًا للنمط السلوكى التعبيرى الذى تقوم به الأم وذلك فى علاقته مع البنات . أما بالنسبة لعلاقته مع البنين فإن الوضع يختلف إذ لا يتصرف بهذا الشكل التعبيرى إلا عندما يكبر الولد فى السن فيصبح فى ذلك الوقت هو حلقة الوصل بين ابنه وبين المعايير الوسيلية فى تصرفاته فيقوم على سبيل المثال بجعل المكافآت التى يقدمها لأطفاله مشروطة بالأداء الذى يؤديه هؤلاء الأطفال .

وبطبيعة الحال فإن الأثر الكلى لهذا التقسيم الوالدى للعمل يهدف إلى إعداد البنت لدورها التعبيرى المستقبلى فى مرحلة الرشد ولكى تصبح أيضًا زوجة وأمًا ، وإلى إعداد الولد هو الآخر ليقوم بأداء دوره فى العالم الوسيلى للعمل ودوره التعبيرى كزوج وأب . وعلى الرغم من إجراء هذا التقسيم خصيصًا للمجتمع التقليدى فإنه يمكن تعديل هذا النموذج ليساير التغيرات الاجتماعية السائدة . ومع زيادة عدد النساء العاملات - وإن كانت الأم العاملة قد أصبحت وكأنها هى المعيار الآن - فإننا نتوقع أن تتم تنشئة البنات وإعدادهن لتحقيق النجاح فى كلا الدورين الوسيلى والتعبيرى معًا ، وبالتالى ستصبح الأمهات قائمات على التنشئة الاجتماعية الوسيلية والتعبيرية معًا (Hoffman, 1977) ، وإذا كان الدور الذكرى قد أصبح تعبيريًا بدرجة أكبر فإن دور الأب قد يتضمن بناء على ذلك درجة أكبر من التنشئة الاجتماعية التعبيرية قياسًا بما كان عليه من قبل .

ميكانيزمات الاستدخال الخلقى :

على الرغم من أن الاستدخال الخلقى كان مثار اهتمام فى العديد من الدراسات إلا أن محاولة دراسة الميكانيزمات المختلفة المسئولة عن التصور فى هذا الصدد لم تتم إلا حديثًا. وفى محاولتنا التى أجريناها فى هذا الموضوع اقترحنا أربعة ميكانيزمات لذلك نعرض فيما يلى تلخيصًا لها :

أولاً : إثارة قلق الانحراف الخلقى :

يقوم الفرد خلال الفترة الطويلة التى تتم فيها تنشئته اجتماعيًا بارتكاب عدد من الأفعال المنحرفة فيتم بالتالى عقابه على هذه الأفعال ، ونتيجة لذلك فقد تصبح حالات القلق المؤلم مرتبطة بهذه الأفعال بمعنى أنها ترتبط بالإشارات الحسية والإدراكية التى تنتج عن هذه الأفعال ، إضافة إلى الإشارات المعرفية المرتبطة بتوقع القيام بها . ويمكن أن نتجنب هذا القلق الناتج عن الانحراف الذى حدث بالكف عن القيام بمثل هذه الأفعال حتى وإن لم يرنا أى إنسان أثناء القيام بها . وبذلك يسلك الفرد بطريقة مستدخلة على الرغم من أنه يستجيب فى الواقع فى إطار من الخوف الذاتى من عقوبات خارجية . ومع ذلك فإن القلق قد يهدأ ويصبح مع مرور الوقت مستقلاً عن المخاوف الشعورية من أن يكتشفه فرد ما ومن ثم يتم عقابه . وعندما يحدث ذلك يتم النظر إلى الكف الذى يحدث للفعل المنحرف على أنه شكل أولى للاستدخال .

ومن الجدير بالذكر أن بعض أصحاب نظريات التعلم الاجتماعى أمثال ماورار (١٩٦٠) Mowrer وأرونفريد وريبر (١٩٦٥) Aronfreed & Reber هم الذين اقترحوا هذا الميكانيزم فى البداية . ويمكن أيضًا أن يكون هذا الميكانيزم هو الميكانيزم الرئيسى فى ما يطلق عليه فرويد Freud عملية تكوين الأنا الأعلى إذ يرى فرويد أن الأفعال المنحرفة تنبع أصلاً من الحفزات العدوانية والغريزية ، وبسبب القلق الذى تحدثه فإن الطفل يقوم بكبت هذه الحفزات .

ثانيًا : التوحد :

طبقًا لوجهه نظر فرويد يقوم الطفل بالتوحد مع الآباء ويتبنى القواعد التى يضعونها ويلتزم بالنواهى التى تصدر عنهم فيستطيع بالتالى أن يكبت حفزاته الغريزية والعدوانية ،

وأن يتجنب العقاب ، وأن ينتزع العاطفة المستمرة منهم . ويعكس ذلك بطبيعة الحال معايير المجتمع الأكبر إلى درجة كبيرة . كما يستطيع الأطفال أيضًا أن يتبنوا قدرة والديهما فى عقاب أنفسهم عندما يخرجون على قاعدة معينة ، أو عندما يتم إغراؤهم على فعل ذلك ، وهم بهذا يقومون بتحويل عدوانهم الذى كان موجهًا فى الأصل للوالد إلى أنفسهم . ويمر الأطفال بهذا العقاب الذاتى عند إحساسهم بمشاعر الذنب التى تصبح مفزعة بسبب حدتها وتشابهها مع حالات القلق حول العقاب والحرمان التى مروا بها سابقًا . ولهذا يحاول الأطفال أن يتجنبوا مشاعر الذنب فيلتزمون فى سلوكياتهم بما منعهم والداهم من القيام به ، ويتبعون ميكانيزمات دفاعية مختلفة ضد الإدراك الشعورى للحفزات التى تثيرهم على السلوك بطريقة مضادة . ومن الجدير بالذكر أن عمليات الاستدخال الخلقى الأساسية هذه يمكن للطفل فى الخامسة أو السادسة من عمره القيام بها ، وأن يعمل وفقًا لها ، ويرسخها خلال مرحلة الكمون التى تتمثل فى السنوات الباقية من طفولته والتى تتميز بالهدوء النسبى . وبذلك نجد أن الاستدخال الخلقى يحدث فى وقت مبكر من حياة الفرد قبل أن يستطيع الطفل القيام بالتجهيز المعرفى المعقد للمعلومات . وتصبح المعايير الخلقية بالتالى جزءًا من نسق لا شعورى للسيطرة على الحفزات والتحكم فيها يتميز بالصرامة ، وغالبًا ما يكون قاسيًا وإن كان لا يزال هشًا .

وفيما يتعلق بتفاصيل هذه العملية يتضح أن القلق موضوع الاهتمام بالنسبة للبنين هو قلق الخصاء ، ويتمثل الشخص الذى يتوحدن معه فى الأب . وبذلك يعتبر الأب وسيطًا أساسيًا مسئولاً عن التنشئة الاجتماعية الخلقية بالنسبة للبنين . أما بالنسبة للبنات فهناك بعض الاختلافات حيث يكون القلق بالنسبة لهن هو القلق حول فقد حب الأم ، وتصبح الأم هى الشخص الأساسى الذى يتوحدن معه ، كما تصبح هى الوسيط الأساسى المسئول عن تنشئتهن الاجتماعية الخلقية . وعلاوة على ذلك فإن هذه العملية برمتها تحدث بشكل أكثر استقلالاً ، وكنتيجة لذلك تعتبر البنات أقل استدخالاً خلقيًا من البنين .

وقد حاول أصحاب نظريات التعلم الاجتماعى أن يختصروا مفهوم التوحد إلى ذلك المفهوم الأكثر اخضاعًا للدراسة ، وهو مفهوم التقليد أى تقليد النماذج التى تسلك بطريقة خلقية أو التى يتم عقابها على سلوكها بطريقة منحرفة (e.g. Stein, 1967; Walters & Parke, 1964) . وفى حالة تعرض الطفل لنماذج

تسلك بطريقة خلقية يصبح من المفترض أن يتم تعلم الطفل عن طريق ملاحظته لسلوك النموذج ، ويحاول بناء على ذلك أن يسلك مثل النموذج فى مواقف مستقبلية مماثلة لا يكون النموذج موجودًا أمامه فيها . أما إذا تعرض الطفل لنموذج منحرف يتم عقابه يصبح من المفترض أن يعاقب الطفل بالنيابة أو يكون من المتوقع أن يتلقى نفس مصير النموذج ، وبالتالى يتجنب السلوك بهذه الطريقة المنحرفة . ومن الملاحظ أن هذه الحالة الأخيرة لا ترتبط بالاستدخال الخلقى نظرًا لأن الطفل قد يستخدم العقاب الذى حل بالنموذج على أنه مجرد إشارة إلى ما يمكن أن تكون عليه العواقب الخارجية للانحراف .

ثالثًا : إثارة التعاطف والشعور بالذنب :

أشرنا من قبل (Hoffman, 1975d, 1977b) إلى أن قدرة الفرد على التعاطف قد ترتبط بإدراكه المعرفى للآخرين ، وأن الآخرين يتأثرون بسلوك الفرد ، وينتج عن ذلك إثارة الدافع إلى الاهتمام برفاهية الآخرين والذى إما أن يكون ألمًا تعاطفيًا أو شعورًا بالذنب . وعلى خلاف قلق الانحراف فإن هذا الدافع ينبع مباشرة من مصادر الفرد الداخلية وليس من اهتماماته الخارجية التى تتعلق بإمكانية التعرف عليه عند ارتكابه للمخالفات أو اكتشافه وعقابه . وقد رأينا من خلال الدراسة التى قمنا بإجرائها (Hoffman, 1977a) أن خبرة التنشئة الاجتماعية التى تساهم بدرجة كبيرة فى ذلك هى تعرض الطفل لأساليب تهذيبية مؤثرة يقوم بتطبيقها شخص ما يمد الطفل بالعاطفة الملائمة . وتساعد تلك الأساليب فى مثل هذه الظروف على تعزيز الخبرة الفورية المتعلقة بكل من التعاطف والشعور بإلحاق الأذى بشخص آخر . وقد يزيد أخذ الدور التبادلى وخصوصًا بين الأقران من حساسية الطفل للحالات الداخلية التى أثارها سلوك الفرد لدى اللآخرين فوضع الطفل لنفسه فى مكان شخص آخر يساعده على أن يتعرف على مشاعر هذه الشخص الآخر .

ويرجع سبب تركيز الاهتمام على النظام والتهذيب إلى أنه إذا ما أردنا للمعيار الخلقى أن يؤثر على سلوك الفرد فلا يجب أن يتم استدخال هذا المعيار فحسب ، بل يجب أيضًا أن يكون قادرًا على أن يثبت جدارته أمام أى دافع ذاتى أنانى يثار فى ذلك الموقف . وهذا يعنى أنه يجب أيضًا أن يكون للمعيار الخلقى قوة دافعة فيصبح الصراع الخلقى الأساسى إذن محصورًا بين رغبة الفرد الأنانية وبين تلك الأوامر التى يمليها ذلك المعيار الخلقى

عليه ، أى بين الدافع الذاتى الأنانى وبين الدافع الخلقى . كما يصبح بالتالى السؤال المتعلق بالجانب النمائى فى هذا الإطار والذى ينبغى إثارته هنا هو : (**ما هى الخبرات الماضية التى يثيرها تنشيط مثل هذا المعيار الخلقى ؟**) ومن ثم تصبح الإجابة الأكثر معقولية من وجهة نظرنا لهذا السؤال هى خبرات الطفل الماضية التى وجد نفسه فيها يواجه صراعًا مماثلاً ، أى بين الرغبات الشخصية وبين المتطلبات التى يفرضها ذلك المعيار . وبطبيعة الحال كان المعيار الخلقى فى ذلك الوقت خارجيًا بالنسبة للطفل ولكنه مع ذلك يمثل جزءًا لا يتجزأ من بعض أساليب التهذيب التى يستخدمها الوالد . وعلى الرغم من أن المعلومات التى تتعلق بالمعايير الخلقية من الممكن أن تكون قد انقلبت إلى الأطفال عن طريق كلام الآباء وأفعالهم فى غير مواقف المواجهات التهذيبية فإن الاتصال بين المعيار الخلقى وبين الرغبات الذاتية الأنانية للطفل وسلوكه المتطور أو المتقدم باستمرار لا يحدث إلا فى مواقف المواجهات التهذيبية فقط ، وهى المواقف التى أكسبته أولى خبراته والتى توقع من خلالها أن يتحكم فى أفعاله المنحرفة وأن يسيطر عليها وذلك لأسباب ترجع إلى الاهتمام النشط بذلك المعيار .

رابعًا : الصراع الخلقى المعرفى وتحقيق التوازن :

من الممكن أن يقوم الأفراد معرفيًا بتجهيز المعلومات التى تختلف مع مفاهيمهم الخلقية السابقة مما يساعدهم على أن يقوموا بتكوين آراء جديدة تعمل على حل هذا التناقض . وعندما يفعلون ذلك يصبح من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهم أن يشعروا بالتزامات خاصة تجاه المفاهيم الخلقية التى اندمجوا بفاعلية فى تكوينها ، وبهذه الطريقة يتم استدخال تلك المفاهيم . ومع أن كولبرج (١٩٦٩) Kohlberg قد قام بتقديم هذا الميكانيزم فى نظريته النمائية المعرفية عن النمو الخلقى فإنه يفترض أن هذا التناقض يحدث بين العناصر «البنائية» فى الصور العقلية الخلقية التى يكونها الفرد ، وأن المنظور الجديد للشخص الناتج عن ذلك يسير فى تتابع لا يختلف ، إلا أن نتائج الدراسات والبحوث التى تم إجراؤها فى هذا المجال لم تدعم أيًا من هذين الافتراضين . ويبدو من المعقول جدًا بالنسبة لنا أن نفترض أن العملية المعرفية التى نحن بصددها الآن لا تثار من خلال الصراع بين الأبنية أو التراكيب العقلية ، ولكن الصراع بين المعتقد الخلقى للفرد والواقع الاجتماعى الذى أدركه حديثًا هو الذى يثيرها . وقد افترض العديد من الباحثين

وجود مثل هذا الصراع بين الأخلاقيات وبين الواقع وذلك بغرض توفير المثير اللازم للنضج الخلقى خلال مرحلة المراهقة (Hoffman, 1980) إذ يرى إريكسون (١٩٧٠) Erikson على سبيل المثال أنه مع وجود العديد من الأدلة والبراهين فإن المراهق قد لا تقنعه المعتقدات الخلقية التى اكتسبها فى مرحلة الطفولة ، وقد يثار بقوة ليبحث عن معتقد خلقى جديد أو أيديولوجية خلقية معينة . وبقدر الفاعلية التى يكوّن بها الطفل مثل هذه الأيديولوجية الخلقية ويشعر بارتباطه الشخصى بها ويحاول أن يسلك وفقًا لها يقال إنه قد استدخل تلك الأيديولوجية .

ومن بين هذه الميكانيزمات الأربعة السابقة نلاحظ أن واحدًا منها فقط يرتبط غريزيًا بأحد الوالدين أو بوالد معين ، ويتمثل ذلك الميكانيزم فى التوحد فتصبح له مساهمته الواضحة فى الاستدخال الخلقى حيث من المتوقع أن يصبح للآباء أهمية خاصة بالنسبة للأولاد بينما تقل هذه الأهمية بالنسبة للبنات . أما فيما يتعلق بتكوين علاقات ارتباطية بين القلق والأفعال المنحرفة التى تصدر عن الطفل أو بين التعاطف أو الشعور بالذنب الذى يرتكز على التعاطف وبين الأفعال المنحرفة فليس هناك شيئًا جوهريًا يتعلق بهذه الميكانيزمات يجعلها تدخل فى دائرة اختصاص هذا الوالد أو ذاك . ومع ذلك فنحن نعلم من خلال نتائج الدراسات الإمبيريقية التى تم إجراؤها فى هذا الصدد أن الأب لا يفعل سوى القليل فقط فيما يتعلق بتهذيب الطفل فى السنوات الأولى من عمر هذا الطفل ولدًا كان أم بنتًا . ولهذا السبب قد نتوقع أن تقل أهمية الآباء قياسًا بالأمهات فى ذلك الوقت من عمر الطفل ، كما أنه ليس من الأسباب ما يجعلنا نعتقد أنه من المحتمل بالنسبة لأى من الوالدين أن يقوم بتوفير الفرص اللازمة لحل الصراعات الخلقية المعرفية التى يتعرض لها الأطفال . إلا أن هذا الميكانيزم فى واقع الأمر قد يجد ضالته خارج المنزل حيث يكون وسطاء التنشئة الاجتماعية فى هذه الحالة هم جماعات الأقران أو المعلمين وليس الآباء . ومن الملاحظ أن تحليلنا المختصر هذا عن أبعاد دور الأب والميكانيزمات المقترحة للاستدخال الخلقى سوف يؤدى بنا إلى توقع أن تكون للأم أهمية كبيرة فى الاستدخال الخلقى من جانب الأطفال من الجنسين وأن يكون للأب أهمية إضافية فقط بالنسبة للأولاد .

وإن جاز لنا أن نعتبر ما سبق بمثابة مقدمة لهذا الموضوع فلنلقى نظرة الآن على ما هو متاح من البيانات المختلفة بادئين بتلك التى تتناول الآثار التى يخلفها غياب الأب بالنسبة للأطفال من الجنسين .

غياب الأب :

تم إجراء العديد من الدراسات عن آثار غياب الأب على النمو الخلقى للطفل وعدوانيته ، إلا أن دراستين منها فقط هما اللتين تم فيهما تثبيت متغيرات لها أهميتها فى هذا الصدد كالطبقة الاجتماعية ، والعمر الزمنى ، ونسبة الذكاء ، وحجم الأسرة . وفى إحدى هاتين الدراستين وهى التى قمنا بإجرائها (Hoffman, 1971a) على تلاميذ الصف السابع من الأطفال البيض فى مدينة ديترويت Detroit تم استخدام العديد من الدلائل الخلقية التى يشتق كل منها من جانب مختلف فى التكوين الخلقى للطفل ، فكانت ثلاثة من هذه الدلائل ترتبط بالدرجة التى تم بها للطفل استدخال التوجه الخلقى ، وهى حدة الشعور بالذنب الذى يلى ارتكاب المخالفات ، واستخدام أحكام خلقية عن الآخرين ترتكز على مبادئ خلقية وليس اهتمامات خارجية كاحتمال اكتشاف الفرد وعقابه مثلاً ، وميل الطفل لتقبل مسئوليته عن الأخطاء التى يرتكبها. أما الدلائل الخلقية الأخرى التى تم استخدامها فترتبط بمدى إظهار الطفل اعتبار من جانبه للآخرين ، واهتمام بهم ، وتمثله للقواعد ، وتعبيره عن تأييده الشديد للقيم الخلقية الاجتماعية ، ومدى عدوانيته سواء المادية أو اللفظية. وقد تم قياس مدى شعور الطفل بالذنب من خلال استجاباته لبنود تكمله القصص التى تضمنها الاختبار المستخدم ، والحكم الخلقى المستدخل عن طريق بعض القصص المعدلة التى تمت صياغتها على غرار قصص كولبرج الخلقية . أما اعتبار الآخرين فتم قياسه عن طريق تقديرات الأقران . فى حين ارتكزت الدلائل الخلقية الباقية على تقارير المعلمين التى توضح مدى مشاركة الطفل فى الأنشطة المختلفة موضوع هذه التقارير . وكشفت النتائج عن حصول الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم على درجات منخفضة فى كل الدلائل الخلقية . وكانت درجاتهم أكثر انخفاضًا وذلك بشكل ذى دلالة فى الحكم الخلقى المستدخل والشعور بالذنب وتقبل اللوم والقيم الخلقية الاجتماعية والامتثال للقواعد . كما دلت التقارير الواردة من معلميهم أيضًا على زيادة عدوانيتهم بشكل دال عن أقرانهم الذى لم يغب عنهم آباؤهم . أما بالنسبة للبنات فلم توجد فروق دالة بينهن ترجع إلى غياب الأب أو وجوده .

وقد أجريت الدراسة الثانية على البنين بالصفين الخامس والسادس وتم فيها استخدام العديد من الدلائل الخلقية أيضًا (Santrock, 1975) . وتضمنت الأدوات المستخدمة عبارات تكملة القصص الدالة على الشعور بالذنب ، وقصصًا خلقية على نفس نمط قصص كولبرج ولكنها ليست نفس القصص المستخدمة فى دراسة هوفمان التى عرضنا لها توًا ، إضافة إلى مقاييس عملية عن مقاومة الإغراء والمشاركة . وكان الدليل الخلقى الوحيد فى هذه الدراسة والذى كانت النتائج التى كشف عنها ذات دلالة إحصائية هو ذلك الدليل الذى يرتبط بتقديرات المعلمين حيث رأوا أن الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم كانوا أقل تطورًا فى نموهم الخلقى من أقرانهم الذين لم يغب آباؤهم عنهم . وقد اشتق هذا الدليل من نتائج التحليل العاملى لتقديرات المعلمين لعدد من المتغيرات مثل الشعور بالذنب ، واعتبار الآخرين ، وتقبل اللوم ، ونقد الذات ، والانضباط الذاتى ، والثقة . أما باقى الدلائل الخلقية الأخرى فلم تكشف النتائج عن وجود فروق دالة تتعلق بها .

ويرى سانتروك Santrock أن اختلاف نتائج هاتين الدراستين قد يرجع إلى الفروق الثقافية بين عينتى الدراستين حيث كانت إحداهما من ضاحية وست فرجينيا West Virginia فى حين كانت الثانية من مدينة كبيرة هى ديترويت Detroit إلا أننا نرى أن هناك سببًا آخر لاختلاف هذه النتائج يتمثل فى وجود فرق جوهرى فى التعريف الإجرائى لغياب الأب ووجود الأب فى هاتين الدراستين . ففى دراسة هوفمان Hoffman تم تعريف المجموعة التى يغيب عنها الأب بأن أحدًا الذكور الراشدين لم يعش مع أى من أفرادها بالمنزل لمدة لا تقل عن ستة أشهر قبل إجراء الدراسة . أما فى دراسة سانتروك Santrock فقد تم تحديد غياب الأب بدقة أكثر فكان يعنى أن الأب إما أن يكون قد مات حينما كان عمر الطفل يتراوح بين ست إلى عشر سنوات ، أو يكون قد تم الطلاق بينه وبين الأم فى وقت ما من السنوات العشر الأولى من عمر الطفل . أما المجموعة التى لم يغب الأب عن أفرادها فقد حددها سانتروك بطريقة محدودة للغاية حيث رأى أن الأب يجب ألا يكون قد غاب عن المنزل أكثر من ستة شهور فى أى وقت من الأوقات . ويتضح من هذا التعريف أنه مع أن العديد من الآباء ربما يكونوا قد غابوا كثيرًا من الوقت عن أسرهم فإنهم مع ذلك لا يعتبرون غائبين لأنهم لم يتجاوزوا حاجز الشهور الستة التى حددها كمعيار لغياب الأب

عن المنزل . أما فى دراسة هوفمان فلم يكن الأب فى المجموعة التى لم يغب عنها الأب موجودًا فقط ، بل لم يكن له بديل بالنسبة للطفل ، كما أنه إلى جانب ذلك لم يغب عن المنزل أيضًا . وبالتالى فإن العديد من الأطفال الذين لم يغب عنهم آباؤهم والذين شملتهم دراسة سانتروك ربما لم يتوفر لأسرهم الثبات والتماسك والاتصال المستمر بالأب لمدة طويلة تماثل أقرانهم فى دراسة هوفمان . كما أن الفروق بين المجموعة التى يغيب الأب عن أفرادها وتلك التى لم يغب الأب عن أفرادها فى دراسة سانتروك يعتبر أقل وضوحًا إذًا ما قورن بالفرق الموجود بين المجموعتين المماثلتين فى دراسة هوفمان ، وربما يرجع اختلاف نتائج الدراستين إلى هذا الفرق .

كذلك فربما لا يوجد هناك تركيز صريح على الفرق بين نتائج هاتين الدراستين ، إلا أنه على الرغم من وجود فروق واضحة بينهما فى العينة وفى التصميم فقد كانت الفروق التى تم الحصول عليها فى كل منهما فى الاتجاه المتوقع . وعلاوة على ذلك فإن هذه النتائج تلقى تأكيدًا لها من النتائج التى توصلت إليها دراسات أخرى أقل منها دقة ، وقد أشرنا إليها سابقًا . ومن الملاحظ أن غياب الأب فى هذه الدراسات والتى رجع إليها كل من هوفمان (١٩٧١) Hoffman وسانتروك (١٩٧٥) Santrock قد ارتبط بالعدوان المستمر من جانب البنين ، إلا أنه لم يرتبط بدرجاتهم على مقياس مقاومة الإغراء كما يتضح من دراسة ممبوير وجراى (١٩٧٠) Mumbauer & Gray علمًا بأنه قد تم استخدام هذا المقياس كدليل خلقى فى دراسات أخرى كدراسة هوفمان (١٩٧٦) . ويبدو من المعقول بالنسبة لنا أن نقرر أن غياب الأب عن المنزل له أثره السلبى على مستوى النمو الخلقى للبنين حيث من المحتمل بالنسبة للبنين الذين يغيب عنهم آباؤهم أن يصبحوا أكثر عدوانية وأقل استدخالاً للمعايير الخلقية من أقرانهم الذين لم يغب آباؤهم عنهم .

ومن ناحية أخرى يتضح لنا أن معرفتنا بأن غياب الأب عن المنزل يرتبط بالانخفاض النسبى لمعدل الاستدخال الخلقى من جانب الطفل لن تكون بطبيعة الحال مثل معرفتنا بالعملية الأساسية التى تكمن خلف هذا الأثر وتسببه . وقد يعكس انخفاض معدل الاستدخال الخلقى لدى البنين الذين يغيب عنهم آباؤهم الصراعات الموجودة فى المنزل أو الضغوط التى يعانى منها هؤلاء البنون فى المنزل وليس آثار غياب الأب . كما قد يعكس فى حالة الطلاق تلك الصراعات أو الضغوط التى يعانى منها

الأبناء والتى عادة ما تسبق غياب الأب عن المنزل . ولكن إذا ما افترضنا أن انخفاض معدل الاستدخال الخلقى لدى الطفل يعتبر نتيجة لغياب الأب فإننا قد نتساءل عما يمكن أن يجعل لغياب الأب هذه النتيجة . ولتفسير ذلك نجد أنه لم يكن هناك مجال للبحث فى التأثير المحتمل لانخفاض المستوى العقلى للطفل أو انخفاض المستوى الاقتصادى الاجتماعى للأسرة والذى غالبًا ما يرتبط بغياب الأب كما ترى شين (١٩٧٨) Shinn على سبيل المثال حيث تم تثبيت هذين المتغيرين فى كلتا الدراستين اللتين تناولناهما بالتفصيل . إلا أن هناك تفسيرًا آخر قد يتبادر مباشرة إلى الذهن وهو أن فقد تأثير الأب كوسيط فى عملية التنشئة الاجتماعية هو العامل الهام فى هذا الصدد . وكما أوضحنا من قبل فإن الدور الذى يلعبه الأب كوسيط فى عملية التنشئة الاجتماعية يعتبر دورًا معقدًا حيث يعتبر الأب من ناحية نموذجًا يحتذى به الطفل ، كما يقوم من ناحية أخرى على تهذيب الطفل ، ويلبى له من ناحية ثالثة حاجاته الوجدانية . ولكل من هذه الجوانب إسهامًا فى عملية الاستدخال الخلقى التى يقوم الطفل بها كما يتضح من النقاط التالية :

التهذيب والوجدان :

هناك العديد من الدراسات التى تتناول أثر التهذيب والوجدان على الاستدخال الخلقى للطفل . وتكشف مثل هذه الدراسات عن أنه من الأكثر احتمالاً للاستخدام المستمر للتهذيب والتعبير المستمر عن الوجدان فى غير المواجهات أو المواقف التى تم فيها التهذيب أن يدعم الاستدخال الخلقى لدى الطفل والشعور المرتفع نسبيًا بالذنب من جانبه حيث غالبًا ما يرتبط التوجه الخلقى الذى يرتكز على الخوف من توقيع الجزاءات الخارجية وانخفاض الشعور بالذنب بالاستخدام المستمر لأسلوب التهذيب الذى يركز على توكيد القوة ، وبمستوى منخفض نسبيًا من العاطفة أو الوجدان .

وقد كانت النتائج التى تم التوصل إليها واضحة تمامًا فيما يتعلق بالأمهات ، أما فى المقابل فلم تتضح سوى علاقات قليلة جدًا ذات دلالة فيما يتعلق بالآباء ، كما لم يوجد نمط واضح لهذه العلاقات فيما بينهم . أضف إلى ذلك أنه توجد هناك أدلة تؤكد على أن الأم هى الشخص الأساسى الذى يقوم بعملية التهذيب هذه ، وأنه إذا كانت هناك آثار للأب فى عملية التهذيب فإنها قد تعتبر شيئًا عابرًا يتم إلغاؤه على المدى الطويل عن طريق النمط الذى تتبعه الأم فى عملية التهذيب وإحاطة الطفل بالعاطفة أو الوجدان . وعلى أى حال لا يبدو أن آثار غياب الأب ترجع إلى غياب دور الأب كقائم على عملية التهذيب .

التوحد مع الوالد :

طبقًا لوجهة النظر التى تتبناها نظرية التحليل النفسى فيما يتعلق بالتوحد والتى عرضنا ملخصًا لها من قبل يتضح لنا وجود نمطين من التوقعات حول هذا الموضوع يتمثل أحدهما فى أنه إذا كان يتم اكتساب الخصائص الخلقية من خلال عملية التوحد فيجب أن يكون هناك تناسق بين هذه الخصائص التى من أهمها الأحكام الخلقية ومقاومة الإغراء والاستجابات التالية لارتكاب المخالفات كالشعور بالذنب مثلاً . أما الثانى فيتمثل فى أنه إذا كان الوعى الخلقى يعتبر هو ناتج عملية التوحد فإنه يجب أن يرتبط بالأساليب التى يتبعها الوالدان فى عملية تهذيب الطفل بطرق يمكن التنبؤ بها من خلال النظرية ، أى يجب أن يرتبط إيجابًا بسحب الحب . إلا أن نتائج الدراسات لم تدعم هذين النمطين من التوقعات حيث كانت الارتباطات التى تم التوصل إليها بين هذه الخصائص وبعضها البعض منخفضة بشكل عام (Hoffman, 1970b; Mischel, 1970) . كما لم يتضح وجود ارتباط بشكل ثابت بين هذه الخصائص الخلقية وسحب الحب (Hoffman, 1970) .

ونظرًا لأن الأبحاث التى تتناول كلا النمطين تفترض أن التوحد يعتبر عملية أحادية أى أن الطفل يتبنى كل الخصائص الوالدية وتظهر فى سلوكه ، فإن النتائج التى تم التوصل إليها تلقى بظلال من الشك على فكرة العملية الأحادية هذه . ومن الصعب مع ذلك أن نعتقد أن التوحد لا يلعب دورًا فى النمو الخلقى للطفل طالما أن الأب يظل موجودًا على الدوام خلال السنوات المبكرة من عمر الطفل ولا يغيب عنه ، ويوفر له النموذج الأساسى للمعايير الاجتماعية . ويبدو من المعقول جدًا أن نفترض أن التوحد يلعب دورًا هامًا على الرغم من أنه قد لا يكون دورًا شاملاً . إلا أن الدراسات التى تتناول هذا الفرض تحتاج إلى تقييم مستقل لدفع الطفل إلى التوحد مع الوالد ، وللأبعاد المختلفة للتكوين الخلقى للطفل ، وهو ما لم يحدث سوى فى دراسة واحدة فقط (Hoffman, 1971b) .

وكانت فروض هذه الدراسة تدور حول إثارة الأطفال لمحاكاة والديهم وخاصة الوالد من نفس الجنس . ومع ذلك فإن الجهود التى يبذلها الأطفال فى هذا الصدد تعتبر محدودة وذلك لعدة أسباب ، يتمثل أولها فى أنهم قد يفتقرون إلى المهارات المعرفية كالقدرة على تصنيف واستنباط الحالات الداخلية من السلوك الظاهرى لشخص آخر ، وأن

يضعوا أنفسهم مكان هذا الشخص الآخر . أما السبب الثانى فيتمثل فى أن الخصائص الوالدية لا تنتقل إليهم بشكل متساو . ففى الوقت الذى غالبًا ما قد يتم التعبير فيه صراحة عن القيم الخلقية والأحكام التى تتعلق بالآخرين فإن حالات داخلية معينة نادرًا ما يتم نقلها فى وجود الطفل ، ويستثنى من ذلك ما يعرف بالبديل المؤقت كألا يقوم الآباء مثلاً بتقييم سلوكهم بشكل ناقد ، ولا يعبرون عن شعورهم بالذنب . وبناء على ذلك فلا يعطون للطفل المعلومات اللازمة لربط هذه المشاعر بأنماط سلوكية معينة .

وهناك عامل آخر يؤثر فى قوة دافعية التوحد ، وغالبًا ما نحتاج إليه للتغلب على الميل الطبيعى لتقرير حد أقصى للسعادة وحد أدنى للألم . وإذا كان الأمر كذلك فلماذا يجب إذن على الطفل قبل حدوث عملية الاستدخال الخلقى أن يتبنى كل الخصائص الوالدية التى تقتضى كف الحفزات وأشكال أخرى للتضحية بالذات أو الألم . وتعالج نظرية التحليل النفسى هذه المشكلة عن طريق التسليم بتجنب حالة القلق ذات الألم الشديد المتعلق بالخصاء أو فقد الحب كأساس دافعى هام لعملية التوحد . ونظرًا لارتباط التوحد كموضوع بالبقاء فإن الطفل يناضل فى سبيل تبنى كل الخصائص الوالدية بما فيها القدرة على نقد الذات والعقاب . وتبدو مثل هذه الدافعية الحادة مقبولة وخاصة من جانب الطفل الصغير ، ولكن يبدو من المحتمل أيضًا فيما يتعلق بها أن يكون لها أثر معطل للعمليات المعرفية مما يؤدى إلى إعاقة عملية تبنى الطفل للحالات الداخلية للوالد وغيرها من الخصائص الأخرى التى تتطلب وجود حد أدنى من الأداء المعرفى على الأقل . وعلى الرغم من أن الطفل يكون مدفوعًا لاكتساب الخصائص الوالدية التى تفضى إلى الألم فإنه قد لا يكون قادرًا على القيام بذلك . وعلى أى حال هناك أدلة تعارض هذا الرأى ، وكما لاحظنا من قبل فإن استخدام أسلوب التهذيب الذى يقوم على سحب الحب لا يرتبط بمستوى النمو الخلقى للطفل . وتركز النظريات الأخرى غير نظريات التحليل النفسى بشدة على الدوافع الإيجابية للتوحد كالحصول على الموافقة مثلاً أو اكتساب المهارات الوالدية وغيرها من المصادر التى تساعد فى الوصول إلى الإشباع الذاتى (e.g. Kagan, 1958k; Whiting, 1960) . وبهذا لا يبدو أن الطفل يكون مؤهلاً تأهيلاً مناسبًا للتعبير عن تبنى الحالات المؤلمة ، وربما تستثنى من ذلك المجتمعات التى تثيب الطفل على ذلك بدرجة أكبر مما يحدث فى المجتمع الأمريكى .

وإذا ما اتبعنا هذا الخط من التفكير فإننا نتوقع أن الأطفال الذين يكونون مدفوعين إلى التوحد مع والديهم سوف يكتسبون فقط تلك الخصائص الخلقية التى يوفرها لهم نموذج واضح ، وأنهم لن يكتسبوا العمليات المعرفية المعقدة والألم وإنكار الذات . وبالتالى يصبح من المتوقع أن ترتبط دوافع الطفل للتوحد إيجابًا بقبوله للقيم الخلقية واستخدامها حينما يطلب منه إصدار أحكام خلقية عن الآخرين ، إلا أن الأمر لا يكون كذلك ولا يسير على هذا النحو فى المواجهات أو المواقف الخلقية للطفل كما يعكسها الشعور بالذنب ولوم الذات والاعتراف الذى يلى ارتكاب المخالفات . ونظرًا لأن تناولنا لتلك الحالات بهذه الكيفية قد يؤدى إلى تنبؤات متعارضة فإنه لا توجد هناك أى توقعات فيما يتعلق باثنتين من الخصائص الخلقية هما الامتثال للقواعد ، واعتبار الآخرين . وعلى الرغم من إدراك الطفل لهما وعدم حاجته إلى تمثيلهما معرفيًا فإنهما يتطلبان منه السيطرة على بعض الحفزات وقيامه بإنكار الذات .

وقد شملت عينة الدراسة أطفالاً بالصف السابع من مدينة ديترويت وتم قياس مدى التوحد مع الوالد من خلال درجة مركبة تقوم على إعجاب الطفل بوالده كما يعبر عنه ، ورغبته فى محاكاته وإدراكه لمدى التشابه بينه وبين والده . وتم تثبيت متغيرات الطبقة الاجتماعية ونسبة الذكاء . أما الدلائل الخلقية المستخدمة فكانت هى نفسها التى استخدمت فى دراسة هوفمان Hoffman التى تناولناها من قبل . وكشفت النتائج عن وجود قدر ضئيل فقط من العلاقات الدالة ، وكانت هذه العلاقات جميعًا إيجابية . فارتبط التوحد مع الأب بالحكم الخلقى المستدخل لدى البنين الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة وأقرانهم ممن ينتمون إلى الطبقة الدنيا . كما ارتبط أيضًا بالامتثال للقواعد من جانب البنين والبنات ممن ينتمون إلى الطبقة المتوسطة ، والقيم الخلقية لدى البنين الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة ، كذلك فقد ارتبط التوحد مع الأم بالامتثال للقواعد من جانب البنين الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة . أما الشعور بالذنب والاعتراف بارتكاب المخالفات وتقبل اللوم فلم يرتبطوا بالتوحد لدى أى مجموعة من المجموعات الفرعية التى تضمنتها العينة .

ومن الأهمية بمكان فى هذا الصدد أن هذه الدراسة ترى أن أهمية الأب كشخص يتم التوحد معه قد تتعدى فى الواقع أهمية الأم وهو ما يتناقض مع النتائج التى كشفت عنها الدراسات التى تناولت أساليب التهذيب التى يتبعها الوالدان ودورهما فى هذه العملية ،

وهو ما أشرنا إليه سابقًا . وقد توصلت دراستان إلى وجود نمط مشابه للارتباط بين الوالدين وأطفالهما فى الحكم الخلقى وفى أنماط السلوك الاجتماعى . وتوضح إحدى هاتين الدراستين وهى تلك التى قمنا بإجرائها (١٩٧٥ - ب) أن مدى تعبير الأب عن القيم الخلقية الاجتماعية يرتبط ارتباطًا ذا دلالة بتقديرات الأقران عن أنماط السلوك الاجتماعى التى تصدر عن أبنائه البنين والبنات . أما بالنسبة للأمهات فلم تكن العلاقة دالة إلا فى حالة البنات فقط . بينما كشفت الدراسة الثانية والتى أجراها هان ولانجر وكولبرج (١٩٧٦) Hann, Langer & Kohlberg عن أن درجات أفراد العينة على بعض قصص كولبرج الخلقية فى ثلاث مجموعات عمرية تتراوح أعمار أفراد المجموعة الأولى منها بين عشر سنوات إلى خمس عشرة سنة ، وتتراوح أعمار أفراد المجموعة الثانية بين ست عشرة سنة إلى عشرين سنة ، أما أعمار أفراد المجموعة الثالثة فكانت إحدى وعشرين سنة فما فوق ، ترتبط إيجابًا بالدرجات التى حصل عليها آباؤهم فى نفس القصص ، كذلك فقد كانت هناك علاقات دالة بين درجات الأبناء فى الأحكام الخلقية والدرجات التى حصلت عليها أمهاتهم وذلك بين أفراد المجموعتين الثانية والثالثة فقط . أما بالنسبة للبنات فلم تتوصل هذه الدراسة إلى وجود أى علاقات دالة بين درجاتهن ودرجات آبائهن أو درجات أمهاتهن .

ومن الملاحظ أن مثل هذه الارتباطات أو العلاقات لا تعتبر بالضرورة نتيجة لتوحد الطفل مع والده حيث قد توجد هناك عملية أخرى هى التى تسبب ذلك إذ أن الآباء يمكنهم أن يعلموا أطفالهم التفكير الخلقى بطريقة مباشرة على سبيل المثال ، كما يبدو من المحتمل أيضًا أن يتعلم الآباء من أطفالهم وليس العكس . وهذا ما كشفت عنه دراسة هان وآخرين Haan, et al. والتى كان أفراد عينتها من المراهقين والراشدين ، كما أظهر العديد منهم وخاصة أولئك الذين شملتهم المجموعتان اللتان ضمتا أفرادًا من مستويات عمرية أكبر أظهروا مستويات مرتفعة من التفكير الخلقى فى الوقت الذى أظهر فيه آباؤهم وأمهاتهم مستويات أدنى .

وبعيدًا عن ذلك فحينما نضع النتائج التى توصلت إليها هذه الدراسات معًا يبدو أن التوحد مع الأب فى ظل ظروف معينة - وربما يحدث بشكل أكبر بعض الشئ من التوحد مع الأم - قد يساهم فى اكتساب الطفل للخصائص الخلقية التى يمكن إدراكها والتى

لا تتطلب كثيرًا من إنكار الذات كأنماط السلوك العلنية أو الصريحة والأحكام الخلقية على سبيل المثال ، كما يبدو أيضًا أن بعضًا من هذه الخصائص الخلقية يتم استدخاله من جانب الطفل بمعنى أن الطفل يستخدمها كمحك للصواب والخطأ فى الحكم على سلوك الآخرين وذلك بدلاً من استخدامه لتوقيع الجزاءات الخارجية كمحك لذلك . ومن جانب آخر لم تكشف نتائج هذه الدراسات عن أن التوحد مع الأب أو الأم يساهم فى استخدم الطفل للمعايير كوسيلة تقييمية يحكم بمقتضاها على سلوكه فى غياب السلطة أى أنها تصبح بمثابة منظور خلقى مستدخل .

ويبدو من المهم أن نقوم بإجراء المقارنات بين آثار وجود الأب أو غيابه وبين آثار التوحد أو عدم التوحد مع الأب الموجود مع أبنائه بالمنزل . وكان من المعقول بالنسبة لنا أن نجرى مثل هذه المقارنات المباشرة فى دراستنا حيث اشتقت عينات الدراسات التى تناولت آثار كل من غياب الأب والتوحد مع الأب من نفس هذه العينة الكبيرة التى شملتها دراستنا . وعند إجراء هذه المقارنة (Hoffman, 1971a) اتضح أن آثار القدر المنخفض من التوحد مع الأب الموجود مع أبنائه بالمنزل متشابهة على الرغم من أنها فى بعض الأحيان كانت أقل وضوحًا من آثار غياب الأب . وقد تمثل الفرق الرئيسى بالنسبة لهذه النتائج فى ارتباط غياب الأب بانخفاض درجات الأبناء فى مدى الشعور بالذنب وتقبل اللوم . بينما لم يرتبط المعدل المنخفض للتوحد مع الأب مع هذه المتغيرات . ويبدو من الأكثر احتمالاً بالنسبة للشعور بالذنب وتقبل اللوم على الرغم من قصورهما أن يمثلا أفضل الدلائل على الاستدخال الخلقى فى هذه الدراسة والذى يتم تعريفه على أنه تطبيق الفرد للمعايير المختلفة على سلوكه دون اعتبار لتوقيع الجزاءات عليه من قبل السلطة . ويرجع سبب اعتبارهما أفضل الدلائل على الاستدخال الخلقى للأسباب التالية :

أولاً : يبدو من المقبول أن نفترض أن مقياس الشعور بالذنب والذى يعتمد على استجابات الأفراد فى تكملة القصص يعكس استجابة الفرد للمخالفات حيث يعتبر توحد الفرد مع بطل القصة شرطًا لشعوره بالذنب .

ثانيًا : يتركز مقياس الحكم الخلقى على أحكام الفرد على المخالفات التى يرتكبها الآخرون وذلك عند مقارنته بمقياس الشعور بالذنب . وعلى الرغم من أن الفرد قد يعتقد بصدق أى اعتقادًا مستدخلاً بأنه يطبق ذلك على سلوك الآخرين فإن هذا قد لا يدل على رد فعله تجاه المخالفات التى يرتكبها هو .

ثالثًا :يرتبط دليل أو معامل القيم الخلقية بالتقبل السطحى للمعايير الخلقية وقد لا يرتبط بالتالى بالاستدخال .

رابعًا : تعتمد درجات الأفراد فى العدوانية والامتثال للقواعد على تقارير المعلمين عن الأنماط السلوكيةهؤلاء الأفراد والتى ترتبط صراحة بالمرغوبية الاجتماعية ، وقد تعكس بالتالى توجهًا نحو السلطة وليس ضبط الذات المستدخل . وتعتبر هذه النتائج بطبيعة الحال أقل صدقًا فيما يتعلق بتقبل اللوم الذى يتضمن هو الآخر على الرغم من اعتماده أيضًا على تقديرات المعلمين اعترافًا للسلطة من جانب الفرد بأنه سلك بطريقة غير مقبولة .

وإذا كان ذلك صحيحًا فإننا قد ننتهى مؤقتًا إلى أن مدى توحد الولد مع أبيه يؤثر على درجة تقبله للمعايير الخلقية واستخدامها كأساس فى حكمه على الصواب والخطأ والتصرف طبقًا لها فى وجود السلطة . ويعتمد وجود أو غياب الأب أيضًا على هذه الأمور ، ولكنه إضافة إلى ذلك يؤثر على مدى تطبيق الولد للمعايير الخلقية على سلوكه هو حتى فى غياب السلطة . وتؤكد هذه الفروق على أن عدم وجود النموذج الأبوى قد يساهم فى إظهار آثار غياب الأب ، ولكن لا يمكن أن يفسر السبب الذى من أجله يصبح من الأقل احتمالاً بالنسبة للبنين الذين لا يتواجد آباؤهم معهم بالمنزل أن يتقبلوا اللوم وأن يشعروا بالذنب عندما يخرجون على معيار خلقى معين ولا يلتزمون به .

وإذا ما تساءلنا عما إذا كان هناك أى متغير آخر يمكنه أن يفسر أثر غياب الأب فإننا إذا ما عدنا إلى الخلف بعض الشئ سوف نجد تلخيصًا لنتائج الدراسات التى ترى أنه يمكن للطفل أن يتبنى منظورًا خلقيًا مستدخلاً فى ظل ظروف معينة فى المواجهات والمواقف التهذيبية أى عندما يوجه شخص ما نقدًا لذلك الطفل وليس عن طريق توحد الطفل مع النقد الذاتى لشخص آخر. وإضافة إلى ذلك فإننا سنرى أيضًا أنه قد يحدث فى المواجهات والمواقف التهذيبية فقط التوليف بين العمليات الوجدانية والمعرفية اللازمة للاستدخال الخلقى . وأخيرًا نظرًا لأن الأم تعتبر هى الشخص الأساسى القائم على عملية التهذيب كما يرى هوفمان (١٩٧٠) Hoffman ولايتون (١٩٧٦، ١٩٧٩) Lytton فإن نتائج الدراسات التى استعرضناها سابقًا تثبت أن آثار قيام الأب بعملية التهذيب ، وكذا الفروق الفردية فى عملية الاستدخال قد ترجع فى الأساس إلى مدى

اتصال الطفل بأمه . وإذا كان لغياب الأب أى أثر فإن هذا الأثر ربما يكون غير مباشر أى أن غياب الأب قد يؤثر على سلوك الأم تجاه الطفل والذى قد يتسبب بالتالى فى انخفاض قدرة الطفل على الاستدخال الخلقى .

أثر غياب الأب على سلوك الأم :

تمثل ضرورة قيام الأم بالدور المألوف للأب فى التفاعلات التى تحدث بينها وبين الطفل أحد العوامل المحتملة لغياب الأب . ومن الجدير بالذكر أنه غالبًا ما يكون للأب ثقله النوعى فى المواجهات والمواقف التهذيبية ، فعلى سبيل المثال نجد أنه من المعلوم جيدًا أن الآباء بوجه عام أكثر توكيدًا للقوة من الأمهات (e.g. Zussman, 1978) ولذا يصبح من المتوقع بالنسبة للأم عندما يكون الأب غائبًا أن تكون أكثر توكيدًا للقوة أيضًا . كذلك فإن إسهامها فى التوكيد المتزايد للقوة يمثل احتمال زيادة أعبائها وزيادة إرهاقها فى حالة غياب الأب حيث ينفذ صبرها مع الطفل ، ويصبح لديها توجه نحو الإذعان المباشر بدلاً من الأهداف الشخصية بعيدة المدى . ونتيجة لذلك فقد تصبح الأم أقل تعبيرًا عن العاطفة وأكثر توكيدًا للقوة من خلال عملية التهذيب ، كما قد تصبح أيضًا أقل استخدامًا للأساليب التثقيفية وهو النمط الذى تم اكتشافه فى العديد من الدراسات السابقة على أنه يرتبط بالاستدخال الخلقى الضعيف . وعلاوة على ذلك فإننا قد نتوقع أن نجد هذا النمط أكثر انتشارًا بين البنين الذين يكونون عادة أكثر عدوانية ومقاومة للتأثير عند مقارنتهم بالبنات ، وربما يصبحون كذلك عندما يغيب عنهم الأب . ولكى نختبر صحة هذا الفرض قمنا باستخدام المتاح من البيانات التى تضمنتها تقارير أفراد العينة عن تعبير أمهاتهم عن العاطفة تجاههم واستخدامهن للأساليب التهذيبية فى مواقف عديدة (Hoffman & Saltzstein, 1967) .

وتدعم النتائج التى حصلنا عليها هذا الفرض جزئيًا حيث اشتملت تقارير البنين الذين كان يغيب عنهم آباؤهم أن أمهاتهم قد عبرن عن قدر من العاطفة أقل من أمهات البنين الذين لم يغب آباؤهم ، كما لم يكن هناك فرق بين أمهات أفراد المجموعتين فى نمط التهذيب المستخدم . إلا أنه يبدو من المعقول أن يكون لقلة العاطفة التى تم التعبير عنها أثر عكسى على ردود أفعال البنين فى المواجهات أو المواقف التهذيبية .

وقد توصل باحثون آخرون إلى أدلة تؤكد أن الأمهات اللائى يغيب عنهن أزواجهن تكن أكثر توكيدًا للقوة . فوجد لونجبوا Longabaugh (١٩٧٣) أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهؤلاء الأمهات أن يحرمن أبناءهن البنين من الاستقلالية . ووجد سانتروك Santrock (١٩٧٥) أن الأمهات المطلقات وليست الأرامل كن أكثر توكيدًا للقوة مع أبنائهن البنين قياسًا بالأمهات اللائى يعيش معهن أزواجهن ولا يغيبون عنهن . وعمومًا فإن الفرض الذى يرى أن النسبة الأعظم من التفاعلات التى تحدث بين الأم والابن عندما يغيب الأب عن المنزل يجب أن تختلف تمامًا خلال المواجهات أو المواقف التهذيبية أى تتغير عن وضعها الطبيعى يبدو فرضًا مقبولاً . ومن المحتمل أيضًا أن تصبح عملية التهذيب المستخدمة أكثر تركيزًا على توكيد القوة وأقل تركيزًا على الأساليب التثقيفية . ولكن حتى وإن كان ذلك صحيحًا فإن الأم قادرة على أن تقضى وقتًا أقل فى العلاقات التى تتطلب تبادلاً للعاطفة أو الوجدان مع ابنها والتى قد يكون لها أثر سلبى على استجابته لمحاولاتها التهذيبية . وبهذا فإن غياب الأب يمكن أن يؤثر على الاستدخال الخلقى للطفل بطريقة عكسية وذلك من خلال أثره على النمط الذى تتبعه الأم فى التهذيب والتعبير عن العاطفة أو الوجدان .

وقد يختلف الوضع إلى حد ما بالنسبة للبنات ، فبداية هناك أدلة تؤكد على أن أثر غياب الأب بوجه عام والطلاق بوجه خاص على النمو الاجتماعى والانفعالى للبنات أقل ثباتًا ودوامًا من البنين (e.g. Biller, 1974; Hetherington, et al., 1978) . وعلاوة على ذلك فقد كانت النتائج التى حصلنا عليها فيما يتعلق بالبنات فى الدراسة التى قمنا بإجرائها على العكس من تلك النتائج التى حصلنا عليها بالنسبة للبنين حيث قررت البنات اللائى يغيب عنهن آباؤهن أن أمهاتهن قد عبرن عن العاطفة لهن بدرجة أكبر . كما قررن أيضًا أن أمهاتهن كن أقل توكيدًا للقوة وأكثر استخدامًا للأساليب التثقيفية وذلك على الرغم من أن هذه النتائج لم تكن دالة . ويؤكد هذا النمط من النتائج على أن الأم يمكن أن تعوض غياب الأب بالنسبة للبنات فقط ، وربما يكون من الصعب عليها أن تفعل ذلك مع البنين وذلك بسبب خصائصهم الأكثر حدة ، وخاصة إذا كان ما تريده الأم هو السهولة واليسر فى إدارة شئون المنزل . ويعتبر ذلك على النقيض من موقف البنات والذى يكون من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهن أن يساعدن أمهاتهن فى المنزل ولا يسببن أى مشاكل إضافية أخرى كالبنين .

ويبدو من المحتمل أيضًا إذا كان سبب غياب الأب هو الطلاق أن تظل الأمهات تحملن بقية اشمئزاز يعبرن عنها تجاه أبنائهن البنين . وتوضح النتائج التى توصل إليها سانتروك Santrock فى دراسته التى أشرنا إليها سابقًا أن الأمهات المطلقات كن أكثر توكيدًا للقوة تجاه أبنائهن البنين من قريناتهن الأرامل ومن قريناتهن اللائى تعشن مع أزواجهن . وبذلك تؤكد هذه النتائج على أن ذلك الأثر المؤجل قد يحدث .

بعض الآثار الأخرى غير المباشرة للأب :

لا يعتبر غياب الأب فحسب هو الذى قد يؤثر على سلوك الأم تجاه الطفل إذ قد يكون لوجود الأب أيضًا أثر فى ذلك ولكن بطريقة مختلفة . وطبقًا لما توصلنا إليه سابقًا من نتائج (Hoffman, 1963) من خلال دراستنا لعينة من أطفال الطبقة الدنيا بمدينة ديترويت فإن النساء اللائى كان يقوم أزواجهن باستمرار بتوكيد القوة لديهن كان من المحتمل بالنسبة لهن أن يقمن بتوكيد القوة تجاه أطفالهن الذين كانوا فى مرحلة ما قبل المدرسة ، وبالتالى يتضح أن هؤلاء الآباء قد ساهموا سلبًا وبطريقة غير مباشرة فى الاستدخال الخلقى لأطفالهم وذلك من خلال توكيدهم للقوة تجاه زوجاتهم .

ومن المحتمل أيضًا أن يوفر وجود الأب فى الغالب نوعًا من التأييد أو الدعم للأم عن طريق إعطائها قدر معين من المصداقية الذى قد يزيد من احتمال استجابة الطفل بطريقة بنائية للتعليمات التى تصدرها . ويؤكد لايتون (١٩٧٩) Lytton على هذا الأثر فى دراسته التى أجراها على عينة من الأطفال تتراوح أعمارهم بين سنتين إلى ثلاث سنوات والتى كان الأب فيها أحيانًا ما يقوم صراحة بتعزيز ما تطلبه الأم من الطفل . وعندما يفعل ذلك كان الأطفال يصبحون أكثر قدرة على الإذعان لما تطلبه الأم . وربما كانت أكثر النتائج إثارة تلك التى كشفت عن أنه حتى وإن لم يقل الأب أى شئ عندما يكون موجودًا بالمنزل فإن الأطفال يكونون أكثر إذعانًا فى استجابتهم للمحاولات التهذيبية من جانب الأم إذا ما قورنت تلك الاستجابات باستجاباتهم عندما يكون الأب غائبًا عن المنزل . وبطبيعة الحال فإن الإذعان لا يعتبر استدخالاً خلقيًا ، كما أنه لا توجد لدينا أدلة على أن الأساليب التهذيبية التى تستخدمها الأم فى وجود الأب تكون فى الغالب أساليب تثقيفية . وبذلك يتضح أنه يوجد هناك حد يجب ألا نتعداه فى استنتاجاتنا لهذه النتائج ، ومع ذلك يبدو من المقبول أن نتوقع أن صورة القوة والسلطة المناطة بالأب قد تزيد من

احتمال أن يولى الأب جل اهتمامه إلى محتوى التعليمات التى تقدمها الأم . وإذا كان الأمر كذلك فإن غياب هذه الصورة يمكن أن يكون عاملاً فى التأثيرات العكسية التى يحدثها غياب الأب .

الأب ومتطلبات الدور الوسيلى والنمو الخلقى :

توضح نتائج الدراسات التى أجريت فى هذا الصدد أن الأمهات يعتبرن من الوسائط الأساسية للتنشئة الاجتماعية الخلقية للأطفال من الجنسين . وهنا يثار تساؤل هام عما إذا كان سبب ذلك يرجع إلى نمط المعايير الخلقية التى تمت دراستها أم لا . فمعظم المقاييس المستخدمة لتقدير الاستدخال الخلقى كمقياس الشعور بالذنب على سبيل المثال تتعلق بالمعيار بين الشخصى المضاد لإلحاق الأذى بالآخرين فى مواقف المواجهة ، ويبدو أن الأخلاقيات بين الشخصية تتناسب مع الدور التعبيرى التقليدى للأم . وإذا تم التفاعل بين الأم وذلك بشكل يفوق الأب وبين الآخرين على أساس من المشاعر ، وإذا ما شجعت أطفالها على التعبير عن التعاطف والشعور بالذنب ، وإذا ما كافحت فى سبيل تحقيق الانسجام فى علاقتها مع الآخرين فإنها قد تقوم أوتوماتيكيًا بتنشئة أطفالها اجتماعيًا بطريقة تدعم استدخال المعايير الخلقية بين الشخصية . ومع ذلك فإن الأب قد يقوم بتنشئة الأطفال اجتماعيًا بطريقة تدعم استدخال المعايير الخلقية الوسيلية . وتتضمن هذه المعايير تلك التى تؤكد على أهمية القانون والقواعد وتوقيع العقوبات عند انتهاك القوانين أو القواعد والتى تطبق بالتساوى على كل الناس وليس على أساس القرابة والميول الشخصية ، وتلك المعايير التى تؤكد على أهمية الأوضاع التنظيمية فى تطبيقها على أساس من المنطق والأهداف بعيدة المدى وليس على أساس المشاعر المباشرة ، وتلك المعايير التى تتعلق بتوزيع المصادر على جميع الأفراد على أساس الأداء الذى يتم تقييمه موضوعيًا وليس على أساس الصداقة أو المشاعر الشخصية .

ومن الجدير بالذكر أنه لا توجد هناك أى أدلة تؤكد على أن الآباء يقومون بالتنشئة الاجتماعية لأطفالهم بطريقة تشجعهم على استدخال مثل هذه المعايير أو حتى أن الآباء قد قاموا هم أنفسهم بشكل نمطى باستدخال مثل هذه المعايير . ويتضح من الدراسة الوحيدة التى قارنت بين السلوك المستدخل خلقيًا للرجال والنساء فى موقف غير شخصى أنه من الأقل احتمالاً بالنسبة للرجال مقارنة بالنساء أن يعيدوا الأشياء القيمة التى يجدونها فى

الشارع إلى أصحابها عندما لا يراهم أحد (Gross, 1972) . ولكن إذا كان هناك أى أشخاص بالقرب منهم عندما يجدون أى شئ فى الشارع فإنهم غالبًا ما يعيدون ذلك الشئ إلى صاحبه ، وهو ما تفعله النساء أيضًا . وربما ترتبط النتائج التى توصلنا إليها من قبل بهذه النتائج (Hoffman, 1975c) وسوف نعرض لهذه النتائج بإيجاز . فبداية ضمت عينة الدراسة آباء وأمهات تلاميذ الصفين الخامس والسادس بمدينة ديترويت ولم نتوصل إلى وجود فروق دالة بين الجنسين فى درجات الحكم الخلقى المستدخل على قصص معدلة من نفس نمط قصص كولبرج الخلقية . ومع ذلك فقد حصل الآباء على درجات أقل من الأمهات فى كل من عينتى الدراسة المستقلتين وذلك فى مقياس تكملة القصص الدال على حدة الشعور بالذنب . وكما توقعنا فى ضوء التقسيم الثنائى «التعبيرى - الوسيلى» والذى تناولناه سابقًا فقد كان تقييم الآباء للإنجاز والنجاح يضعهما فى وضع أكثر ارتقاء مما فعلته الأمهات وذلك على سلم القيم الإنسانية ، أما الخروج على القانون لمساعدة الغير كقيمة فقد كان تقديرهم لها أكثر انخفاضًا وذلك بشكل ذى دلالة .

ولكن هل يعتبر الإنجاز قيمة خلقية بالنسبة للرجال ؟ ومن الملاحظ أنه يبدو من المقبول أن يكون الأمر كذلك . وإذا ما نظرنا إلى هذه القيمة على أنها قيمة خلقية مستدخلة فقد نتوقع ظهورها فى استجابتهم لبنود مقياس تكملة القصص والتى يكتسب فيها البطل الكثير من المال فى مسابقة لكتابة القصة القصيرة عن طريق انتحال آراء الغير بدلاً من بذل الجهد فى سبيل ذلك . أى أننا نتوقع من الأفراد الذين قاموا بعملية الاستدخال الخلقى أن تصدر عنهم استجابات أكثر تتضمن قدرًا معقولاً من الشعور بالذنب واستجابات أخرى توضح اهتمامًا بالشخص الذى يستحق فعلاً أن يكسب الجائزة . وأوضحت النتائج أيضًا أن الرجال كانوا أقل شعورًا بالذنب وأقل اهتمامًا بالفائز الحقيقى وذلك عند مقارنتهم بالنساء ، كما كانوا أكثر خوفًا من أن يتم اكتشافهم والقبض عليهم ، وارتكزت استجاباتهم فى العديد من المناسبات على الطرق الخفية التى يمكن بها وضع البطل فى فخ والقبض عليه .

وفى الواقع يتضح أننا فى حاجة إلى إجراء المزيد من الأبحاث حول هذا الموضوع على الرغم من أن الدراسات التى تم إجراؤها قد كشفت عن نتائج مقنعة ترى أن الإنجاز الذى نكافح فى سبيل تحقيقه ليس منتشرا بكثرة بين الرجال فحسب ، ولكنه قد يكون

أيضًا منتشرا نتيجة لدافع أنانى أكثر من كونه نتيجة لمعيار خلقى مستدخل . ولن يكون ذلك مستغربًا إذا ما نظرنا إلى موضوع معين مثل قضية وترجيت Watergate التى تؤكد أنه حتى أولئك المشتغلون بالقانون يقومون بلى عنقه لتحقيق مآرب شخصية أنانية . وإذا ما نظرنا إلى النتائج التى أظهرها المسح التجارى من أن العديد من مديرى الإدارات يرون أن رجال الأعمال يمكنهم الخروج على القوانين الأخلاقية إذا ما رأوا أنهم لن ينكشف أمرهم (Baumhart, 1961) . وحديثًا تظاهر أحد المراسلين بأنه ضحية لحادث وذهب إلى ثلاثة عشر محاميًا فى نيويورك بقضية ملفقة يمكن أن يحصل منها المحامى على أتعاب كثيرة. ووجد هذا المراسل أن خمسة من المحامين قد عرضوا عليه الاشتراك فى تلك الجناية وقاموا بإغرائه على الحنث باليمين أى أن يحلف كذبًا ، بل إن أحدهم أخبره أن قضيته تلك ليست قضية وعرض عليه أن يقوم هو أى المحامى بتلفيق قصة له وذلك بتغيير الحقائق قليلاً وطلب منه فقط أن يقسم على ذلك فى المحكمة (Berentson, 1980) .

وهذا لا يعنى أن الآباء بطبيعتهم أقل فى أخلاقياتهم من الأمهات(*) . ولكن الضغوط التى يتعرض لها الرجال أخلاقيًا لكى يحققوا الإنجاز المطلوب ويدخلوا المنافسات ويحرزوا النجاح والتى تتزايد مع زيادة العمر بسبب المتطلبات التقليدية للعمل والميل إلى تعريف الذكورة على أساس من تحقيق النجاح والتى غالبًا ما تتصارع مع المعايير الخلقية التى يكون الرجال قد قاموا باستدخالها فى طفولتهم . وعلاوة على ذلك فقد تكون هذه الضغوط من القوة لدرجة تجعلهم يتجاهلون المعايير الخلقية كما تجعلهم بلداء الحس فيما يتعلق بحاجات الآخرين . وباختصار فإن العالم الوسيلى غالبًا ما يكون له تأثير سلبى على أخلاقيات الرجال . ومن المهم أن نعرف أنه لو حدث نفس الشئ للسيدات أى لو أنهن قمن بدور الرجال الوسيلى خاصة وأن عددًا كبيرًا منهن يقمن حاليًا بالدور الوسيلى فى المجتمع ، من المهم أن نعرف نتائج ذلك على التنشئة الاجتماعية الخلقية للأطفال فى المستقبل .

(*) قد يوجد هناك أساس بيولوجى يجعل النساء يتفوقن على الرجال أخلاقيًا على الأقل فيما يتعلق بالأخلاقيات بين الشخصية حيث نجد أن هناك أدلة تؤكد على أن التعاطف قد يعتبر دافعًا يرتكز على أساس بيولوجى للأخلاقيات بين الشخصية (Hoffman, 1981) . ومن ناحية أخرى هناك أيضًا أدلة تؤكد على تفوق النساء على الرجال فى التعاطف فى كل الأعمار حتى بعد الميلاد بفترة قصيرة (Hoffman, 1975c) .

وسوف تكون الإجابة على السؤال الأساسى التالى : **هل ينشئ الآباء أطفالهم اجتماعيًا لاستدخال المعايير الخلقية الوسيلية** ؟ ستكون الإجابة حتى الآن بالنفى . وفى الواقع قد يكون للآباء أهمية خاصة فى تنشئة أطفالهم اجتماعيًا للقيام بالإنجاز ، وهناك من الأدلة ما يؤكد ذلك (e.g. Block, et al., 1974) ، ولكن هذا الأمر قد لا يتصل بالتنشئة الاجتماعية الخلقية حيث نجد أن تنشئة الأطفال اجتماعيًا للقيام بالإنجاز قد تكون أحيانًا عقبة تحول دون التنشئة الاجتماعية الخلقية لهم (Burton, 1972; Pearlin, 1967) . وبذلك نكون قد وصلنا إلى نتيجة يمكن أن تكون فرضًا أساسيًا فى البحوث المستقبلية إذ قد يكون هناك تقسيم للعمل داخل المنزل بحيث تكون الأم فيما يتعلق بالاستدخال الخلقى هى الوسيط الأساسى فى عملية التنشئة الاجتماعية ، ويكون الأب من ناحية أخرى هو الوسيط الأساسى فى التنشئة الاجتماعية فيما يتعلق بالدافعية الأنانية إلى الإنجاز .

خاتمة :

تؤكد الأدلة التى تم التوصل إليها فى الفصل الحالى على عكس ما رأى فرويد Freud وآخرون أن الأب أقل فى أهميته من الأم كوسيط مباشر فى عملية التنشئة الاجتماعية الخلقية . فالأب يعتبر بمثابة الشخص الذى يتوحد الابن معه والذى يساعده على اكتساب السلوك الخلقى الصريح بالإضافة إلى استخدام المعايير الخلقية فى تقييم سلوكيات الآخرين . ولا يبدو أن للأب نفس التأثير على البنت . وحتى بالنسبة للولد فإن سلوك الأم وليس سلوك الأب هو الذى يساهم فى الميل إلى استخدام المعايير الخلقية للفرد فى تقييم سلوكه . أما الدور الذى يلعبه الأب فيبدو غير مباشر حيث يساهم فى مصداقية الأم أمام أطفالها ، وقد يكون ذلك عاملاً هامًا فى زيادة فاعلية الأم .

ويعتبر احتمال قيام الأب بالإسهام المباشر فى الاستدخال الخلقى للطفل فى حاجة إلى مزيد من البحوث والدراسات وذلك لعدة أسباب إذ من المهم أولاً أن نعرف ما إذا كانت الضغوط الوسيلية من جانب المجتمع لها فى الواقع أثر يضعف من دور الأب فى التنشئة الاجتماعية الخلقية أم لا . وإذا كان لتلك الضغوط ذلك التأثير فلابد أن يكون هناك شئ خطأ فى المجتمع . وإذا كان للضغوط الوسيلية هذا التأثير فهل تكون قد ازدادت حدة ذلك التأثير من جراء الحركة الثقافية العكسية والتى كانت إلى حد كبير حركة ثقافية مضادة للوسيلية ، ومن جراء إفشاء بعض الفضائح مثل فضيحة وترجيت

Watergate وهل يكون الآباء أحيانًا بسبب دورهم الوظيفى متهمين بنوع من الذنب عن طريق التداعى تكون من نتيجته أن يقبلوا التسوية بأن يصبحوا وسطاء فى التنشئة الاجتماعية الخلقية بغض النظر عن سلوكهم فى المنزل سواء كان خلقيًا أم لا ؟ وأخيرًا هل يكون للضغوط الوسيلية الموجودة فى العمل نفس التأثير على الأمهات العاملات ؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هو الأثر الذى سيتركه تزايد عدد الأمهات العاملات على الوضع الخلقى للمجتمع ؟ وهل سينحدر مستوى الاستدخال الخلقى لكل من البنين والبنات ؟ وما هو الأثر الذى سيتركه كل ذلك على الجيل القادم من الأمهات ؟

وفى الواقع هناك حاجة ماسة لإجراء العديد من البحوث عن محتوى المعايير الخلقية للرجال ، وإلى أى مدى تم استدخال تلك المعايير ، والضغوط اللا أخلاقية المحتملة التى قد يتعرض لها العديد من الرجال ، وكيف يتعاملون مع الصراع الناتج عنها ، وكيف ينعكس هذا الصراع على سلوكهم كوسطاء للتنشئة الاجتماعية الخلقية لأطفالهم . وعند ذلك فقط سيصبح بمقدورنا أن نصل إلى تقييم حقيقى للأدوار الفعلية والمحتملة للآباء فى النمو الخلقى للأطفال .

* * *

مراجع الفصل الخامس

Aronfreed, J. & Reber, A. (1965). Internalized behavioral suppression and the timing of social punishment. Journal of personality and social psychology, 1,3-16.

Baumhart, R.C., (1961). How etichal are businessmen? Harvard Business Review, 39,6-19,156-176.

Berentson, 1. (1980). The American Lawyer, May.

Biller, H.B. (1974). Paternal deprivation :Family, school, sexuality and society. Lexington, Mass. : Heath.

Block, J. H., Block. J., & Harrington, D. M. (1974). The relationship of parental teaching strategies to ego resiliency in preschool children. .Presented at Western Psychological Association, San Francisco.

Burton, R.Y. (1972). Cheating related to maternal Pressures for achievement. Unpublished manuscript, State University of New York at Buffalo, Department of Psychology.

Erikson, E.H. (1970). Reflections on the dissent of contemporary youth. International Journal of Psychoanalysis, 51, 11-22.

Gross, A. E.H. (1972). Sex and helping: Intrinsic glow and extrinsic show. Paper presented at meeting of the American Psychological Association, Honolulu, September.

Haan N., Langer, J., & Kohlberg, L. (1976). Family patterns of moral reasoning : Child Development, 47, 1204-1206.

Hetherington, E. M., Cox, M., & Cox, R. (1978). The aftermath of divorce. In J. H. Stevens; Jr., & M. Matthews (Eds.), Mother-child, father-child relations . Washington, D.C. : National Association for the Education of Young Children.

Hoffman, L. W . (1977). Changes in family roles, socialization, and sex diffemces. American Psychologist, 32, 644-657.

Hoffman, M. L. (1963). Personality, family structure, and social class as antecedents of parental power assertion. Child Development, 34, 869-884.

Hoffman, M.L. (1967). Parent discipline and child's moral development. Journal of Personality and Social Psychology, 5, 45-57.

Hoffman, M.L. (1970). Moral development. In P. Mussen (Ed.) Handbook of child psychology, New York: Wiley.

Hoffman, M.L. (1971). Father absence and conscience development. Developmental Psychology, 4,400-406 (a).

Hoffman, M.L. (1971). Identification and conscience development. Child Development, 42, 1071-1082 (b).

Hoffman, M.L. (1975). Moral internalization, parental power, and the nature of parent-child interaction. Developmental Psychology, 11,228-239(a).

Hoffman, M. L. (1975). Altruistic behavior and the parent - child relationship. Journal of Personality and Social Psychology, 31,937-943 (b).

Hoffman, M. L. (1975). Sex differences in moral internalization. Journal of Personality and Social Psychology, 32, 739-729 (c).

Hoffman, M. L. (1975). Developmental synthesis of affect and cognition and its implications for altruistic motivation. Developmental Psychology, 11, 607-922 (d).

Hoffman, M. L. (1977a). Moral internalization : Current theory and research. In L. Berkowitz (Ed.), Advances in experimental social psychology, Vol. 10. New York: Academic Press.

Hoffman, M. L. (1977). Empathy, its development, and proscoial. implications. In C. B. Keasey (Ed.), Nebraska Symposium on Motivation. 25, 169-218(b).

Hoffman, M. L. (1977). Sex differences in empathy and related behaviors. Psychological Bulletin, 84, 712-772 (c).

Hoffman, M. L. (1980). Adolescent morality in developmental perspective. In J. Adelson (Ed.) Handbook of adolescent psychology. New York : Wiley.

Hoffman, M. L. (1981). Is altruism part of human nature? Journal of Personality and Social Psychology, 40, 121-137.

Hoffman, M.L. (1982). Affective and cognitive processes in moral internalization : An information processing' approach. In E. T. Higgins, D. Ruble, & W. Hartup (Eds.). Social cognition and social behavior. New York : Cambridge University Press.

Johnson, C. D., & Gormly, J. (1972). Academic cheating :The contribution of sex, personality, and situational variables. Developmental Psychology 6, 320-325.

Kagan, 1. (1958). The concept of identification. Psychological Review, 65, 296-305.

Kohlberg, L. (1969). The cognitive - developmental approach. In D. A. Goslin (Ed.), Handbook of socialization theory and research. Chicago: Rand McNally.

Longabaugh, R. (1973). Mother behavior as a variable moderating the effects of father absence. Ethos. 1, 456- 465.

Lytton, H. (1976). The socialization of two-year old boys: Ecological findings. Journal of Child Psychology and Psychiatry, 17, 286-304.

Lytton, H. (1979). Disciplinary encounters between young boys and their mothers and fathers : Is there a contingency system ? Developmental Psychology, 15, 256-268.

Mischel, W. (1970). Sex differences, sex typing, and identication. In P. Mussen (Ed.), Hand book of child psychology. New York: Wiley.

Mowrer, O. H. (1960). Learning theory and behavior. New York: Wiley.

Parsons, T., & Baies, R. F. (1955). Family, socialization and interaction process. Glencoe, III. : Free Press.

Pearlin, L. I., Radke- Yarrow, M., & Scarr, H. A. (1967). Unintended effects of parental aspirations : The case of children's cheating. American Journal of Sociology. 73, 73-83.

Santrock, 1. W. (1975). Father absence, perceived maternal behavior and moral development in boys. Child Development, 46, 753-757.

Shinn, M. (1978). Father absence and children's cognitive development. Psychological Bulletin, 85, 295-324.

Stein. A. H. (1977). Imitation of resistance to temptation. Child Development, 38, 157-169.

Walters, R. H., & Parke, R.D. (1964). Influence of response consequences to a social model on resistance to deviation. Journal of Experimental Child Psychology, 1, 269-280.

Whiting, J. W. M. (1960). Social structure and child rearing: A theory of identification. paper read at Tulane University as part of the Mona Brorsman Sheckman Lectures in Social psychiatry, New Orleans, March 17-19.

Zussman, J. U. (1978). Relationship of demographic factors to parental discipline techniques. Developmental Psychology, 14,685-686 .

❋ ❋ ❋

الفصل السادس

دور الأب فى النمو العقلى والمعرفى للطفل

نورما رادين

Norma Radin

obeikandl.com

obeikandl.com

على الرغم من القصور الذى يعترى التراث السيكلوجى حول هذا الجانب الهام من أبعاد دور الأب فى نمو الطفل فإننا نجد أنه من المهم أن نقدم ملخصًا لما هو معروف حتى الآن عن دور الأب فى الأداء العقلى للطفل حتى نستطيع أن نبدد بعض الخرافات التى قد تثار حول هذا الدور ، ومنها على سبيل المثال أن غياب الأب يؤدى حتمًا إلى التأثير السلبى على الأطفال . وإضافة إلى ذلك فإن كم البيانات التى تتناول تأثير الأم على النمو المعرفى للطفل تميل إلى تعتيم دور الأب ، كما أن الندرة النسبية للمناقشات التى كانت تدور حول دور الأب حتى وقت قريب ترى أن هذا الدور الذى يؤديه فى هذا الصدد ليس له ذلك القدر الكبير من الأهمية . وأخيرًا فإن فحص البيانات المتاحة قد يعمل على إثارة فروض جديدة ، وقد يزيح الستار عن اتجاهات جديدة ومثمرة للبحوث المستقبلية .

ويتناول الفصل الحالى مناقشة لأوجه القصور التى يعانى منها التراث السيكلوجى مع إيضاح لأوجه القصور المشتركة بين الأبحاث التى تناولت الأب والأم معًا وتمييزها عن تلك التى تخص الدراسات التى أجريت على الآباء فقط . ومن ثم يمكننا أن نصف بدقة تلك الاتجاهات البارزة التى تتعلق بأثر الأب على النمو المعرفى والأكاديمى للطفل والتى يتمثل أولها فى تلك العلاقة التى تجمع بين الأب والابن . كما يقدم الفصل الحالى إطارًا نظريًا يدعم هذه العلاقة متبوعًا بملخص لما يتضمنه التراث السيكولوجى فيما يختص بالعلاقة بينه وبين الطفل ومدى سلطته وثقته بنفسه . ويختتم هذا القسم من الفصل الحالى بعرض لمدى تأثير سلوك الأب على الأسلوب المعرفى للولد . أما ثانى هذه الاتجاهات فيتمثل فى الأثر النسبى للأب على النضج المعرفى لكل من البنين والبنات ، فى حين يتناول الاتجاهان الثالث والرابع طبيعة أثر الأب على النمو العقلى لابنته وخاصة البعد النسبى للبنت عن أبيها واستقلالها عنه وأثر الأب على القدرات الرياضية Mathematical لابنته . بينما يتمثل الاتجاهان اللذان سوف تتم مناقشتهما بعد ذلك فى نواتج إسهام الأب ومشاركته للطفل فى أنشطة حل المشكلات ، ودور الأم كوسيط لأثر الأب على النضج العقلى للأطفال .

ويتبع هذا الاستعراض بمناقشة للعلاقة بين السمات التى تميز وضع الأب أو مكانته والكفاءة أو القدرة المعرفية للأطفال ، ويتبعها استعراض للتراث السيكلوجى

حول الأثر الذى يخلفه غياب الأب على هذا الجانب من جوانب نمو الأطفال . ويتضمن هذا الاستعراض الأخير تغطية للفرض الذى يتناول القصور التراكمى للأطفال الناتج عن غياب الأب ، والفروق بين الجنسين فيما يتعلق بأثر غياب الأب ، والفروق بين الأطفال بحسب أعمارهم عند بداية الغياب ، والعوامل العنصرية والعرقية والاقتصادية ، وتلك التى تتعلق بتركيب الأسرة ثم نعرض فى النهاية ملخصًا عامًا لأثر الأب على النمو المعرفى للطفل .

وبالرجوع إلى تلك النتائج التى تم التعرض لها عند استعراض ما يتضمنه التراث السيكلوجى من دراسات حول هذا الموضوع يمكن القول بأن الرعاية الأبوية تعمل على حدوث النضج المعرفى للبنين ، وكلما كانت العلاقة بين الأب والابن أقوى كان النضج المعرفى للابن أفضل ، ويستثنى من ذلك قيام الطفل بمهام تتطلب جهودًا تدل على الإتقان والإجادة . ويبدو فى ظل مثل هذه الظروف أن انغماس الأب مع أبنائه فى حياتهم ومشاركته لهم تعتبر عاملاً حاسمًا . أما فيما يتعلق بالبنات فيبدو أن البعد النسبى للبنت عن الأب واستقلالها عنه يرتبط بكفاءتها المعرفية فى ظل مختلف الظروف . فى حين نجد أن السلوك التسلطى للأب بالنسبة لكل من البنين والبنات على حد سواء يرتبط بالانخفاض فى الكفاءة الأكاديمية لأى منهما . ومن الجدير بالذكر أن غياب الأب إن لم يكن بسبب الموت يبدو أكثر ضررًا على الأداء العقلى للبنين وخاصة إذا حدث هذا الغياب قبل بلوغ الطفل الخامسة من عمره ، بينما يعتبر غياب الأب بالنسبة للبنات أقل ضررًا ، ومع ذلك يتأثر نمو قدراتها الرياضية سلبًا إذا كان غياب الأب قد بدأ قبل بلوغ البنت التاسعة من عمرها . وعلاوة على ذلك يبدو أن للأب تأثيره على النمو العقلى والأكاديمى للأطفال من خلال العديد من القنوات التى تشمل اتجاهات الآباء وسلوكهم تجاه أبنائهم ، وميراثهم العرقى ، وبرنامجهم الوراثى ، ومكانتهم فى تركيب الأسرة ، وطبيعة علاقاتهم مع زوجاتهم .

حدود التراث السيكلوجى :

١ - أوجه القصور المشتركة فى الدراسات التى تناولت الأب والأم معًا :

تعمل طبيعة الأداء المعرفى فى حد ذاتها على وضع العراقيل أمام كل من يحاول أن يقوم بتحليل أثر أى متغير بمفرده أو أى فرد بعينه إذ يرى كل من بيلر (١٩٦٨) Biller

ولين (١٩٧٤) Lynn فى كتابيهما عن الآباء أن العوامل البيولوجية والعوامل البيئية تتفاعل فى سبيل إسهامها فى النضج العقلى للطفل ، إلا أن كلا الباحثين يأخذ حذره عند تحليل الأثر الذى قد يحدثه الأب فى هذا الصدد . وتشير لين Lynn إلى أنه حتى عندما يكون هناك تشابه فى جانب أو أسلوب ما للتفكير بين الأب والطفل يظل من الصعب علينا تحديد مدى التشابه الذى يمكن إرجاعه إلى التأثير الوراثى ومدى التشابه الذى يمكن إرجاعه إلى التأثير الاجتماعى للأب .

ومن ناحية أخرى قام العديد من الباحثين فى نمو الطفل أمثال هونزيك (١٩٦٣) Honzik وبيلى (١٩٦٨) Bayley وزيجلر وتشايلد (١٩٦٩) Zigler & Child وماكوبى وجاكلين (١٩٧٤) Maccopy & Jacklin ومونسنجر ودوجلاس (١٩٧٦) Munsinger & Douglass وويلسون (١٩٧٧، ١٩٧٨) Wilson بمناقشة الآثار الوراثية على النمو المعرفى فوجد ويلسون (١٩٧٧) Wilson على سبيل المثال من دراسته الطولية للتوائم المتشابهة وغير المتشابهة أن الفروق الفردية لا يمكن إلغاؤها نظرًا لأن التباين المسجل فى أنماط الجينات له جذوره العميقة التى لا يمكن تجاهلها والتى تلعب دورًا هامًا فى هذا الصدد. وقد أدت نتائج الدراسة التى أجراها دوماريه وآخرون (١٩٧٨) ,.Dumaret,et al فى فرنسا على أطفال الطبقة العاملة الذين تقل أعمارهم عن ستة أشهر أدت بالباحثين إلى إقرار عدم وجود فروق وراثية هامة بين الجماعات الاجتماعية وذلك بسبب وجود عوامل ترتبط بالفشل فى الدراسة . وتؤكد نتائج الدراسة الطولية التى أجراها هيربر (١٩٧٦) Herber على الأطفال السود فى الولايات المتحدة الأمريكية تلك النتائج . كما يعتبر التقرير الذى أعده بانى وجينكز (١٩٧٧) Bane & Jencks حول مسألة الطبع والتطبع والذى يقرران فيه أن الجينات قد تؤثر على مقدرة الطفل الفعلية للتعلم وأنها قد تؤثر بالتالى على فرص التعلم أمام الطفل والحوافز التى قد تؤدى به إلى ذلك ، أما الفروق التى قد تظهر فترجع بالتالى إلى كل من البيئة والوراثة وتعد على درجة كبيرة من الأهمية حيث لم يستطع أى إنسان أن يصل إلى طريقة أو وسيلة معينة لفصل كلا الأثرين عن بعضهما حتى الآن .

وقد تؤدى كثرة الأبحاث التى تم إجراؤها على الأسر البيضاء التى تنتمى إلى الطبقة المتوسطة قياسًا بتلك الأبحاث التى أجريت على الأمهات قد تؤدى إلى تشويه تلك المعلومات المتاحة عن الآباء أيضًا . ومن ثم يصبح تعميم مثل هذه النتائج على جماعات أخرى موضع شك وتساؤل . ومن ناحية أخرى هناك ندرة فى الدراسات التى

أجريت على الأسر الشيشانية والبورتوريكية والآسيوية ، وهو ما يجعل مثل هذه النتائج ذات أهمية كبيرة لأولئك المهتمين بالنمو المعرفى إذ يختلف الأداء الأكاديمى للأطفال فى تلك الأسر بشكل كبير (Coleman, et al., 1966) . وهناك مشكلة أخرى تتضح عند دراسة سلوك الأم كما تتضح أيضًا فى تلك الأبحاث التى تتناول سلوك الأب تتمثل فى اتجاه التأثير فى الدراسات الارتباطية إذ يرى الباحثين فى هذا المجال أنه من المحتمل أن يستجيب الأب للسلوك الذى يصدر عن الطفل وليس العكس . ويقرر كل من أوسوفسكى وأوكونيل (١٩٧٢) Osofsky & O'Connell وفرودى وآخرين (١٩٧٨) Frodi, et al., حدوث تلك الظاهرة تجريبيًّا . وعلى أثر مراجعته للعديد من الدراسات الكلاسيكية يقرر بل (١٩٦٨) Bell وجود تفسيرات أخرى محتملة لمثل هذه النتائج وذلك إذا ما افترضنا أن الطفل وليس الوالد هو الذى يأخذ بالمبادرة فى التفاعل الذى يحدث بينهما . ويرى هوفمان (١٩٧٥) Hoffman أنه من المعقول فى بعض الأحيان أن نفترض أن الآباء يأخذون بالمبادرة فى التفاعلات الحادثة بدرجة تفوق الأطفال ، إلا أن ذلك لا يعتبر صحيحًا فى أحيان أخرى . وهناك احتمال آخر قائم يرى أن نظام التأثير الحادث فى مثل هذه الحالات يعتبر دائريًّا Cyclical وذلك كما ترى كلارك - ستيوارت (١٩٧٨) Clarke-Stewart إذ ترى أن الأم تؤثر على الطفل ، ويقوم الطفل بدوره بالتأثير على الأب الذى يؤثر بالتالى على الأم .

وعلى الرغم من ذلك فلا توجد هناك أى محاولة فى هذا الصدد لتفسير تلك النتائج التى تم التوصل إليها فى ضوء الأثر الذى يحدثه الطفل على الأب إضافة إلى ذلك الأثر الذى يحدثه الأب على الطفل . إلا أنه يمكن القول بأن كلا الاتجاهين فى التأثير موجودان . كما أنه لم يثر أى اعتراض حول التفسير الذى يسوقه هارنجتون وآخرون (١٩٧٨) ,.Harrington, et al من أن عجز الولد الصغير عن حل المشكلات قد يثير عدوانية أبيه ورفضه له . إلا أنه لا يمكننا أن نتأكد من أن عدوانية الأب هى التى تعوق قدرة الولد على حل المشكلات . ومع ذلك فإنه يبدو كما يتضح من هذا الفصل الحالى أن اتجاه التأثير يكون من الشخص الراشد إلى الطفل .

٢ - أوجه القصور الخاصة بالدراسات التى تناولت الأب فقط :

ربما يكون أكثر أوجه القصور حدة فى البحوث التى يتضمنها التراث السيكلوجى حول دور الأب فى النمو العقلى للطفل هو ذلك الذى يتمثل فى عدم وجود دراسات

تبحث فى دور السلوك الأبوى على المدى البعيد على ذلك الجانب من جوانب نمو الطفل والتى يتم من خلالها القيام بالملاحظات المتكررة لكل من سلوك الأم والأداء المعرفى للأطفال وذلك مقارنة بدراسة بيركلى Berkeley النمائية أو دراسة مركز فيلز Fels للبحوث . ومن هنا لا توجد أى بيانات أو نتائج ارتباطية تتعلق بسلوك الأب والقدرة العقلية للأطفال خلال تلك السنوات التى قد يستغرقها إجراء هذه الدراسة أو تلك .

وهناك وجه ثان من أوجه القصور يتعلق بتلك الدراسات التى أجريت على الأب فقط يتمثل فى أن العديد من الدراسات وخاصة تلك التى أجريت قبل عام ١٩٧٤ تميل إلى التركيز على الآباء وتستخدم البيانات التى تم الحصول عليها بشكل كلى إما من الأمهات أو من الأطفال . وقد يرجع ذلك إلى إمكانية مقابلة كل من ربات البيوت والطلاب فى أغلب الأحيان . ومن الجدير بالذكر أن آراء الأمهات فى سلوك الآباء تساوى فى أهميتها إدراك الأطفال لذلك ، ومع هذا فإن تلك المعلومات لا يمكن لها أن تحل محل الملاحظة المباشرة للآباء أو لتلك الآراء التى يعبر عنها الآباء بشكل مباشر حيث لا تعتبر البيانات التى يتم الحصول عليها من مختلف أعضاء الأسرة متماثلة ، ولا يمكن بالتالى استخدامها بشكل تبادلى .

وثمة وجه ثالث من أوجه القصور تلك يتعلق بالأب يتمثل فى أن العديد من الدراسات التى تتناول تربية الأب للأطفال تتضمن الأمهات إلى جانب تفاعل الآباء مع الأطفال ، ونادرًا ما يتم استخدام هذا الأسلوب فى الدراسات التى تتناول سلوك الأم . كما أنه من الصعب أن نعلم كيف يتصرف الأب مع الطفل إذا لم تكن الأم موجودة معهما . إلا أن هناك دراسات قليلة قد تناولت التفاعل التلقائى للأب مع الطفل بمفرده وتفاعله هذا مع الطفل فى وجود الأم ، وتمت بناء على ذلك مقارنة سلوك الأب فى الحالتين . فدرس لام (١٩٧٦، ١٩٧٧-أ) Lamb على سبيل المثال سلوك التعلق والانتماء من جانب الأطفال الصغار الذين تقل أعمارهم عن ثمانية عشر شهرًا فى حالة وجود أحد الوالدين فقط وفى حالة وجود كلا الوالدين . إلا أن التركيز فى هاتين الدراستين كان على سلوك الطفل ، ولم يسمح التصميم المعملى لتلك الدراستين للآباء بالتفاعل على حريتهم مع الأطفال . وتوضح النتائج التى تم التوصل إليها وجود أنماط ارتباطية مختلفة بين سلوك الأب وسلوك الطفل حيث كان كل من الآباء والأطفال يتفاعلون معًا بتلقائية فى وجود الأم أو غيابها .

وقد تتشابه هذه النتائج مع تلك التى تمت ملاحظتها فيما يتعلق بسلوك الأم فى حالة وجود الأب أو غيابه (Lamb, 1979; Lytton, 1979; Clarke-Stewart, 1978) إذ أن الرجل الذى يؤدى دور الزوج والأب قد يظهر بشكل تلقائى سلوكًا يختلف عما يظهره ذلك الرجل الذى يؤدى دور الأب فقط فالآباء الذين يؤدون دورهم بكفاءة أمام زوجاتهم قد يشعرون بأنهم مجبرين على الوفاء بحاجات زوجاتهم إضافة إلى - أو بدلاً من - الوفاء بتوقعاتهم هم أنفسهم أو بتوقعات أطفالهم . وبذلك قد يكون هناك ميل لأن يقوم الأب بدور الوالد الذى يقوم بشدة وصرامة على تهذيب أطفاله ، أو بدور الوالد الذى يغدق عليهم بالحب وذلك عندما تكتفى الأم بالقيام بدور المتفرج فقط ، ولكن ذلك لا يكون فى غيابها بل فى وجودها أمام الأطفال ومعهم . إلا أننا لا ندرى بالتحديد ما إذا كان وجود الأم عند هذه النقطة يثير سلوك الأب تجاه أطفاله ليصبح فى أفضل حالاته وذلك بنفس الطريقة التى يبدو من خلالها أن وجود الأب يثير سلوكًا إيجابيًا من جانب الأم تجاه الأطفال (Lytton, 1979) . ومن المحتمل أن تتطابق الأساليب التى تصدر عن الزوج أو القرين فى تهذيب الأطفال مع تلك التى تصدر عن الأسرة كوحدة على الأقل فيما يتعلق بالأطفال الأصغر سنًا الذى يتميزون بالعناد .

ومن الجدير بالذكر أن السياق الاقتصادى الذى يحدث فيه السلوك يعتبر من النقاط المعقدة التى تتعلق فقط بدراسة الأب إذ لا يزال الوصف الذى قدمه بارسونز وبيلز (١٩٥٥) Parsons & Bales للأب على أنه يقوم بالدور الوسيلى فى الأسرة صادقًا إلى حد كبير على الرغم من تغير الظروف من حولنا . ولا يزال الأب بالنسبة للأسرة يمثل فى الأساس حلقة الوصل بينها وبين عالم العمل خارج نطاقها ، كما تتوقف مكانته فى الأسرة بدرجة كبيرة على قدرته على القيام بهذا الدور حيث يرى ستروديبك (١٩٥٨) Strodtbeck أن النجاح المهنى للأب يعتبر شيئًا ضروريًا يدعم سلطته داخل المنزل ، أما إذا فشل الأب فى تلبية حاجات الأسرة للطعام أى فى توفير ما يلزم أسرته من طعام وهو ما ينتج بطبيعة الحال عن مدى تكيفه بنجاح خارج المنزل فإن ذلك يقوض من مدى سلطته داخل المنزل . ونظرًا لأن العديد من الباحثين يرون أن سلطة الأب تعتبر بمثابة عامل وسيط لقيام الطفل باتخاذ الأب كنموذج له فإن الوضع الوظيفى للأب قد يؤثر بالتالى على مدى تأثير الأب على أطفاله . وقد لوحظ وجود فروق عنصرية وعرقية أخرى تعود إلى الطبقة الاجتماعية وذلك فيما يتعلق بهذه النقطة . ويوضح شولز (١٩٦٩)

Schulz أن العديد من الآباء السود يلعبون دورًا تعبيريًّا فى الأسرة لا يعتمد على الوضع الوظيفى لأى منهم . وإذا ما تغاضينا عن الحرمان المادى الملاحظ الذى تتعرض له الأسرة نتيجة بطالة الأب أو قيامه بعمل بسيط فإننا فى الوقت الراهن لا نعلم سوى القليل جدًا عن الكيفية التى يمكن أن يتأثر بها النمو المعرفى للطفل بذلك .

وهناك مشكلة أخرى تعترض فهمنا لدور الأب فى النمو المعرفى للطفل تتمثل فى كثرة البيانات والنتائج المأخوذة من الأبحاث التى تقيس تأثير الأب على نمو الطفل وذلك عن طريق غيابه . فيقدم هيرزوج وسوديا (١٩٧٠) Herzog & Sudia دليلاً قويًّا على أن ما نعرفه عن تأثير غياب الأب فى حد ذاته على الطفل ليس سوى القليل نظرًا لوجود العديد من المتغيرات الأخرى التى تدحض هذه النتائج التى توصلت إليها تلك الدراسات . ومن بين هذه المتغيرات يمكن أن نحدد ما يلى ؛ رد فعل الأعضاء الآخرين فى الأسرة لغياب الأب ، والعلاقة التى كانت تربط الأب قبل غيابه بالأم ، والتى كانت تربطه أيضًا بالطفل ، والوضع الاقتصادى للأسرة ، وعمر الطفل عند بداية غياب الأب ، وسبب غياب الأب ، والنظام المتاح فى الوقت الراهن أمام الطفل لكى يتلقى من خلاله الدعم والتأييد والمساندة . كما أن هناك متغيرات أخرى تقلل من أثر الطلاق على الأطفال كالنظام المتبع فى الوصاية عليهم أو رعايتهم (Santrock & Warshak, 1979) والتريب الميلادى للأطفال من كل جنس (Sutton-Smith, et al., 1968) . ويذهب بيدرسون (١٩٧٦) Pederson إلى أبعد من ذلك فيرى أن نموذج البحوث الذى يتم من خلاله مقارنة أسر يغيب عنها الأب بأسر أخرى لم يغب عنها قد استمر بشكل يفوق الفائدة المرجوة منه . ومن المحتمل أن يكون مثل هذا الرأى مبالغًا فيه أو متطرفًا إذ أن هناك بعض النتائج الثابتة التى أظهرتها بعض الدراسات الحديثة التى تتميز بمنهجيتها الجيدة ، إلا أنه لا توجد أى تساؤلات تدل على أن هناك حاجة للتعرف على أثر الأب عندما يكون موجودًا مع الطفل وذلك فى مقابل التركيز على الشخص الذى لم يعد موجودًا أمامه . وأخيرًا فإن الكثير من المعلومات المتاحة حاليًا عن أثر الأب على الكفاءة المعرفية للطفل تعتبر متناقضة ، وقد يرجع ذلك جزئيًّا إلى اختلاف العينات وطرق البحث المتبعة فى تلك الدراسات .

ويؤكد بنج (١٩٦٣) Bing وسيرز (١٩٦٥) Sears ولايتون (١٩٧٣) Lytton وغيرهم على حقيقة أنه قد تم التوصل إلى نتائج مختلفة من دراسة العلاقة التى تنشأ بين الأب والطفل عند استخدام استراتيجيات مختلفة للبحث . ومع ذلك فقد ظهرت بعض الاتجاهات التى نالت الكثير من التأييد فى هذا الصدد وسوف نناقش هذه الاتجاهات أولاً يليها الاتجاهات الأقل منها بروزًا والنتائج التى تم التوصل إليها .

أهم الاتجاهات التى تتناول دور الأب فى النمو العقلى والمعرفى للطفل :

أولاً : العلاقة بين الآباء والأبناء :

تتمثل أكثر الموضوعات بروزًا فى الوقت الراهن فيما يتعلق بدور الأب فى النضج العقلى لأطفاله فى أن العلاقة التى تجمع بين الأب وأولاده البنين تعتبر أقوى من تلك العلاقة التى تجمع بينه وبين بناته . ويبدو أن هناك سببين محتملين لهذه الظاهرة يتمثل أولهما فى أن البنين خاصة فيما بين الرابعة والتاسعة من أعمارهم يميلون إلى التوحد مع النموذج الذى يمثله الأب بالنسبة لهم . أما ثانيهما فيتمثل فى أن الأب يبدو أنه هو الآخر يقوم بالتوحد مع أولاده البنين لدرجة تجعله يتفاعل معهم بطريقة تختلف عن تلك التى يتفاعل بها مع بناته إذ يصبح الأب أكثر انغماسًا فى تلك الأنشطة التى يقوم بها ابنه الصغير وفى قدراته وأنماط سلوكه .

وفيما يتعلق بتوحد البنين مع آبائهم يؤكد بعض علماء النفس من أنصار نظرية التعلم الاجتماعى أمثال جيويرتز وستنجل (١٩٦٨) Gewirtz & Stingle وميشيل (١٩٧٠) Mischel أن الولد يقوم بتقليد أبيه نظرًا لمكافأة الأب له من جراء قيامه بذلك . وعلاوة على هذا فإنه نظرًا لأن السلوك الأكثر ثباتًا يصدر عن برنامج للتعزيز الدورى يصبح من المحتمل أن ينتج عن التعزيز القليل نسبيًا قدر معقول من التقليد من جانب الطفل . وحيث أن أنماط السلوك التى تتم مكافأة الطفل عليها بشكل مستمر تتطلب فى حد ذاتها قيمة تعزيزية فهناك من أنصار نظرية التعلم الاجتماعى من يرى أن التقليد فى حد ذاته قد يصبح مكافأة كما يرى باير وشيرمان (١٩٦٤) Baer & Sherman ويؤكد باندورا (١٩٦٢) Bandura على العمليات المعرفية ، ويرى أن النمذجة يمكن أن تحدث حتى بدون مكافأة خارجية ، ويصف التوحد بأنه مرادف للتقليد إذ يتضمن كلاهما مطابقة السلوك والاتجاه وردود الفعل الانفعالية مع النماذج المتاحة . فى حين قام منظرون آخرون لنمو الأطفال أمثال سيرز (١٩٥٣) Sears ومسن ورزارفورد (١٩٦٣)

Mussen & Rutherford وكاجان (١٩٦٨) Kagan بمناقشة العلاقة بين التعزيز والتقليد بطريقة أخرى فيرون أن الأطفال يقومون بتقليد النماذج التى تتسم برعايتها لهم ومكافأتهم . وتتميز مثل هذه النمذجة بالقوة خاصة ما يتعلق منها بالنماذج التى تشبههم هم أنفسهم .

وطبقًا لما يراه ماورار (١٩٥٠) Mowrer فيما يتعلق بالتوحد الآخذ فى النمو فإن الأطفال يقومون بتبنى السمات الوالدية وذلك إلى الحد الذى يصبح الوالد عنده مصدرًا هامًا للرعاية والمكافأة حيث يصبح الأطفال عن طريق قيامهم بتقليد مصدر التعزيز يصبحون هم القائمين أساسًا على التعزيز بالنسبة لأنفسهم . وبذلك يصبح من المحتمل أن يقوم الأطفال البنون بتقليد آبائهم الذين يتميزون بحبهم لهؤلاء الأطفال وبالدفء العاطفى حتى وإن لم تتم مكافأة هؤلاء الأطفال على قيامهم بذلك .

ويعرض نيلسين وماكوبى (١٩٦٦) Nelsen & Maccoby لنمط آخر للتوحد هو التوحد مع الشخص القائم بالعدوان أو مايعرف بالتوحد الدفاعى كما يسميه ماورار (١٩٥٠) Mowrer حيث يرى أن التوحد الدفاعى يعتبر دالة للتهديد الذى يتسم به الوالد . ويعبر نيلسين وماكوبى (١٩٦٦) عن نفس الفكرة بشكل آخر فيريان أن الأولاد البنين يتوحدون مع الأب الذى يخافونه وذلك بغرض الإقلال من مقدار القلق لديهم ، فى حين يركز أطفال آخرون على سلطة الأب بدلاً من الخوف منه حيث وجد مسن ودستلر (١٩٦٠) Mussen & Distler وهيذرنجتون وفرانكاى (١٩٦٧) Hetherington & Frankie أن سلطة الأب أو السيادة التى يفرضها على المنزل تدعم وتعزز قيام الولد بالتوحد معه . ويرى كولبرج وزيجلر (١٩٦٧) Kohlberg & Zigler أن الأولاد البنين يجب أن يقوموا بتطوير مفهوم لثبات الهوية وذلك قبل أن يقوموا بالتوحد مع آبائهم . وبمجرد أن يعلم الطفل أن جنسه ثابت لا يتغير فإنه يبحث عن شخص ما من نفس جنسه ليتخذه نموذجًا له ، وغالبًا ما يكون ذلك الشخص هو الأب الذى يقوم الولد بالتوحد معه فى النهاية . وأخيرًا يرى ماكوبى وجاكلين (١٩٧٤) Maccoby & Jacklin أن التوحد الجنسى واتخاذ شخص من نفس الجنس كنموذج يقومان على المبادرة من جانب الطفل وليس من جانب الشخص الراشد إذ أنها تعتبر نتاجًا للتنشئة الاجتماعية الذاتية Self-Socialization للصغير والتى تظهر بشكل بدائى منذ وقت مبكر فى حياته وذلك منذ الثالثة من عمره .

ويبدو أن هناك اختلافًا بين المنظرين والباحثين حول أساس التوحد ، إلا أن هناك بعض الاختلاف حول حقيقة أن الأطفال البنين الأصغر سنًا يتوحدون مع آبائهم ويقلدونهم ويتخذونهم كنماذج لهم . ومع قيام الأولاد البنين بالتوحد مع آبائهم تصبح اتجاهاتهم وقيمهم وأدوارهم وإشاراتهم وردود أفعالهم الانفعالية واستراتيجياتهم فى حل المشكلات وعمليات التفكير لديهم ومفرداتهم اللغوية مضاهية لتلك التى يتميز بها آباؤهم . وتعمل تلك المضاهاة أو التناظر بين السلوك العقلى للطفل ومثيله لدى الشخص الراشد (الأب) على تدعيم وتعزيز النمو المعرفى للأولاد البنين الأصغر سنًا .

وفما يتعلق بالتوحد المضاد Counter identification أى توحد الوالد مع الطفل من نفس الجنس فقد وجد كل من روثبارت (١٩٧١) Rothbart وماكوبى وجاكلين (١٩٧٤) Maccoby & Jacklin وأبيرل ونايجل (١٩٥٢) Aberle & Naegele وسيرز Sears (نقلاً عن ماكوبى وجاكلين ١٩٧٤) وجيويرتز وجيويرتز (١٩٦٨) Gewirtz & Gewirtz وجدوا أدلة تؤكد ذلك . وقد يفسر هذا التوحد المضاد جزئيًا الملاحظة التى تدل على قلق الأب وانزعاجه عندما يكون طفله المتخلف ولدًا (Farber, 1962) ، ويتسم رد فعله بالتطرف . ويتميز الأب بالتالى إما بالانغماس الكلى مع الطفل أو بالانسحاب الكلى عنه (Price-Bonham & Addison, 1978) . ويعرض أبيرل ونايجل Aberle & Naegele لتوحد الوالد مع طفله من نفس جنسه بشئ من الاستطراد فيريان أنه عندما يمثل الموقف الراهن للأب الموقف المستقبلى المحتمل لابنه فإن السلوك الراهن للولد قد يمثل الماضى بالنسبة للأب أى ماضى الأب . ومن المحتمل أن تكون المشكلات التى يلاحظها الأب لدى ابنه فى الوقت الراهن قد تم التغلب عليها بنجاح من جانب الأب فى الماضى . وأحيانًا ما يكون قد تم له ذلك بعد الصراع معها مما يعمل على إثارة تلك المشكلات مع ابنه فى الوقت الراهن بطريقة لا شعورية . وبذلك فإن التوحد قد يزيد من حدة درجة محاولة الأب فى مواجهة أنماط السلوك المضطرب لدى ابنه وفى محاولته فى الوقت ذاته إخماد تلك الميول لديه هو شخصيًا .

ومن الجدير بالذكر أنه من الممكن ربط مثل هذا التوحد المضاد بالنتائج التى توصل إليها كل من لين (١٩٧٤) Lynn وماكوبى وجاكلين (١٩٧٤) Maccoby & Jacklin وفاجوت (١٩٧٨) Fagot وتوبر (١٩٧٩) Tauber وغيرهم من أن الآباء يولون قدرًا من التأكيد أكبر مما توليه الأمهات لأنماط السلوك المنمطة جنسيًا والتى تصدر عن أطفالهم وخصوصًا البنين منهم .

وقد يساعد التوحد المضاد الذى يقوم به الأب فى تفسير الأدلة الثابتة التى ترى أن الآباء يولون اهتمامًا بأطفالهم البنين أكثر من البنات إذ اكتشف بلسكى (١٩٧٩) Belsky على سبيل المثال من خلال ملاحظته لأطفال أربعين أسرة من الطبقة المتوسطة يبلغون خمسة عشر شهرًا من أعمارهم أن الآباء يفضلون التحدث إلى أطفالهم البنين والتفاعل معهم ، ولاحظ وينروب وفرانكل (١٩٧٧) Weinraub & Frankel أن كل والد يميل إلى التحدث مع الطفل من نفس جنسه واللعب معه وذلك فى موقف معملى للعب الحر يضم بنين وبنات فى الشهر الثامن عشر من أعمارهم إضافة إلى آبائهم وأمهاتهم . كما يريان أن مثل هذا الاهتمام المتميز قد يعكس توحدًا مع الطفل من نفس الجنس . وتتفق هذه النتائج مع تلك التى توصل إليها لام (١٩٧٧ - ب) Lamb ولام ولام (١٩٧٦) Lamb & Lamb حيث وجدوا أن الأب يجعل نفسه ذا أهمية كبيرة للطفل خلال العام الثانى من عمر هذا الطفل حيث يصبح فى تفاعله مع البنين من أطفاله أكثر فاعلية منه مع البنات .

ومن ناحية أخرى وجد باحثون آخرون أن الآباء يبدون تفضيلاً واضحًا لأطفالهم البنين منذ اللحظة التى يولد فيها هؤلاء الأطفال ، فلاحظ باركى وساوين (١٩٧٦) Parke & Sawin أن الآباء كانوا يلمسون أطفالهم البنين من ذوى الترتيب الميلادى الأول ويتحدثون معهم أكثر مما يفعلون مع البنات من ذوات نفس الترتيب الميلادى . ونتيجة لذلك انتهى الباحثون إلى وجود أساس واضح لتفضيل الآباء للبنين وخصوصًا ذوى الترتيب الميلادى الأول ، كما لاحظ هؤلاء الباحثون أيضًا استمرار ذلك التفضيل للبنين خلال الشهور القليلة التالية فوجد باركى وساوين (١٩٨٠) Parke & Sawin أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء أن يقوموا بتدليل أطفالهم البنين وإطعامهم بشكل يفوق ما يفعلونه مع بناتهم .

ومن الأكثر احتمالاً بالنسبة للتوحد المضاد أن يسهل حدوث النضج المعرفى للولد الصغير ولا يعوقه وذلك على الرغم من أن الاحتمال العكسى لا يزال قائمًا . فإذا أدى التوحد المضاد الذى يقوم به الأب إلى قضائه لمقدار أكبر من الوقت مع ابنه وتشجيعه على مواصلة تقدمه الأكاديمى وقيامه بالأفعال التحببية مع طفله كالتفاعل الجسدى النشط معه على سبيل المثال (e.g. Clarke-Stewart, 1978) أو مشاركته فى الألعاب المثيرة وغير

النمطية (Lamb & Lamb, 1976) يصبح من شأنه بطبيعة الحال أن يسهل من حدوث النضج المعرفى . ومع هذا فإذا أدى التوحد المضاد إلى سلوك ناقد واستبدادى من جانب الأب تصبح له آثار سلبية على الطفل . إلا أن التراث السيكولوجى بما يتضمنه من بحوث ودراسات يؤكد أن مثل هذه الظاهرة تعتبر نادرة نسبيًّا .

وفى الوقت الذى يقترب فيه الولد من مرحلة المراهقة تظهر مشكلة محتملة ذات طبيعة مختلفة إذ يرى روزين وداندريد (١٩٥٩) Rosen & D'Andrade أن الأولاد البنين وآباءهم قد ينظر كل منهما إلى الآخر على أنه منافس له . ويؤكد ماكوبى وجاكلين (١٩٧٤) Maccoby & Jacklin هذا الرأى إذ يريان أن الآباء قد يبدأون فى معاملة الأطفال الأكبر سنًا بالطريقة التى تجعل منهم راشدين ينتمون سيكلوجيًّا إلى نفس الجنس . إلا أن هناك بعض الحذر يتعلق بالإعجاب بالطفل من الجنس الآخر وبالتنافس مع الطفل من نفس الجنس . ومن الأكثر احتمالاً أن يكون هذا الوضع التنافسى للأب عاملاً حاسمًا بالنسبة للأداء المعرفى للولد خاصة إذا لم يتم كبح جماح عدائية الأب وسلطته . ومع ذلك يمكننا أن نقول بوجه عام أن الأولاد الأصغر سنًا يتسمون بالحساسية لسلوك آبائهم وبالتالى تكون استجاباتهم لآبائهم أكثر قوة من استجاباتهم لأمهاتهم مما يجعل الآباء حساسين لسلوك أولادهم البنين ومتعاطفين معهم ، كما يتفاعلون معهم بطريقة أكثر تمييزًا من تلك التى يتفاعلون بها مع البنات .

وهناك مجموعة من البحوث تم تلخيصها قد توصلت إلى وجود علاقة بين سلوك الأب أو وجوده مع الأطفال وعدم غيابه عنهم وبين النمو المعرفى للبنين الأصغر سنًا . ويمكننا تفسير ما توصلت إليه من نتائج فى ضوء توحد البنين مع آبائهم والتنافس الذى يتم بين كلا الطرفين . وسوف نعرض هذه النتائج عند تناول النقاط التالية . ومن ناحية أخرى فقد وضعنا فى اعتبارنا أيضًا عند تفسير تلك النتائج إمكانية حدوث ما يعرف بالتوحد المضاد . وعلى الرغم من أن البعض من تلك الدراسات قد تناولت الأطفال الأكبر سنًا فهناك من الباحثين أمثال روزين وداندريد (١٩٦٧) Rosen & D'Andrade ودايك وويتكين (١٩٦٥) Dyk & Witkin من يرى تلميحًا أو تصريحًا أن سلوك الأب الذى تم قيامه فى وقت ما قد حدث قبل ذلك بفترة . وبذلك تعكس تلك النتائج عملية تطورية اتضحت نتائجها فى الوقت الذى أجريت فيه تلك الدراسات .

وقد تناولت هذه الدراسات بعض المتغيرات الهامة كالتالى :

١ - كم العلاقة بين الأب والطفل :

يرى بيدرسون وآخرون (١٩٧٣، ١٩٧٩) Pederson, et al., أن مقدار التفاعل بين الأب والطفل بالنسبة للبنين السود الذين تتراوح أعمارهم بين خمسة إلى ستة أشهر يرتبط إيجابًا بمقاييس الأداء المعرفى للبنين كما تدل عليه درجاتهم فى مقاييس النمو العقلى والنمو النفس حركى من اختبارات بيلى Bayley لنمو الطفل على سبيل المثال . أما الارتباطات التى تدل عليها درجات البنات على نفس المقاييس فلم تكن دالة . ونظرًا لعدم وجود فروق فى أنماط سلوك الأمهات يرى هؤلاء الباحثون أن العلاقة بين الأب والولد كانت علاقة مباشرة ولم تتطلب وساطة من جانب الأم . ومع ذلك فلم تتضمن تلك الدراسة فرضًا يتناول طبيعة هذه العلاقة باستثناء تلك العلاقة السلبية التى نشأت عن صغر سن الأطفال الذى لم يمكنهم من القيام بالنمذجة المطلوبة لأى شخص . ويمكننا تفسير تلك النتائج فى ضوء قيام الآباء بالتوحد وما ينتج عنه من أنماط سلوك مختلفة من جانب آباء البنين ومن جانب آباء البنات . إلا أن طبيعة ذلك التفاعل - وبالتحديد مقداره - بين الأب والطفل لم تتم دراستها . ومن المحتمل أنه كما يختلف سلوك الأب من الناحية الكمية تجاه الأولاد والبنات الذين يبلغون الرابعة من أعمارهم (Radin & Epstein, 1975a) فإن سلوكه تجاه الأولاد والبنات الذين يبلغون الشهر السادس من أعمارهم قد يختلف أيضًا وذلك فيما يتعلق بالأسر السوداء على الأقل.

وتعطى دراسة الأطفال الأكبر من ذلك ببضع سنوات دليلاً إضافيًا حول الارتباط بين مقدار الوقت الذى يقضيه الأب مع أولاده البنين وبين مدى كفاءتهم المعرفية . فيوضح ريس وجولد (١٩٧٧) Reis & Gold فى تلك الدراسة التى أجرياها على البنين البيض الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة ، وكان آباء بعضهم أكثر تواجدًا بالمنزل فى حين كان آباء البعض الآخر أقل تواجدًا وذلك بناء على استجابات هؤلاء الآباء للاستبيان المستخدم ، وتم تطبيق ثلاث من مهام حل المشكلات على الأطفال الذين يشكلون فى مجملهم عينة هذه الدراسة، وأوضحت النتائج وجود ارتباط دال بين إحدى هذه المهام وبين مدى تواجد الأب بالمنزل . وعلاوة على ذلك فقد اتضح أنه بالنسبة لتلك الأسر التى تتميز بارتفاع معدل تواجد الأب بالمنزل أنه توجد علاقة ارتباطية دالة بين مدى

تواجد الأب بالمنزل وبين درجات البنين فى المهام الثلاث المستخدمة . وكان الارتباط الوحيد الذى يدل على تناقض ظاهرى على الرغم من أنه قد يكون صحيحًا قد اتضح لدى مجموعة الأطفال الذين يتسمون بانخفاض معدل تواجد آبائهم بالمنزل حيث وجدت علاقة سالبة ودالة إحصائيًا بين درجات الأطفال على إحدى المهام المستخدمة وبين مدى تواجد الأب بالمنزل خلال الأسبوع . ويرى الباحثان أن هذه النتيجة قد ترتبط باستجابات الأب للأداء الضعيف من جانب الطفل ، أو إلى النوعية الرديئة التى قد يتسم بها سلوك الأب تجاه أولاده البنين الذين تتضمنهم هذه المجموعة . وتدل نتائج هذه الدراسة إجمالاً على أنه بالرغم من أنه كلما ازداد معدل تواجد الأب بالمنزل تحسنت قدرة الولد الصغير على حل المشكلات فإن هذه العلاقة تزداد قوة فى حالة ارتفاع معدل انغماس الأب فى حياة أولاده البنين الأصغر سنًا ومشاركتهم فيها . وسواء كان ذلك يرجع إلى زيادة فهم مثل هؤلاء الآباء لأولادهم أو إلى عامل انتقائى لا يمكن تحديده فى الوقت الراهن يختار الآباء الأكثر حساسية لأبنائهم البنين بناء عليه أن يقضوا وقتًا أطول مع هؤلاء الأطفال البنين .

ومن ناحية أخرى وجد بلانشرد وبيلر (١٩٧١) Blanchard & Biller عند قياسهما لأثر مستويات مختلفة لمدى تواجد الأب بالمنزل على الأداء الأكاديمى للبنين بالصف الثالث الابتدائى الذين ينتمون إلى الطبقة العاملة والشريحة المنخفضة من الطبقة المتوسطة ، وقاما بتثبيت متغيرات عمر الطفل ، ونسبة ذكائه ، والمستوى الاقتصادى الاجتماعى للأسرة ، ومدى علاقة الأخوة ببعضهم ، وجدا أن الأولاد الذين يتسمون بارتفاع معدل تفاعل آبائهم معهم (أكثر من ساعتين فى اليوم الواحد) قد حصلوا على درجات فى المدرسة أكثر ارتفاعًا من أقرانهم الذين يقل معدل تفاعل آبائهم معهم (أقل من ست ساعات فى الأسبوع) . وعند مقارنة أداء أفراد المجموعات الأربع الذين تضمنتهم هذه الدراسة وهم :

١ - أطفال غاب عنهم آباؤهم فى سن مبكرة من حياتهم أى قبل بلوغهم الخامسة من أعمارهم .

٢ - أطفال غاب عنهم آباؤهم فى سن متأخرة نسبيًا من حياتهم أى بعد بلوغهم الخامسة من أعمارهم .

٣ - أطفال ينخفض معدل تواجد آبائهم بالمنزل أى أقل من ست ساعات فى الأسبوع .
٤ - أطفال يزداد معدل تواجد آبائهم بالمنزل أى أكثر من ساعتين فى اليوم الواحد .

وعند مقارنة أداء أفراد هذه المجموعات اتضح أنه من الممكن ترتيب تلك المجموعات بحسب درجات أفرادها فى المدرسة وذلك بعد تثبيت المتغيرات التى تم تناولها سلفًا كما يلى :

أ - الأطفال الذين يزداد معدل تواجد آبائهم بالمنزل حيث كانوا يتسمون بالتفوق وكان أداؤهم متميزًا .

ب - الأطفال الذين غاب عنهم آباؤهم فى سن متأخرة نسبيًا من أعمارهم أى بعد بلوغهم الخامسة ، والأطفال الذين يقل معدل تواجد آبائهم بالمنزل إذ كان أداؤهم فى المدرسة يقل عن مستوى صفهم الدراسى .

جـ - الأطفال الذين غاب عنهم آباؤهم فى سن مبكرة من حياتهم أى قبل بلوغهم الخامسة من أعمارهم حيث كانوا بوجه عام من بين أولئك الذين يمكن وصفهم بأنهم منخفضو التحصيل .

أما سبب غياب الأب أو رد فعل الأم لغياب الأب فلم يتم تناوله أو قياسه فى هذه الدراسة فى حين تم تثبيت العديد من المتغيرات المختلفة والتى تمت الإشارة إليها سلفًا وهو ما أعطى بطبيعة الحال لهذه الدراسة أهمية كبيرة بين تلك الدراسات التى تناولت هذا الموضوع .

وهناك دراسة أخرى أجريت على أطفال الصفين الثالث والرابع الابتدائى الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة قد توصلت إلى نتائج مشابهة حيث اتضح أن معدل الوقت الذى يقضيه الأب فى تفاعل مع أطفاله وإشراف عليهم يرتبط إيجابًا بتقديرات المعلمين للمهارات المعرفية لهؤلاء الأطفال فى حين يرتبط معدل الوقت الذى تقضيه الأم فى نفس الأنشطة سلبًا بنفس تقديرات المعلمين (Ziegler, 1979) .

وتؤكد النتائج التى توصلت إليها كارل سميث (١٩٦٤) Carl Smith تلك النتائج التى كشفت عنها الدراسة التى أجراها بلانشارد وبيلر Blanchard & Biller من أن الغياب المبكر للأب يؤثر على الأداء العقلى للبنين بشكل يفوق ما يسببه غيابه فى وقت متأخر نسبيًا من عمر الطفل . وفى دراستها تلك استخدمت كارل سميث مقياس

College Board Aptitude وطبقته على البنين بالمدارس العليا (الثانوية) الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة ، ووجدت من خلال درجاتهم على هذا المقياس أنه كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة لأولئك البنين الذين غاب عنهم آباؤهم فى وقت مبكر من حياتهم أن يحصلوا على درجات تدل على نمط أنثوى وذلك عند مقارنتهم بأقرانهم الذين غاب عنهم آباؤهم فى وقت متأخر نسبيًا من حياتهم أى أنهم قد حصلوا على درجات فى الاستعدادات اللغوية أعلى من درجاتهم فى الاستعدادات الرياضية . وقد ارتبط حدوث ذلك النمط الأنثوى سلبًا بعمر الطفل عند بداية غياب الأب ، كما ارتبط إيجابًا بطول مدة الغياب . وقد أرجعت الباحثة تلك النتائج إلى توحد الدور الجنسى . ومن ناحية أخرى افترضت أن تكرار حدوث النمط الأنثوى للاستعدادات اللفظية وزيادتها عن الاستعدادات الرياضية لدى البنين الذين غاب عنهم آباؤهم فى وقت مبكر من حياتهم يرجع إلى توحد هؤلاء البنين مع أمهاتهم بدلاً من توحدهم مع آبائهم الذين غابوا عنهم حيث يعكس هذا النمط الأنثوى للاستعدادات (ارتفاع درجات الاستعدادات اللغوية عن الاستعدادات الرياضية) فى أساسه اتجاهًا مفاهيميًا أنثويًا . والأكثر من ذلك فهى ترى أن الأساليب المعرفية التى تتكون خلال ذلك الوقت يتم الإبقاء عليها خلال مرحلتى الطفولة والمراهقة على الرغم من عودة الأب إلى الأسرة . وبذلك يتضح وجود قدر كبير من التماثل بين وجهة نظر كارل سميث هذه عن دور الأب فى النمو المعرفى للطفل وبين وجهة النظر التى نعرض لها خلال الفصل الحالى . كما تفترض كلتا الوجهتين أن الأسلوب المعرفى يمكن أن يتكون بشكل يتفق تمامًا مع الطريقة التى يظهر بها أى أسلوب سلوكى آخر .

وثمة دراسة أخرى أحدث من تلك الدراسة أجريت على طلاب المدرسة العليا (الثانوية) وآبائهم تميل إلى تأكيد وجهة النظر التى ترى أن مقدار التواصل بين الأب وأولاده البنين يرتبط إيجابًا بأداء هؤلاء البنين على مقاييس الكفاءة المعرفية وذلك لدى الأسر الغنية نسبيًا على الأقل إذ وجد كل من جولد وأندريز (١٩٧٨) Gold & Andres فى دراستهما عن أثر عمل الأم على المراهقين الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤-١٦ سنة وجدا أنه بالنسبة للبنين الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة كانت التقديرات المباشرة للآباء عن تفاعلهم مع أطفالهم ترتبط إيجابًا وبشكل دال إحصائيًا بالدرجات التى كشفت عنها التقارير الذاتية للبنين . إلا أن تلك العلاقة لم تكن دالة بالنسبة للبنات اللائى تنتمين إلى الطبقة المتوسطة ولا بالنسبة للبنات والبنين الذين ينتمون إلى الطبقة العاملة .

٢ - كيف أو نوعية العلاقة بين الأب والطفل :

يرى نيلسن وماكوبى (١٩٦٦) Nelsen & Maccoby من خلال إعادتهما لدراسة كارل سميث Carl Smith وذلك بغرض اختبار صحة الفرض التبادلى الذى يفسر درجات النمط الأنثوى لدى البنين الذين يغيب عنهم آباؤهم ، ومن خلال تناولهما للفرض الخاص بالتوتر أن التوتر والضغوط لها دورها فى الأداء المعرفى الذى يعتبر الأساس للقدرة الرياضية أكثر من دورها فى الأداء الخاص بالقدرة اللغوية . وهكذا فالتوتر الذى يسببه عدد من العوامل يمكن أن ينتج عنه هذا النمط الأنثوى للاستعدادات لدى البنين والذى تزداد معه استعداداتهم اللغوية عن استعداداتهم الرياضية . وللتأكد من صحة ذلك اختبر الباحثان الدرجات التى حصل عليها الطلاب المستجدون بالجامعة فى اختبار الاستعدادات الأكاديمية Scholastic Aptitude Test وربطا النمط الأنثوى للدرجات التى حصل عليها الطلاب بالخبرات المختلفة التى قرروا مرورهم بها مع والديهم . وتمثلت إحدى النتائج الأساسية التى توصلا إليها فى تأكيد وجهة نظر كارل سميث عن توحد الدور الجنسى . إلا أن هذا التأكيد قد اقتصر على البنين فقط ولم يصل الباحثان إلى تأكيد لوجهة النظر تلك فيما يتعلق بالبنات . ومما يؤكد ذلك أن البنين الذين كان يغيب عنهم آباؤهم أو الذين كان يغيب آباؤهم باستمرار عن المنزل لفترات طويلة قد حصلوا على درجات مرتفعة فى الاستعدادات اللغوية أكثر من درجاتهم فى الاستعدادات الرياضية وذلك عند مقارنتهم بأقرانهم الذين لم يغب آباؤهم باستمرار عنهم . وعلاوة على ذلك فقد كان البنون الذين قرروا أنهم يناقشون مشاكلهم الشخصية مع آبائهم وأنهم كانوا لا يخشون آبائهم قد مالت درجاتهم إلى الارتفاع فى الاستعدادات الرياضية بشكل يفوق درجاتهم فى الاستعدادات اللغوية . كما توصلا أيضًا إلى تأييد لما يعرف بالتوحد الدفاعى defensive identification حيث كان البنون الذين قرروا أنه كان يتم عقابهم من جانب الآباء فقط قد حصلوا على درجات فى الاستعدادات الرياضية أعلى من درجاتهم فى الاستعدادات اللغوية وذلك عند مقارنتهم بأقرانهم البنين الذين كان يتم عقابهم من جانب كلا الوالدين .

ووجد مولتايمر ولافلين وباول (١٩٦٦) Multimer, Laughlin & Powell أن البنين الذين تتراوح أعمارهم بين ثمانى سنوات واثنتا عشرة سنة ممن يجيدون القراءة كانوا

يفضلون البقاء مع آبائهم فى حين كانت البنات فى نفس العمر ممن كن تجدن القراءة تفضلن البقاء مع أمهاتهن . كما حصل شو ووايت (١٩٦٥) Shaw & White من دراستهما التى أجرياها على طلاب المدارس العليا من ذوى الذكاء فوق المتوسط حصلا على نتائج تشير إلى أن البنين الذين حصلوا على درجات أعلى من المتوسط فى الاستعدادات الرياضية قد أدركوا أنفسهم على أنهم أكثر شبهًا بآبائهم وذلك قياسًا بأقرانهم الذين كانت درجاتهم تقل عن المتوسط . وعلاوة على ذلك فقد أوضحت النتائج وجود ارتباط بين التقديرات الذاتية للآباء ومثيلاتها لدى أبنائهم البنين وذلك لدى مجموعة البنين مرتفعى التحصيل ، إلا أن هذا الارتباط لم يتوفر لدى مجموعة البنين منخفضى التحصيل . ومن ناحية أخرى فقد رأت البنات اللائى حصلن على درجات مرتفعة أنهن أكثر شبهًا بأمهاتهن من شبههن بآبائهن .

وقد توصل تيهان (١٩٦٣) Teahan إلى نتائج مشابهة وذلك فى دراسته التى قام فيها بالمقارنة بين مرتفعى ومنخفضى التحصيل من الطلاب البنين المستجدين بالجامعة فوجد أن البنين مرتفعى التحصيل قد أكملوا استبيانًا للاتجاهات بنفس الطريقة التى أكمل بها آباؤهم نفس الاستبيان ، فى حين اختلف ذلك لدى البنين منخفضى التحصيل . ومن جانب آخر كانت استجابات البنات مرتفعات التحصيل على الاستبيان ذاته تشبه استجابات أمهاتهن ، فى حين لم تكن استجابات البنات منخفضات التحصيل كذلك . ويرى الباحث أن الاختلاف الملاحظ فى الاتجاهات بين البنات منخفضات التحصيل والبنين منخفضى التحصيل وبين أمهاتهم وآبائهم قد يرجع إلى نقص محتمل فى التوحد مع والديهم .

وتؤكد النتائج التى توصل إليها أندرزلاند وكيمبال Andersland & Kimball العلاقة بين التوحد التطورى (النمائى) والكفاءة المعرفية للبنين الأصغر سنًا . ففى دراسة أندرزلاند (١٩٦٨) Andersland اتضح وجود علاقة بين الرفض من جانب الأب وانخفاض التحصيل من جانب البنين بالمدارس العليا ، إلا أن هذه العلاقة لم تتضح من جانب البنات بنفس المدارس . وفى دراسة كيمبال (١٩٥٢) Kimball اتضح أن البنين المراهقين مرتفعى الذكاء ممن تتميز علاقاتهم بآبائهم بالسوء قد حصلوا على درجات أقل مما حصل عليه أقرانهم الذين تتسم علاقاتهم بآبائهم بأنها متوسطة .

وفى دراستنا التى تقوم على ملاحظة أطفال ما قبل المدرسة (الروضة) (Radin, 1972a, 1973; Jordan, Radin & Epstein, 1975; Radin, Epstein, 1975a) اتضح وجود علاقة ارتباطية دالة بين الرعاية الأبوية والكفاءة المعرفية لدى الأطفال البيض وخاصة ممن ينتمون إلى الطبقة المتوسطة . وقد تم التأكد من هذه النتائج فى دراسة أكثر حداثة أجريت على تسع وخمسين أسرة من البيض الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة يختلفون فى معدلات انغماس الآباء فى حياة الأبناء ومشاركتهم إياها (Radin, 1978, 1980) . وقد ارتبطت استجابات الأب على استبيان يضم ست عبارات حول سلوكه المرتبط برعاية ابنه فى مرحلة ما قبل المدرسة بالمقياسين المعرفين الذين تم إعطاؤهما للطفل وهما اختبار بيبودى لأسماء الصور Peabody picture vocabulary واختبار المصفوفات المتتابعة الملونة الذى أعده رافن Raven's coloured Progressive Matrices Test واتضح أن درجات البنين على مقياس رافن ترتبط ارتباطًا ذا دلالة بتقدير آبائهم عن الكيفية التى غالبًا ما يعطون بها كثيرًا من الرعاية والاهتمام لهم . وعندما تم توجيه نفس الأسئلة للأم فى مقابلة خاصة أوضحت تقديراتها لذلك أن الكيفية التى كان زوجها غالبًا ما يغمر من خلالها أطفالها بحبه ، ويبدى اهتمامًا بالمشكلات التى تعترض هؤلاء الأطفال ، ويحاول إيجاد الحلول لمثل هذه المشكلات ترتبط ارتباطًا دالاً بالعمر العقلى للطفل على اختبار أسماء الصور . إلا أنه لم ترتبط أى من استجابات الأمهات أو الآباء بشكل ذى دلالة بدرجات البنات فى النمو المعرفى .

ومن ناحية أخرى توصل زيجلر (١٩٧٩) Ziegler إلى وجود علاقة دالة بين الرعاية الأبوية والأداء المعرفى للبنين وذلك فى دراسته التى اعتمد فيها على الملاحظة التى قام بها على كل من البنين الذين تتراوح أعمارهم بين ثمانى إلى تسع سنوات وآبائهم ، واشتركوا جميعًا خلالها فى أداء المهام المعرفية . واتضح أن القبول الوالدى الذى أبداه الآباء لأطفالهم كان مسئولاً عن نسبة دالة من التباين فى أداء البنين للمهام المعرفية المتضمنة . وعلى النقيض من ذلك كشفت دراسة بومريند (١٩٧١) Baumrind على أطفال ما قبل المدرسة ممن ينتمون إلى الطبقة المتوسطة عن عدم وجود علاقة ارتباطية دالة بين الرعاية الأبوية والكفاءة المعرفية للبنين . وقد يفسر اختلاف الإجراءات والمنهج المستخدم فى تلك الدراسات اختلاف النتائج التى كشفت عنها . ففى دراسة بومريند Baumrind مثلاً كان كل من الأب والأم موجودين مع الطفل أثناء المقابلة ، فى حين كان الأب

والطفل فقط هما الموجودين أثناء المقابلة فى دراسات رادين (١٩٧٨، ١٩٨٠) Radin وزيجلر (١٩٧٩) Ziegler . ومن المعروف أنه من المحتمل أن يتصرف الآباء بطريقة مختلفة فى وجود الأمهات .

ومن الجدير بالذكر أن هناك أدلة تؤكد على أن التسلطية من جانب الأب وعدائيته لها آثار حاسمة على البنين من طلاب الجامعة والبنين المتوقع التحاقهم بالجامعة إذ وجد تيهان (١٩٦٣) Teahan أن آباء الطلاب والطالبات منخفضى التحصيل من بين أولئك المقيدين بالسنة الأولى بالجامعات كانت تتميز اتجاهاتهم بالعقابية بدرجة أكبر من آباء أقرانهم مرتفعى التحصيل . واكتشف كروس وألان (١٩٦٩) Cross & Allen أن البنين مرتفعى التحصيل من طلاب الجامعة كانوا يرون آبائهم على أنهم يتميزون بالقبول وبالتمركز حول أطفالهم . وتوضح النتائج التى توصل إليها هيلبرون (١٩٧٣) Heilbrun أن البنين فى مرحلة المراهقة المتأخرة الذين خبروا السيطرة الأبوية الصارمة والسيئة أى التى تتسم بمزيد من السيطرة مع انخفاض فى معدل الرعاية التى يمنحها لهم كانوا يعانون من أوجه قصور فى تفكيرهم . وترى بومريند (١٩٧١) Baumrind أن الاتجاهات التسليطية التى تم التعبير عنها على الاستبيان من جانب آباء ينتمون إلى الطبقة المتوسطة ترتبط سلبًا بالكفاءة المعرفية لدى البنين الأصغر سنًا وذلك على الرغم من عدم ملاحظة أنماط سلوك تسلطية لدى هؤلاء الآباء . وأوضحت نتائج الدراسة التى قمنا بإجرائها (Radin & Epstien, 1975a) أن التقييد الملاحظ من جانب الأب يرتبط سلبًا بمقاييس القدرة المعرفية لدى البنين بمرحلة ما قبل المدرسة الذين ينتمون إلى الطبقتين المتوسطة والدنيا .

وفى الدراسة الطولية التى قامت بإجرائها هارينجتون وبلوك وبلوك (١٩٧٨) Harrington, Block & Block والتى تم فيها استخدام استبيان وملاحظات خلال فصل دراسى كامل وجدن أن البنين ممن ينتمون إلى الطبقة المتوسطة ويبلغون الثالثة من العمر ويظهر آباؤهم عدم الصبر ، والسيطرة التسلطية ، ونقصًا فى العاطفة التى يتم التعبير عنها بشكل تلقائى قد حصلوا على درجات فى موقف مشكل محير تعكس حساسية مفرطة للغموض . ولا تنطبق نفس هذه النتائج على البنات اللائى تأثر أداؤهن بسلوك

أمهاتهن . وعلاوة على ذلك فقد ارتبطت الحساسية المفرطة والمبكرة للغموض لدى البنين بالأداء المعرفى الأقل تأثرًا وذلك عندما كانوا فى السابعة من أعمارهم . كما أن محاولة إيجاد حل للمشكلة وذلك قبل فحص كل جوانبها وفهمها سوف يقلل من كفاءة الطفل فى حل تلك المشكلة . ومع ذلك فلم يتم من خلال الحساسية المفرطة للغموض لدى البنات التنبؤ بالعلاقات الثابتة بين الأقران . وقد خلصت هذه الدراسة إلى نتيجة هامة مؤداها أن البعد النسبى والتسلطية النسبية للآباء الذين كانوا يتميزون بنقدهم لأولادهم البنين بمرحلة ما قبل المدرسة وبنفاد صبرهم معهم وذلك فى جلسات التعلم كانوا يميلون إلى إعاقة النضج المعرفى لهؤلاء الصغار على مدى السنوات القليلة التالية وذلك عن طريق ما يسببونه لهم من قلق فى المواقف الغامضة . إلا أن هناك تفسيرات أخرى لذلك منها على سبيل المثال أن الآباء قد يكونوا متفاعلين مع أولاد غير أكفاء ومن ثم يصبح تأثيرهم عليهم ثنائى الاتجاه .

وعلاوة على ذلك يوضح التراث السيكلوجى أن العقابية والعدائية من جانب الأب يرتبطان بنقص القدرة المعرفية للبنين من الطبقة المتوسطة . وهناك إلى جانب ذلك أدلة قليلة تؤكد أن الخوف من الأب يساعد على حدوث النضج المعرفى للأولاد حيث يرى نيلسين وماكوبى (١٩٦٦) Nelsen & Maccoby أن التوحد الدفاعى يعزز القدرات الرياضية لدى البنين وهو ما يعارض هذا الاتجاه ، إلا أن البنين الذين حصلوا على درجات مرتفعة فى الرياضيات فى هذه الدراسة لم يبدوا أى خوف من آبائهم . وبذلك يتضح وجود عامل آخر كالسيطرة أو السيادة من جانب الأب على سبيل المثال قد يتم تضمنها فى هذا الموقف بدلاً من العقابية . ومن المحتمل أيضًا أن يبدى البنون الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة ويخافون من آبائهم الخوف من استكشاف البيئة ، وبالتالى تتم إعاقة نضجهم المعرفى على الرغم من توحدهم مع آبائهم . وكذلك فمن المحتمل أن تكون هناك حاجة من جانب الطفل إلى القيام بنمذجة شخص راشد والحرية فى الاستكشاف وذلك لتحقيق النمو العقلى الأمثل . ويعمل التوحد التطورى أو النمائى على توفير هذين العاملين الأساسيين وذلك عن طريق المساعدة على حدوث التقليد والإيحاء للطفل بأن التفاعل مع البيئة والذى يمثل أبوه جزءًا منها قد يكون معززًا ، فى حين يقوم التوحد الدفاعى بتوفير العنصر الأول فقط وهو التقليد .

٣ - السلطة الأبوية :

ركزت دراسات عديدة على أهمية فرض الأب لسيطرته وسيادته داخل المنزل بالنسبة للأداء المعرفى للبنين وذلك بسبب الدور الذى تلعبه السلطة أو السيطرة فى تدعيم توحد الطفل مع الأب إذ وجد باورمان وإيلدر (١٩٦٤) Bowerman & Elder فى دراستهما للبنين مرتفعى التحصيل الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاث عشرة سنة وثمانى عشرة سنة ممن ينتمون إلى الطبقة المتوسطة والطبقة الدنيا إضافة إلى آبائهم أن الأب بالنسبة لهم كان يمثل أكثر الأفراد سلطة أو سيطرة فى الأسرة ، كما كان يتميز بالديمقراطية فى علاقته بأطفاله . ووجد مارجوريبانكس (١٩٧٢) Marjoribanks فى دراسته لمجموعة من البنين بانجلترا فى الحادية عشرة من أعمارهم ، وجد نتائج مشابهة توضح أن فرض سيطرة الأب على الأسرة وسيادته عليها ترتبط بعلاقة دالة بالقدرة اللغوية للبنين كما يتضح من درجاتهم على اختبار تحصيلى مقنن على الرغم من أن هذه العلاقة كانت عند مستوى منخفض . وفى دراستنا التى أجريناها على مجموعة من الأسر تختلف فى مدى انغماس الأب فى حياة أطفاله اتضح أن سلطة الأب فى اتخاذ القرار فيما يتعلق بالأمور المرتبطة بتربية الأطفال ترتبط بشكل دال بالعمر العقلى للبنين فى مرحلة ما قبل المدرسة كما يتضح من اختبار أسماء الصور ، أما بالنسبة للبنات فلم يكن هذا الارتباط دالاً (Radin, 1978) .

وهناك أيضًا من الأدلة ما يؤكد أن المعدل المنخفض من سلطة الأب وسيادته يساعد على حدوث الكفاءة المعرفية للبنين إذ وجد ستروديبك (١٩٥٨) Strodtbeck أن المعدل المنخفض من سلطة الأب وسيطرته فى مقابل سلطة الأم والابن ترتبط بارتفاع التحصيل . وهناك نقطة اتفاق أساسية بين دراسة ستروديبك هذه وبين دراسة باورمان وإيلدر التى تناولناها سابقًا تتمثل فى أن توكيد السلطة من جانب الأب على ابنه لا تساعد الابن على التحصيل أو لا تساعده على أن يثابر فى سبيل التحصيل ، وهى النتيجة التى تم تأكيدها أيضًا فى دراسة روزين وداندريد (١٩٥٩) Rosen & D'Andrade أيضًا إذ درس هؤلاء الباحثون جميعًا الدافعية للإنجاز لدى البنين البيض الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة والذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا فى الصفوف من الرابع إلى السادس ووجدوا أن هؤلاء البنين فى سبيل تطوير مستوى مرتفع من الدافعية للإنجاز يحتاجون

إلى مزيد من الاستقلالية يمنحها لهم آباؤهم بشكل يفوق ما تمنحه لهم أمهاتهم . فالأب الذى يمنح ابنه درجة عالية نسبيًا من الاستقلالية يعطيه إلى جانب ذلك الفرصة التى يقوم بمقتضاها من جانبه بالتنافس واختبار مهارته واكتساب الثقة فى كفاءته . وعلى الرغم من أن الإنجاز العقلى والدافعية للإنجاز لا يعتبران نفس الشئ فإنهما قد يرتبطان معًا بدرجة عالية وذلك حينما يتم تقدير الحاجة للإنجاز عن طريق استخدام أساليب إسقاطية (Strodtbeck, 1959) وهذا هو الإجراء الذى استخدمه روزين وداندريد Rosen & D'Andrade أيضًا .

ويمكن أن نقوم بالتوفيق بين وجهات نظر باورمان وإيلدر Bowerman & Elder ومارجوريبانكس Marjoribanks وراديـن Radin من ناحية ووجهات نظر ستروديبك Strodtbeck وروزين وداندريد Rosen & D'Andrade من ناحية أخرى إذا قمنا بفحص تلك الأساليب المنهجية التى استخدمت فى الدراسات التى أجراها أصحاب كل وجهة نظر فى هاتين المجموعتين . فالباحثون فى المجموعة الأولى اعتمدوا على تلك البيانات التى تم الحصول عليها من استخدامهم لاستبيان عن السلوك العام للأب فى حين استخدم الباحثون فى المجموعة الثانية أسلوب الملاحظة الذى يقوم على ملاحظة الآباء أثناء تفاعلهم مع أولادهم البنين وهم يقومون بتكملة تلك المهام التى كان عليهم القيام بها . وهناك أدلة تؤكد على أن التدخل من جانب الأب فى أنشطة الطفل التى توضح درجة إجادته فى القيام بها أو حتى مجرد مشاركته فيها قد تكون حاسمة بالنسبة للنضج المعرفى للابن . أما سلوك الأب تجاه الابن فى تلك المواقف التى توضح عدم الإجادة من جانب الابن فيها قد يكون لها آثار مختلفة على الابن . ومن المحتمل بالنسبة للأب الذى يدركه الابن على أنه كفء وقوى ولكنه لا يسمح له بأداء المهام المطلوبة بدرجة عالية من الإجادة وأن يقوم بحل المشكلات من المحتمل ألا يوفر بذلك لابنه أكثر المصادر أو الخلفيات خصوبة فى سبيل نضجه المعرفى .

٤ - ثقة الأب بنفسه :

قام جرونبوم وآخرون (١٩٦٢) Grunebaum, et al., بدراسة على مجموعة من البنين بالمرحلة الابتدائية من ذوى نسب الذكاء التى تقل عن متوسط مستوى صفهم الدراسى بعامين واكتشفوا أن آباء هؤلاء البنين كانوا يتسمون بعدم الكفاءة وكانوا

يعتبرون أنفسهم فاشلين . وتوصل بوس (١٩٦٩) Busse إلى نتائج تدعم تلك النتائج فوجد أن المرونة فى التفكير (والذى تم تحديدها بوجود حلول بديلة للمشكلات) لدى البنين السود الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا ويبلغون الحادية عشرة من أعمارهم كانت ترتبط بمشاعر القوة والسلطة من جانب الأب تجاه الأم وتجاه الأبناء والعالم من حوله . كما اتضح أنه من المحتمل بالنسبة للنموذج غير المؤثر أن يعمل على إيجاد حلول غير فعالة للمشكلات لدى البنين الذين يقومون بتقليد هذا النموذج . وهناك احتمال بديل يتمثل فى أن الأب الذى لا سلطة له ولا قوة لا يعتبر نموذجًا ثابتًا كالأب الذى يدركه الطفل على أنه يتميز بالسلطة والقوة . وفى هذا المجال ترتبط النتائج التى توصل إليها هونزيك (١٩٦٧) Honzik بتلك التى توصل إليها جرونبوم Grunebaum وبوس Busse . ففى وصفه للنتائج التى تم الحصول عليها من دراسة بيركلى Berkeley الطولية وجد هونزيك Honzik أن رضا الأب عن مهنته يرتبط بشكل دال إحصائيًا بنسبة ذكاء ابنه فى المدى العمرى من خمس سنوات إلى خمس عشرة سنة ، فى حين لا يرتبط هذا الرضا من جانب الأب عن مهنته بنسبة ذكاء ابنته وانتهى إلى أن الأب الذى يتميز برضاه عن مهنته قد يعتبر نموذجًا لابنه أكثر ملاءمة وأكثر ثقة بالنفس كى يقوم ذلك الابن بمحاكاته .

٥ - الأسلوب المعرفى :

يميل التراث السيكلوجى الذى يتناول الأساليب المعرفية Cognitive styles إلى تأكيد الرأى الذى يرى أن اتجاهات البنين فى حل المشكلات تتأثر بعلاقاتهم مع آبائهم . وقد تم استخدام العديد من المصطلحات لوصف الاتجاه الذى يشمل عزل تفاصيل المشكلة عن سياقها أو تجاهل الإشارات غير المرتبطة بالبيئة عند حل أنماط معينة من المشكلات . ومن الجدير بالذكر أن الأسلوب المعرفى يكون أحيانًا تحليليًا analytic فى مقابل كونه كليًا Global أو يكون مستقلاً عن المجال فى مقابل كونه معتمدًا على المجال أو حساسًا للمجال field sensitive . وقد توصل دايك وويتكين (١٩٦٥) Dky & Witkin فى دراستهما عن البنين إلى وجود علاقة ارتباطية دالة بين الاتجاه التحليلى وبعض عناصر الكفاءة العقلية كالقدرة المكانية . كذلك توجد علاقة ارتباطية دالة بين الاتجاه التحليلى والعديد من العبارات غير اللفظية فى اختبار وكسلر لذكاء الأطفال كالتصميم المستخدم فى وضع العقبات أمام الطفل والتشابه مع الموضوع . وتوصل كورا (١٩٦٥) Corah إلى نتائج مشابهة حيث توصل إلى وجود ارتباطات دالة

إحصائيًا بين درجات الذكور الراشدين والإناث الراشدات والبنات الأقل سنًا وذلك على اختبارات الاستقلال عن المجال ونسبة الذكاء اللفظى ، إلا أن هذه الارتباطات لم يتم الحصول عليها فى حالة البنين الأقل سنًا . وهكذا يبدو أن هناك تداخلاً بين الاستقلال عن المجال والكفاءة العقلية ، وأن النتائج التى تتعلق بالكفاءة العقلية ترتبط بتلك النتائج التى تتعلق بالاستقلال عن المجال .

وقد وجد العديد من الباحثين أن العلاقة الإيجابية مع الأب ترتبط بالاستقلال عن المجال من جانب البنين ، فوجد دايك وويتكين (١٩٦٥) Dky & Witkin فى دراستهما على البنين البيض ممن ينتمون إلى الطبقة المتوسطة الذين يبلغون العاشرة من أعمارهم أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للبنين المستقلين على المجال أن تعكس استجاباتهم على اختبار تفهم الموضوع علاقات أكثر دفء مع آبائهم وذلك عند مقارنتهم بأقرانهم البنين المعتمدين على المجال . وتوضح دراسة سيدر (١٩٥٧) Seder عن الأسر الريفية - اتفاقًا مع دايك وويتكين - أن آباء البنين المعتمدين على المجال يقضون بعض الوقت مع أبنائهم البنين فى أنشطة سلبية نسبيًا كمشاهدة التليفزيون على سبيل المثال ، فى حين لم يكن الأمر كذلك بالنسبة للبنات . ووجد سيدر Seder أيضًا أن آباء البنين ذوى الاتجاه الكلى global يستخدمون العقاب البدنى والعدوان اللفظى أكثر من آباء البنين ذوى الاتجاه التحليلى الذين كانوا يميلون إلى كبت العقاب . ولم تتضح مثل هذه العلاقات أيضًا لدى البنات .

وتتفق هذه النتائج بطبيعة الحال مع ما لاحظة نيلسين وماكوبى (١٩٦٦) Nelsen & Maccoby من أن طلاب الجامعة من البنين الذين كانت درجاتهم فى الرياضيات أعلى من درجاتهم فى الجانب اللغوى كان يتم عقابهم من جانب آبائهم وليس من جانب أمهاتهم . ومن غير المدهش أن يوجد مثل هذا التشابه فيما يتعلق بالعلاقة التى غالبًا ما توجد بين الاتجاه التحليلى والقدرة الرياضية والقدرة المكانية (Maccoby & Jackline, 1974; Bing, 1963; Carlsmith, 1964) . هذا ويرى باركلاى وكوزومارو (١٩٦٧) Barclay & Cusumaro وتشابمان (١٩٧٧) Chapman أن البنين المراهقين الذين يغيب عنهم آباؤهم كانوا أكثر اعتمادًا على المجال عند مقارنتهم بأقرانهم الذين لم يغب آباؤهم . وتتفق هذه النتيجة أيضًا مع ما توصل إليه كل من نيلسن وماكوبى وكارل سميث Nelsen, Maccoby & Carlsmith فيما يتعلق بالقدرة الرياضية المحدودة جدًا لدى البنين غائبى الأب بالمدارس العليا والجامعة .

ومن ناحية أخرى تفترض لين (١٩٦٩) Lynn أن هناك علاقة خطية بين مدى تواجد الأب بالمنزل وبين استقلال الأبناء عن المجال إذ أنه حينما يتواجد الأب بقدر معقول فى المنزل يصبح لدى الولد فكرة كافية عن الدور الذكرى ويصبح عليه أن يتعامل بفاعلية مع بيئته حتى يستطيع أن يطور من دوره الجنسى بشكل كامل . وبذلك إذا ما كان الأب متواجدًا فى المنزل بشكل ثابت فإن الولد لن يقوم بتطوير اتجاه تحليلى اعتمادى فى تفاعله مع بيئته . وتقدم الدراسات التى أجريت على البنين الإسكيمو الذين يقضون جزءًا كبيرًا من الوقت مع آبائهم تأييدًا لهذا الافتراض حيث وجد بيرى (١٩٦٦) Berry وماك آرثر (١٩٦٧) Mac Arthur أن البنين الإسكيمو يقومون بتقليد آبائهم بشكل أكثر دقة ، ومع ذلك لم يكونوا أكثر استقلالاً عن المجال من البنات . ومن جانب آخر يؤيد كل من شيرمان وسميث (١٩٦٧) Sherman & Smith ذلك الافتراض الذى قدمته لين Lynn حيث وجدا أن الأيتام الذين يتلقون رعاية كاملة تستمر طوال الوقت من مرشدين ذكور كانوا أقل استقلالاً عن المجال من أقرانهم بالأسر العادية . وهناك تأييد إضافى غير مباشر لنفس الافتراض يتمثل فى تلك النتائج التى توصل إليها كورا (١٩٦٥) Corah والتى اتضح من خلالها ارتباط درجات الاعتماد على المجال لدى الآباء وأطفالهم ممن ينتمون إلى الطبقة المتوسطة . هذا إلى جانب وجود دليل بسيط عن العلاقة بين درجات الآباء وبين درجات أولادهم البنين ، إلا أنه كانت توجد هناك علاقة دالة بين درجات الآباء ودرجات بناتهم أيضًا . وهكذا يتضح أنه قد لا يمكن نمذجة العملية التى يقوم الآباء بمتقضاها بالتأثير على الأسلوب المعرفى لأولادهم البنين . وهذا بطبيعة الحال يوحى باحتمال أن نمو الاستقلالية لدى الولد أثناء تفاعله مع البيئة من حوله قد يمثل أحد الشواهد الدالة على الاستقلال عن المجال .

ثانيًا : الفروق بين الجنسين :

تدعم نتائج الدراسات التى قمنا بإجرائها افتراض أن التوحد النهائى يعمل على حدوث الكفاءة المعرفية أو يرتبط بها وذلك لدى البنين الذين يبلغون الرابعة من أعمارهم ، إلا أن الصورة لا تتضح بشكل تام بالنسبة للبنات (e.g. Radin, 1978) حيث أوضحت النتائج التى تم التوصل إليها أن الرعاية الأبوية ترتبط بالقدرة العقلية للبنين الأصغر سنًا ، وأن التقييد الذى يفرضه الأب على حرية الأطفال يرتبط بنقص فى مثل هذه

الكفاءة . وليس هناك دليل على وجود ما يسمى بالتوحد الدفاعى أو الارتباط الإيجابى بين عقابية الأب والقدرة العقلية للأطفال . وعلاوة على ذلك فقد أوضحت تلك النتائج أيضًا أن التقييد الذى يفرضه الأب على حرية الأطفال يعمل على إعاقة توحد البنين مع آبائهم ، ومن ثم يعوق النمو المعرفى للطفل . ورغم ذلك فقد كانت العلاقة بين سلوك الأب والكفاءة المعرفية للبنات إيجابية فى إحدى الدراسات ، إلا أنها كانت محدودة وذات قدر ضئيل فى غيرها من الدراسات . وسوف نتناول العوامل التى قد تكون مسئولة عن حدوث مثل هذا التضارب فى النتائج .

ومن الجدير بالذكر أنه قد تم إجراء دراستين على الأسر البيضاء التقليدية وهى الأسر التى تعتبر الأم فيها هى القائم الأساسى على عملية تربية الأطفال بينما يقوم الأب بالعمل طوال الوقت أو يستمر فى دراسته . وكانت أولى هاتين الدراستين دراسة استطلاعية للثانية وقد أجريت على البنين فقط ، وكان نصف أفراد العينة ينتمون إلى الطبقة المتوسطة بينما كان أفراد النصف الآخر منها ينتمون إلى الطبقة الدنيا . فى حين أجريت الدراسة الثانية على البنين والبنات وكانوا ينتمون إلى ثلاث طبقات اجتماعية هى الطبقة المتوسطة والطبقة العاملة والطبقة الدنيا ، ولم تختلف المنهجية التى سارت عليها الدراستان عن بعضهما ، فتمت مقابلة الآباء فى منازلهم فى حضور طفلهم فقط الذى يبلغ من العمر أربع سنوات والذى طلب منه أن يبقى فى الغرفة بعد انتهاء المقابلة وذلك لأداء بعض المهام . وقد شكلت أنماط السلوك التى قام بها الآباء البيانات التى تم استخدامها فى الدراسة ، فتم تسجيل ملاحظات القائم بالمقابلة على أنماط السلوك غير اللفظى التى كانت تصدر من جانب الأب والتى تم تسجيلها هى الأخرى . وقد تم التمييز بين تلك الأنماط السلوكية بقدر المستطاع كتلك الأنماط الدالة على مدح الأب للطفل ، وتلك التى تدل على قيامه بتوجيه الأسئلة للطفل على سبيل المثال . كما تم تطبيق اختبارات للذكاء على الطفل فى غضون الأسابيع القليلة التالية ، واتضح أن الأنماط السلوكية للأب ترتبط بدرجات الطفل على الاختبار . وقد تم فى الدراسة الاستطلاعية استخدام اختبار ستانفورد بينيه للذكاء Stanford-Binet واختبار بيبودى لأسماء الصور . أما فى الدراسة الأساسية (**الثانية**) فقد تم استخدام اختبار ستانفورد - بينيه للذكاء وبعض مهام بياجيه المقننة .

وأوضحت نتائج الدراستين وجود علاقة إيجابية دالة بين الرعاية الأبوية وبين المقاييس المعرفية المستخدمة بالنسبة للبنين ، أما تقييد الأب لحرية الأطفال فقد ارتبطت سلبًا بتلك المقاييس . وأوضحت الدراسة الاستطلاعية أنه قد تم تصنيف الأنماط السلوكية للأب على أساس من أولوية تلك الأنماط . أما فى الدراسة الثانية فقد أوضحت نتائج التحليل العاملى على الأنماط السلوكية للأب تجاه البنين وأنماطه السلوكية تجاه البنات وجود أربعة عوامل رئيسية بالنسبة للبنين يتصل اثنان منها بالرعاية بينما يتصل الاثنان الآخران فى طبيعتهما بتقييد حرية الطفل . وعلى الرغم من وجود فروق دالة بين الأطفال فى تلك المتغيرات بحسب الطبقة الاجتماعية التى ينتمون إليها إذ اتضح على سبيل المثال أن متغير تقييد الحرية كان أكثر أهمية من متغير الرعاية لدى أولئك الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا فقد اتضح أن متغير الرعاية يرتبط إيجابًا بالكفاءة المعرفية للأطفال، بينما يرتبط بها متغير تقييد الحرية سلبًا .

وتختلف الصورة تمامًا بالنسبة للبنات حيث أوضحت نتائج التحليل العاملى وجود ستة عوامل لم يرتبط منها سوى عامل واحد فقط بدرجة البنت فى المقاييس المعرفية المستخدمة وذلك فى طبقة اجتماعية فرعية واحدة فقط . وفى ضوء ذلك العدد الضخم من الارتباطات الذى تم الحصول عليه قد يرجع ذلك إلى عوامل الصدفة . وأوضحت النتائج أيضًا اختلاف الأنماط السلوكية للأب تجاه البنين عن أنماطه السلوكية تجاه البنات . وعلى الرغم من وجود فروق دالة بين الجنسين فى متوسط التكرارات وذلك لنمطين سلوكيين فقط من بين الأنماط السلوكية الخمسة والعشرين التى تم تصنيفها ، فإن بنية العامل التى تحدد سلوك الأب تجاه البنين كانت تختلف تمامًا عن بنية العامل التى تحدد سلوكه تجاه البنات . فبالنسبة للبنين يوجد كما أوضحنا سلفًا عاملان يرتبطان بالرعاية وعاملان آخران يرتبطان بتقييد الحرية ، أما بالنسبة للبنات فيوجد ستة عوامل ، ثلاثة منها تتناقض فى نوعيتها أى ذات طبيعة متناقضة إذ نجد على سبيل المثال أنها تتضمن أنماطًا سلوكية متناقضة منها مثلاً الترحيب وتجاهل الحاجات أو الرجاء وتوجيه الأوامر بشكل بغيض أو كريه . ولم نشاهد هذه الظاهرة الازدواجية فى أى من العوامل التى أظهرها التحليل العاملى بالنسبة للبنين . وقد تم تفسير هذه النتيجة بأن هذا التناقض الصادر من الأب تجاه ابنته يميل إلى أن يجعلها متميزة عنه ويقلل من احتمال قيامها باتخاذه نموذج لها فى حل المشكلات ، أو فى نموها العقلى أو فى نمو مفرداتها اللغوية . وبذلك لم ترتبط

الأنماط السلوكية للأب بدرجات ابنته فى المقاييس المعرفية ، وحتى العوامل الأخرى غير المتناقضة والتى يبلغ عددها ثلاثة عوامل والتى تعود فى طبيعتها إما إلى الرعاية أو إلى تقييد الحرية فلم ترتبط هى الأخرى بالكفاءة العقلية للبنات كما أظهرتها درجاتهن على المقاييس المستخدمة . وربما يرجع ذلك إلى أن البنت فى الرابعة من عمرها تتخذ من أمها نموذجًا تحتذى به كما يتضح من تلك الدراسة التى أجرتها راديـن (١٩٧٤) Radin والتى تتشابه فى منهجيتها مع هذه الدراسة التى نحن بصدد الحديث عنها الآن . ويؤكد لين وكروس (١٩٧٤) Lynn & Cross هذه النتيجة إذ يريان أن البنات فى الرابعة من أعمارهن يفضلن أمهاتهن على آبائهن .

وفى دراسته عن الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ثمانى إلى تسع سنوات يميل زيجلر (١٩٧٩) Zigler إلى التأكيد على الطبيعة الغامضة والمتضاربة لسلوك الأب تجاه بناته . وقد تضمن جزء من هذه الدراسة ملاحظة لتفاعل الآباء ممن ينتمون إلى الطبقة المتوسطة مع بناتهم بالصفين الثالث والرابع الابتدائى ، ولوحظ أن البنات كانت تبحث عن مساعدة آبائهن أكثر مما يفعل البنون . وطبقًا لما يراه الباحث فإننا قد نتوقع أن يقوم الآباء بالإذعان لبناتهم وطاعتهن أكثر مما يفعلون مع البنين ، إلا أنه يتضح أن العكس أيضًا يعتبر صوابًا ، وهو ما أدى بالباحث إلى تقرير أن الغموض والتضارب قد يكون فى الواقع سمة أساسية لعلاقة الأب بابنته . كما افترض أيضًا أن هذه الأنماط السلوكية من جانب الأب قد تعمل على إبعاد البنات انفعاليًا عنه وذلك عن طريق ما يسببه لهن من توتر وإحباط ، وهو ما يؤدى فى النهاية إلى التقليل من مدى فاعلية الأب كنموذج ومعلم لهن . ويجعل مثل هذا الأسلوب من المستحيل بالنسبة للأب أن يقوم بمساعدة ابنته بنفس الطريقة التى يقوم بموجبها بمساعدة ابنه فى نفس العمر الزمنى . وعلى الرغم من تلك النتائج فإن هذه الدراسة توضح أيضًا أن مساندة الأب لابنته وتشجيعه لها أثناء قيامها بإتمام المهام المعرفية المستخدمة يرتبط بحصولها على درجات مرتفعة فى هذه المقاييس .

وتضاف النتائج التى توصلنا إليها (Radin, 1978, 1980) فى دراستنا التى أشرنا إليها من قبل والتى أجريناها على أسر أطفال الروضة الذين يتلقون أنماطًا متباينة من الرعاية إلى تلك الأدلة حول وجود علاقة معقدة بين سلوك الأب والكفاءة العقلية لابنته . فعند تناول المجموعة الفرعية للبنات والتى بلغت سبعًا وعشرين بنتًا أوضحت النتائج وجود علاقة إيجابية دالة بين التقدير الكلى للأب حول مدى انغماسه فى حياة طفله

وبين العمر العقلى للبنات كما يقاس باختبار بيبودى لأسماء الصور . ومع ذلك فلم ترتبط أى مقاييس للرعاية الأبوية بالقدرة العقلية للبنات عند تقييمها . كما اتضح أيضًا وجود أثر دال للتفاعل بين جنس الطفل ودرجة مشاركة الأب فى الاستجابة على الاستبيان المستخدم والذى يعرف بمقياس البيئة المعرفية للمنزل Cognitive Home Environment Scale وذلك فيما يتعلق بالإثارة المعرفية التى يقدمها المنزل للطفل (Radin & Sonquest, 1968; Radin & Epstein, 1975) . ويتضمن هذا الاستبيان عبارات تتعلق بجهود الأب فى سبيل رعاية القدرات العقلية للطفل وذلك بالقيام ببعض الأنشطة كتعليم الطفل الكتابة ومساعدته على القراءة على سبيل المثال . كما يتضمن أيضًا عبارات تقوم على تحديد طموحات المستجيب فيما يتعلق بالتعليم والمهنة بالنسبة للطفل . وأوضحت النتائج أن الآباء الذين كانوا يعتبرون هم القائم الأساسى على رعاية الطفل أى كانوا مسئولين عن الأطفال لأكثر من نصف الوقت قد حصلت بناتهم بالروضة على درجات أكثر ارتفاعًا على مقياس البيئة المعرفية للمنزل وذلك عند مقارنتهن بأقرانهن وقريناتهن من المجموعات الثلاث الأخرى التى تضمنتها الدراسة ، وهى مجموعة البنين الذين يعتبر آباؤهم هم القائمين أساسًا على رعايتهم ، ومجموعة البنين من ذوى الآباء التقليديين أى الذين ينشغلون بعملهم فقط بينما تقوم الأمهات برعايتهم طوال الوقت ، ومجموعة البنات من ذوات الآباء التقليديين . وقد حصل أفراد مجموعة البنين من ذوى الآباء التقليديين على أقل الدرجات وذلك بالرجوع إلى الدراسات السابقة التى تم إجراؤها فى هذا المجال (Hoffman, 1977) .

هذا وقد تم تفسير نتائج تلك الدراسة على أنها توضح أن الآباء غير التقليديين الذين يرفضون أنماط الدور الجنسى التى يحددها المجتمع لهم ويتحملون المسئولية الرئيسية فى تربية أطفالهم فى الوقت الذى تقوم فيه زوجاتهم إما بالعمل أو باستكمال دراستهن كان هؤلاء الآباء يرفضون بالتالى أنماط الدور الجنسى المحدد لبناتهم الصغيرات . وقد يعمل مثل هؤلاء الآباء على تدعيم وتعزيز النضج العقلى لبناتهم بشكل من المحتمل أنه قد يفوق ما قد تمر به هؤلاء البنات من خبرات التنشئة الاجتماعية المتعلقة بجنسهن خارج المنزل . كما كانت النتائج التى تتعلق بزيادة معدل الإثارة المعرفية المنزلية للبنات دالة إحصائيًا إذ أوضحت دراسات عديدة أن مثل هذه الأنشطة لها فوائدها على

المدى البعيد لأولئك الأطفال الذين يشاركون فى القيام بها سواء كان يتم القيام بهذه الأنشطة من جانب الأب (Radin, 1973) أو من جانب الأم (Radin, 1972b) (Elardo, et al, 1975) .

ويبدو أن مثل هذه النتائج فيما يختص بالعلاقة بين الآباء والبنات تتعارض مع تلك النتائج التى تم الحصول عليها فى الدراسة المبكرة التى قامت على الملاحظة والتى أجريت على الأسر التقليدية التى لم يكن سلوك الأب فيها مرتبطًا بالكفاءة المعرفية للبنات . وقد يمكن تفسير هذا التناقض فى الجوانب المختلفة لسلوك الأب والتى تم قياسها . هذا وقد تم تسجيل السلوك الملاحظ الذى يأتى به الأب وتم تصنيفه إلى أنماط متمايزة وذلك فى الدراسات المبكرة التى تم إجراؤها على الآباء التقليديين . فعند دراسة الأسر التى تتبع أساليبًا مختلفة فى تربية الأطفال تم استخدام البيانات التى تم الحصول عليها من الاستبيان المستخدم فى تقييم أو تقدير كم المشاركة الكلية للطفل من جانب الأب ومحتوى الأنشطة التى يشارك فيها طفله الصغير . ولذلك تم استخدام العديد من المتغيرات التى ترتبط بالأب إضافة إلى العديد من الأساليب المنهجية المختلفة .

ومن المحتمل أيضًا بالنسبة للأب أن يقضى وقتًا طويلاً مع بناته يشاركهن فى الأنشطة التى تعمل على رعاية نضجهن المعرفى والتى تعمل فى الوقت ذاته على توصيل رسائل متناقضة لهن . وقد يصبح الأثر الكلى لذلك هو تعزيز النمو المعرفى للبنات على الرغم من ذلك التناقض فى سلوك الأب تجاههن . وتمثل الدراسة التى أجراها زيجلر Zigler تدعيمًا لهذه النتائج إذ اتضح من خلالها أنه يمكن وصف سلوك الأب تجاه بناته على أنه متناقض ، ومع ذلك فإن تشجيعه لهن يرتبط بقدرتهن على حل المشكلات . وتؤكد نتائج دراسة بومريند (١٩٧٩) Baumrind أن بعض الخشونة فى سلوك الأب تجاه بناته تعمل على الفاعلية المعرفية للبنات . ويرى بنج (١٩٧٣) Bing أن قيام الأب بالقراءة لبناته إذا كان مصحوبًا ببعض الصرامة من جانبه يرتبط بتحصيلهن اللفظى واللغوى .

وهكذا يبدو من المحتمل أن الأنشطة الوسيلية التى يقوم بها الأب مع بناته فى سياق من بعض الصرامة والدفء العاطفى قد تسهل من حدوث نضجهن العقلى . أما السبب الذى يؤدى إلى حدوث ذلك بهذه الكيفية فليس معروفًا للآن . وقد أرجع بنج Bing

ذلك إلى قيام الأب برعاية الأنوثة لدى البنات ، فى حين تناولته بومريند Baumrind بشكل عكسى حيث ترى أن خشونة الأب قد تساعد البنات فى التغلب على ما يصادفهن من مشكلات فى تنشئتهن الاجتماعية الأنثوية فيقمن بالتفاعل مع البيئة بشكل توكيدى بدلاً من قيامهن بالتفاعل معها بشكل سلبى . ومن الواضح أن هذا الموضوع يعتبر من الموضوعات المحيرة التى لا يمكن أن تحل إلا بإجراء المزيد من البحوث والدراسات فيها .

ويضاف إلى تعقد تلك البيانات ما توصلت إليه بعض الدراسات من أن الآباء يستجيبون لبناتهم إلى حد ما بنفس الأساليب النمطية التى يسلك الذكور بها تجاه الإناث ، فوجد أبيرل ونايجل (١٩٦٢) Aberle & Naegele من دراستهما للآباء الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة أنهم كانوا يعبرون بالتحديد عن مثل هذه الآراء إذ أوضحوا عند إجراء المقابلات معهم أنهم ينظرون إلى أبنائهم البنين على أنهم هم الذين سيقومون فى المستقبل بالأدوار الوظيفية الخاصة بالطبقة المتوسطة ، ولذلك تعتبر تلك الأنماط السلوكية التى تصدر عنهم ذات أهمية كبيرة . ومع ذلك فقد كان توجههم نحو بناتهم يدل على أنهن سوف يقمن فى المستقبل بشغل أدوار وظيفية تختلف عن تلك الأدوار الخاصة بالطبقة المتوسطة كأن يقمن بدور الزوجة والأم على سبيل المثال . ولذلك فالمعايير التى تتعلق بهذه الأدوار ليست قاطعة أو محددة تحديدًا حاسمًا . واتساقًا مع هذه التوجهات أبدى الآباء اهتمامًا كبيرًا بنجاح أولادهم البنين وليس البنات فى المدرسة والتحاقهم بكليات جيدة من بين تلك التى يطلق عليها البعض اسم كليات القمة . أما بالنسبة للبنات فكان من بين الاهتمامات التى أبداها الآباء نحوهن زواجهن وليس نزعتهن نحو الدكتاتورية .

ويصف هوفمان (١٩٧٧) Hoffman بعد رجوعه للعديد من الدراسات طموحات الأب فيما يتعلق بالتحصيل والوظيفة بالنسبة لأولاده البنين بأنها لا تزال تختلف عن طموحاته بالنسبة للبنات إذ عندما لاحظت بلوك وبلوك وهارينجتون (١٩٧٤) Block, Block & Harrington على سبيل المثال الوالدين فى موقف تعليمى مع أطفالهما بمرحلة ما قبل المدرسة وجدن أن آباء البنين كانوا يهتمون بتحصيل الابن كما كانوا يركزون على الجوانب المعرفية فى الموقف التعليمى . أما بالنسبة للبنات قد كان الآباء أكثر

اهتمامًا بالجوانب بين الشخصية فى الموقف . كما ترى بلوك Block فى دراسة أخرى لها ما يؤكد ذلك التحيز الجنسى حيث ترى أن الأمهات والآباء يؤكدون فى تفاعلهم مع أولادهم البنين على التحصيل أكثر مما يفعلون مع البنات .

ويؤيد لين (١٩٧٤، ١٩٧٦) Lynn ذلك الافتراض الذى يرى أن الآباء يميلون إلى أن يستجيبوا لبناتهم بطريقة تتميز بالنمطية الجنسية . ويتوسع لين على مفهومه هذا بتوضيح أن مثل هذا السلوك المنمط جنسيًا قد يعوق النمو المعرفى للبنات لأن الآباء قد يدركون أن النضج العقلى والتحصيل يعتبران من السمات الذكرية وليسا من السمات الأنثوية ، فالأب الذى يعامل ابنته بطريقة تعكس رد فعل أنثوى تقليدى قد يعوق بذلك نموها العقلى والأكاديمى ، ومع هذا فإنه إذا أقام معها علاقة تستطيع هى بمقتضاها أن تحتذى به فى أدائه العقلى ودافعيته للإنجاز أى تتخذه نموذجًا لها وقام هو بتعزيز سلوكها على أثر قيامها بذلك فإنه يستطيع بموجب ذلك أن يزيد من هذه السمات لدى ابنته ويجعلها موجودة لديها بدرجة عالية . ومن المحتمل أن تكون تلك هى طبيعة العلاقة بين البنات الأصغر سنًا وبين آبائهن الذين يتحملون المسئولية الأساسية فى تربية أطفالهم وتنشئتهم .

الاتجاهات التى تناولت العلاقة بين الأب وابنته

أولاً : البعد النسبى عن الأب والاستقلال عنه :

يتمثل أحد الفروق الرئيسية التى تتعلق بنتائج البحوث التى يتم إجراؤها على الأولاد والبنات والخاصة بهذا الجانب الذى نحن بصدد الحديث عنه فى أن الدفء الأبوى نادرًا ما يرتبط سلبًا بالأداء المعرفى للبنين فى حين توجد هناك أدلة على أن ارتفاع معدل الدفء قد يكون حاسمًا بالنسبة لنمو القدرة العقلية للبنات الأصغر سنًا إذ وجد هونزيك (١٩٦٧) Honzik عند استخدامه لبيانات ونتائج من دراسة بيركلى Berkeley الطولية أن الصداقة وليس العلاقة القوية أو التعبير عن العاطفة من جانب الأب لابنته ترتبط إيجابًا وبشكل ذى دلالة بنسبة ذكاء البنات اللائى تتراوح أعمارهن بين سبع إلى تسع سنوات ، ومع ذلك ترتبط العلاقة القوية بين الأب والابن إيجابًا بنسبة ذكاء البنين .

ولم تتفق كراندال وآخرون (١٩٦٤) .Crandall, et al تمامًا مع هذا النمط ، ولكنهن مع ذلك تقدمن أدلة على أن البعد النسبى بين الأب وابنته يعزز من كفاءتها العقلية إذ وجدن

أن التحصيل الأكاديمى للبنات وليس البنين فى الصفوف من الثانى إلى الرابع الابتدائى يرتبط إيجابًا بردود الفعل الإيجابية من جانب الأب لما تبذله ابنته من محاولات عقلية ، كما يرتبط سلبًا بردود أفعاله السلبية لذلك . ومع هذا فالآباء الذين يشجعون ويثيرون المحاولات العقلية من جانب البنات كانت بناتهم أقل كفاءة ، وهو ما فسره هؤلاء الباحثون على أنه نتيجة لردود فعل الأب تجاه بناته من ذوات القدرة العقلية الأقل . ومع هذا يمكن تفسير هذه النتيجة بشكل آخر وذلك فى إطار عدم وجود علاقة دالة بين سلوك الإثارة من جانب الأب وبين القدرة العقلية للبنين . ومن المحتمل أن يعمل قدر من البعد والاستقلالية من جانب الأب على رعاية الأداء المعرفى للبنات . كما أن القدر المرتفع من الثناء من جانب الأب على الجهود العقلية التى تبذلها البنت قد يدل على ذلك الأب الذى لا يعتنق آراء نمطية عن البنات أى على أنهن أفراد غير عقلانيين . وبهذا فإن أولئك الآباء قد يعملون على تعزيز ما يرى لين (١٩٧٤، ١٩٧٦) Lynn أنه من المحتمل حدوثه من جانب الأب الغائب شريطة ألا يصبح الأب منغمسًا بشكل كبير فيما تقوم به ابنته من أعمال .

وكتأييد لوجهة النظر التى ترى أن درجة ما من البعد عن الأب والكفاءة العقلية للبنات يرتبطان إيجابًا فإن تيهان (١٩٦٣) Teahan يؤكد هذا وذلك عندما قام بمقارنة الاتجاهات الأبوية لآباء الطلاب المستجدين بالجامعة من مرتفعى التحصيل ومنخفضى التحصيل . واتضح أن آباء البنات مرتفعات التحصيل كانوا يعبرون عن قدر أقل من اتجاهات السيطرة ، وعن قدر أقل من الموافقة على تجاهل البنات وذلك عند مقارنتهم بأقرانهم من آباء الطالبات منخفضات التحصيل . وبذلك يتضح أن التوجه الذى لا يتضمن السيادة والسيطرة أو التجاهل يرتبط بتحصيل طالبات الجامعة . كما لم يتضح وجود نفس النمط بالنسبة للبنين من طلاب الجامعة مرتفعى التحصيل .

ومن جانب آخر توصل هيلبرون وآخرون (١٩٦٧) Heilbrun, et al., إلى نتائج مشابهة وذلك عند دراستهم لطالبات الجامعة إذ وجدوا أن أداء البنات كان فى أفضل حالاته فى المهام التى تتطلب الأسلوب التحليلى للتفكير وذلك عندما لم يفرض آباؤهن عليهن سوى القليل من السيطرة ، ولم يعبروا إلا عن قدر قليل من الرعاية لهن . وتوضح نتائج دراسة أخرى أجراها هيلبرون (١٩٧٣) Heilbrun ارتباط ذلك بالاستقلال عن الأب أكثر من ارتباطه بالبعد النسبى عنه إذ وجد أن أداء طالبات الجامعة على المهام

المعرفية كان ضعيفًا جدًا تحت الضغط الذى كانت تتعرض له أولئك البنات عندما أدركن آباءهن على أنهم قد فرضوا عليهن قدرًا كبيرًا من السيطرة وذلك بشكل بغيض أو كريه .

وعند دراستها لأطفال ما قبل المدرسة حصلت بومريند (١٩٧١) Baumrind على نتائج شبيهة بتلك التى حصل عليها هيلبرون من دراسته التى أجراها على البنات ممن كن فى الثامنة عشرة من أعمارهن فاكتشفت بومريند أن الدكتاتورية الملاحظة من جانب الأب والتى يمارسها على البنات فى مرحلة ما قبل المدرسة ترتبط سلبًا بأدائهن المعرفى . وفى دراستنا التى قمنا بإجرائها على الأطفال فى نفس العمر الزمنى لم نحصل على أى ارتباطات دالة بين تلك المتغيرات (Radin, & Epstein, 1975a) . وقد يرجع الفرق فى هذه النتائج إلى اختلاف الأساليب المنهجية المستخدمة فى الدراسة كما هو الحال بالنسبة لوجود الأم على سبيل المثال والذى تم مناقشته من قبل . وتؤيد نتائج دراسة هارينجتون وآخرين (١٩٧٨) Harrington, et al., هذه النتائج . وقد استخدموا فى دراستهم تلك إجراءات مشابهة لما استخدمناه نحن حيث تمت ملاحظة التفاعل بين الآباء وبناتهم بمرحلة ما قبل المدرسة فى حالة عدم وجود الأم . وأوضحت النتائج التى توصلوا إليها مثل ما توصلنا إليه نحن من نتائج أنه لا توجد علاقة دالة بين السلوك السلبى من جانب الأب والكفاءة المعرفية للبنات إذ من المحتمل أن يكون الأب مقيدًا لابنته بدرجة أكبر عند وجوده بمفرده معها . إلا أننا لا نزال نحتاج إلى إجراء المزيد من البحوث لتوضيح هذا الأمر .

وأخيرًافإن نتائج الدراسات التى أجريت على الأسر من ذوى الأساليب المختلفة لتربية الأطفال تقدم تأييدًا لفرض البعد النسبى إذ اتضح من خلالها أن مدى تواجد الأب بالمنزل يرتبط إيجابًا بالذكاء اللفظى للبنت ، فى حين لا ترتبط مقدار الرعاية التى يمنحها لها بذلك (Radin, 1978, 1980) حيث من المحتمل أن يثير وجود الأب النضج المعرفى للبنت شريطة ألا تتضمن العلاقة بينهما درجة عالية جدًا من الحب .

ومن ناحية أخرى تتضمن دراسة بومريند (١٩٧١) Baumrind أيضًا دلائل على موضوع الاستقلالية عن الأب . كما توجد أيضًا مثل هذه الأدلة فى دراستنا التى اشترك معنا فيها كل من جوردان وابشتاين (١٩٧٥) Jordan, Radin, & Epstein حيث يتضح أن الضغوط التى يفرضها الأب على البنت تعوقها عن التقدم أو النضج ، فى حين يتضح أن مثل هذه الضغوط لا تعوق الولد . فوجدت بومريند فى دراستها على عينة من الطبقة

المتوسطة أن مطالب النضج المبكر وتثبيط السلوك الطفلى من جانب الأب كما يقاس بالاستبيان المستخدم يرتبطان سلبًا بنسبة ذكاء البنات وليس البنين . وقد توصلنا نحن أيضًا فى دراستنا إلى نتائج مشابهة حيث وجدنا أن المطالب الأبوية المبكرة لإجادة الطفل فى أداء المهام المعرفية المختلفة والاستقلالية التى يتم منحها للطفل فيما بعد والتى تم تقديرها باستخدام استبيان معد لذلك يرتبطان سلبًا بدرجات البنات اللائى يبلغن الرابعة من أعمارهن وتنتمين إلى الطبقة الدنيا وذلك فى المهام المعرفية . وفى المقابل وجدنا بالنسبة للبنين الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة أن الاستقلالية التى يتم منحها للطفل فيما بعد ترتبط إيجابًا بنسب ذكاء البنين كما تعكسها درجاتهم فى مهام بياجيه المعرفية التى تم استخدامها .

وفى الوقت ذاته يناقض كاين (١٩٧١) Cain ذلك الفرض الذى يرى أن البعد النسبى عن الأب والاستقلالية عنه يعززان النضج المعرفى للبنات الأصغر سنًا حيث وجد أن ارتفاع مستوى التحصيل فى الرياضيات لدى الأطفال الأمريكيين من ذوى الأصل المكسيكى الذين تتراوح أعمارهم بين سبع سنوات إلى ثلاث عشرة سنة يرتبط بحب الأب لهم ، وأن انخفاض التحصيل فى القراءة يرتبط باتجاه اللامبالاة من جانب الأب . إلا أنه من المحتمل أن تختلف العلاقات التى تنشأ بين الأب والطفل فى الثقافة الشيكانية Chicano من الناحية الكيفية عن مثيلاتها من العلاقات فى الأسر الأمريكية . وكما أوضحنا سابقًا فهناك ندرة فى البيانات والنتائج التى تتعلق بسلوك الأب فى الأسر الأمريكية ذات الأصل المكسيكى والتى يحتمل ألا يتم التعبير فيها عن الحب والسيطرة بنفس الطريقة حيث من المحتمل أن تتفاعل القيم السائدة فى الأسر الشيكانية فيما يتعلق بالأسر الممتدة أو المتسعة extended مع سلوك الأب وينتج عنها آثار تختص بهذا الموقف وهو ما لا نعلمه حتى الآن .

ثانيًا : أثر الأب على المهارات الرياضية للأبناء :

يرى العديد من الباحثين أن العلاقة بين الأب وابنته تؤثر على المهارات الرياضية Mathematical للبنت . وغالبًا ما يفترض أن العلاقة الحميمة نسبيًا للبنت مع أبيها تميل إلى تعزيز تبنيها للاتجاه الذكرى للأب فى التفكير حيث وجد لاندى وآخرون (١٩٦٨) Landy, et al. فى تناولهم للدرجات التى حصل عليها طلاب السنة الثانية بالجامعة

وذلك فى اختبارات القبول بالجامعة أن الدرجات النوعية للبنات غائبات الأب كانت أقل بشكل دال من مثيلاتها لدى قريناتهن اللائى بدأ آباؤهن العمل فى ورديات الليل بعد أن بلغت هؤلاء البنات العاشرة من أعمارهن . ولم توجد فروق دالة بين البنات فى المجموعتين فى متوسط درجاتهن فى الاستعدادات اللغوية . ونظرًا لعدم وجود فروق دالة بين المجموعتين فى درجاتهن النوعية انتهى الباحثون إلى أن الأعمار من سن عام واحد إلى تسع سنوات تشكل مرحلة حرجة فى نمو المهارات النوعية للبنات وأن الأب المتواجد بالمنزل أمام البنات يؤثر على نموهن .

وتكشف دراسة أخرى لنفس الباحثين أجروها عام ١٩٦٨ عن نتائج تدعم ما توصلوا إليه فى دراستهم السابقة حيث تمت مقارنة درجات القبول بالجامعة وذلك للطلاب المستجدين غائبى الأب وأقرانهم حاضرى الأب ممن ينتمون إلى أسر تختلف فى أحجامها وتركيبها وترتيب الأخوة فيها . وسوف يتم مناقشة التفاعل بين هذه المتغيرات فى قسم تال من الفصل الحالى تحت عنوان غياب الأب . كما اتضح أيضًا وجود فروق دالة بين متوسط الدرجات النوعية لأفراد المجموعتين بالنسبة للبنات فقط (ويستثنى من ذلك مجموعة فرعية واحدة صغيرة فقط) ، وفى الدرجات النوعية واللغوية للبنين . وبالإضافة إلى ذلك وجد الباحثون أن البنات اللائى غاب آباؤهم عنهن عندما كن أقل من تسع سنوات قد حصلن على درجات نوعية أقل من نظيراتهن اللائى غاب عنهم آباؤهن بعد بلوغهن العاشرة من أعمارهن . وفى الوقت ذاته لم يكن سن الطفل عند بداية غياب الأب بالنسبة للبنين ذا دلالة إحصائية كما هو الحال بالنسبة للبنات .

ومن الجدير بالذكر أنه لم يتضح بعد لماذا ترتبط المهارات النوعية بوجود الأب وخاصة بالنسبة للبنات . وهناك إشارة محتملة لذلك فى الدراسة التى أجراها روزينبرج وسوتن سميث (١٩٦٦) Rosenberg & Sutton-Smith اللذان سلما بأن الاستقلالية كسمة للشخصية تتوسط بين المثيرات التى تصدر عن مجموعة من المصادر وخاصة عالم الأشياء . وأضافا أن هذا الاهتمام بعالم الأشياء قد يكمن خلف تفوق البنين فى المهارات النوعية وحل المشكلات . وعندما تعزز الظروف من قيام البنات بتقليد البنين كما يتضح من الوصف الذى قدمه سوتن سميث وآخرون (١٩٦٨) .Sutton-Smith, et al له على أنه توجه نحو الاستقلالية عن طريق التعزيز المنمط جنسيًا فإن الدرجات النوعية

للأخوات يتم تعزيزها . وقد ربط بنج (١٩٦٣) Bing الاستقلالية بالقدرة الرياضية . ووجد لين Lynn علاقة بين الاستقلال الممنوح للأطفال فى البيئة وبين الاستقلال عن المجال من جانبهم . ويمكننا أن نستنتج من دراسة الأخوة أن أى عامل يعزز من قيام الإناث بتقليد الذكور كالأخوة أو الآباء مثلاً قد يكون له أثر نفعى على مهاراتهن النوعية ، ومن ثم توجد علاقة بين غياب الأب وحصول طالبات الجامعة على درجات نوعية منخفضة . ومن ناحية أخرى يرى كورا (١٩٦٥) Corah أن هناك علاقة بين درجات الاستقلال عن المجال للآباء والبنات ، وهو ما يعتبر تأكيدًا لوجهة النظر التى ترى أن القدرة التحليلية والرياضية للبنات قد تبنى إلى حد ما على اتخاذهن لعمليات التفكير لدى الآباء نموذجًا لهن فى هذا المجال .

الاتجاهات الشائعة فى دراسة البنين والبنات معًا

أولاً : مشاركة الأب لطفله فى حل المشكلات :

هناك أدلة على الرغم من عدم وجود اتفاق تام فيما بينها تدل على أن مشاركة الأب بشكل كبير فى الجهود العقلية للطفل لا تسهل من النمو المعرفى لهذا الطفل ، فيرى بورجر (١٩٧١) Boerger من دراسته لبعض المتغيرات المرتبطة بالضغوط المتعلقة بالتحصيل وذلك لدى آباء البنين بالصفين الخامس والسادس الابتدائى أن مشاركة الأب فى الجهود والمحاولات العقلية لطفله ترتبط بالتحصيل بعلاقة خطية سالبة ، أى أن الآباء الذين يرون أنهم أقل مشاركة لأبنائهم وذلك من خلال استجابة هؤلاء الآباء على استبيان تم إرساله لهم بالبريد كان أولادهم مرتفعى التحصيل ، وكلما تزداد مشاركة الآباء للأبناء يقل تحصيل هؤلاء الأولاد . وأوضح تحليل البيانات أيضًا أن مثل هذه العلاقة السالبة كانت تتركز فى الرياضيات بدرجة أكبر من اللغة والأدب والعلوم . وقد تم تفسير تلك النتائج على أنه بالرغم من الطموحات المرتفعة من جانب الآباء لأولادهم مرتفعى التحصيل فإن هؤلاء الآباء كانوا يشاركون بشكل غير مباشر فقط فى الأنشطة الأكاديمية لأولادهم كأن يقوموا على سبيل المثال بتوفير الفرص والمواد اللازمة للتحصيل دون أن يطلبوا من أولادهم مهامًا معينة . أما آباء الأولاد منخفضى التحصيل فكان يبدو أنهم يشركون أنفسهم بشكل مباشر فى إتمام المهام الدراسية المطلوبة من أولادهم .

ومن ناحية أخرى وجدت كراندال وآخرون (١٩٦٤) Crandall, et al. أن مشاركة الأب فى الأنشطة العقلية لأولاده البنين ترتبط سلبًا بتحصيل هؤلاء البنين فى الرياضيات . كما أوضحت أيضًا أن الآباء الذين يقومون بتشجيع وإثارة المحاولات العقلية من جانب بناتهم كانت بناتهم أقل كفاءة فى المدرسة . وفى دراستهم التى أجروها على الأطفال السود بالصف الخامس الابتدائى إضافة إلى آبائهم والتى تقوم على ملاحظة أدائهم جميعًا فى مواقف حل المشكلات وجد سولومون وآخرون (١٩٧١) Solomon, et al. أن المعدل المتوسط من مشاركة الأب للبنت يسهل من أدائها العقلى كما تقيسه الاختبارات التى تعقد بالمدرسة . وقد لاحظوا أيضًا بالنسبة للبنات أن المعدل المتوسط للتشجيع من جانب الأب لابنته كى تشارك فى الجهود المستقلة التى لا تتضمن العدوانية أو التى تفرض عليها نوعًا من السيطرة يرتبط بارتفاع مستوى تحصيلها الأكاديمى ، أما بالنسبة للبنين فلم يتوصل الباحثون إلى وجود مثل هذه العلاقة الخطية كما لم يرتبط سلوك الأب بمعزل عن سلوك الأم أثناء جلسات حل المشكلات ارتباطًا دالاً بالكفاءة الأكاديمية للبنين . وإضافة إلى ذلك فقد وجد هؤلاء الباحثون علاقة سلبية بين مشاركة الأب فى الجهود التى يبذلها الطفل فى سبيل حل المشكلات وبين ميل الطفل لاستخدام أساليب بنائية تتسم بالكفاءة فى حله لتلك المشكلات . كما وجدوا أيضًا أن هناك ميلاً من جانب الآباء إلى زيادة مشاركتهم لأبنائهم إذا شعروا بانخفاض قدرتهم على التحصيل ، وهو ما يدل على وجود استجابة من جانبهم للأداء الأكاديمى المنخفض من جانب أبنائهم . وقد أرجع الباحثون وجود علاقة سالبة بين مشاركة الأب لطفله وبين تحصيل ذلك الطفل ولدًا كان أم بنتًا إلى أن الطفل قد تنتابه الحيرة والذهول حينما يجد أن أباه قد أصبح يشاركه ما يبذله من جهد فى سبيل حل المشكلات .

وإلى جانب ذلك يرى بوس (١٩٦٩) Busse بالنسبة للآباء السود ممن ينتمون إلى الطبقة الدنيا الذين يقومون بتدريس المهام المختلفة لأبنائهم البنين بالصف الخامس الابتدائى أن المعدل المتوسط من المشاركة الفعالة من جانب الأب أثناء قيام الأولاد بأداء تلك المهام يرتبط بمرونة تفكير هؤلاء الأبناء . وعلاوة على ذلك فقد كان أولاد الآباءالذين قاموا فى استجابتهم للاستبيان المرسل إليهم بالتعبير عن تفضيلهم للقيام بدور يتسم بمعدل متوسط وفعال مع أبنائهم أكثر مرونة فى تفكيرهم من أقرانهم الذين فضل

آباؤهم إما القيام بدور أكثر فعالية أو أكثر تجاهلاً لهم . وهناك دليل آخر غير مباشر على أن الاستقلالية التى يمنحها الأب لابنه فى موقف المهمة يرتبط بالنضج العقلى للبنين السود إذ وجد ديل (١٩٧٥) Dill من خلال ملاحظته للتفاعل داخل المنزل بين عينة من الآباء السود الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة وعينة أخرى ممن ينتمون إلى الطبقة الدنيا وبين أولادهم البنين الذين تتراوح أعمارهم بين أربع إلى ست سنوات وبين ثمانى إلى عشر سنوات وجد ميلاً لدى الآباء الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة لإبعاد أنفسهم عن المشكلة التى تعطى للطفل ويطلب منه القيام بحلها أو يبقون كمرشد للطفل فى ذلك الموقف ، فى حين كان الآباء الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا يقومون بإشراك أنفسهم مع الطفل أى يعملون معه كشريك له أو مشرف عليه . ورأى ديل Dill أن سلوك الآباء الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة يدعم الاستقلالية لدى أولادهم البنين . وفى ضوء النتائج المرتبطة بحصول الأطفال الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة على درجات فى المقاييس المعرفية أكثر ارتفاعًا من أقرانهم الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا كما يرى هيس (١٩٧٠) Hess يمكن لنا أن نستنتج أن الأسر السود التى يعمل الآباء فيها على رعاية وتدعيم الاستقلالية لدى أولادهم البنين أثناء محاولتهم القيام بحل المشكلات قد تثير النضج العقلى لهؤلاء البنين .

وتدعم النتائج التى حصلنا عليها من دراستنا للأسر التقليدية ذلك الرأى القائل بأن نقص المشاركة من جانب الأب لأطفاله الذين يبلغون الرابعة من أعمارهم عند قيامهم بحل المشكلات يرتبط بكفاءة هؤلاء الأطفال المعرفية (Radin & Epstein, 1975b). وفى نهاية المقابلة مع الأب كان يتم إعطاء بعض المهام المعرفية للأطفال ليقوموا بحلها ويطلب من الآباء تقديم المساعدة لأطفالهم إذا رغب هؤلاء الآباء فى ذلك . وفى حين كانت أنماط السلوك الدالة على الرعاية من جانب الأب أثناء إجراء المقابلة معه ترتبط بالكفاءة المعرفية للبنين كانت الرعاية الأبوية أثناء موقف حل المشكلة ترتبط سلبًا بنسبة ذكاء البنين وبدرجاتهم فى بعض المقاييس المعرفية الأخرى التى تم استخدامها .

أما بالنسبة للبنات فلم تكن هذه العلاقة ذات دلالة إحصائية ، إلا أنه كان هناك اتجاه يبين وجود علاقة سالبة ودالة بين مجموعة من الأنماط السلوكية تسمى بمقاييس الرعاية والمقاييس المعرفية للأطفال وذلك بالنسبة للعينة الكلية معًا . أما مجموعة الأنماط السلوكية التى تصدر عن الأب والتى تدل على تقييد حرية الطفل فلم ترتبط بالمقاييس

المعرفية المستخدمة ، كما أن إعادة تصنيف الأنماط السلوكية للأب من جديد فى أنماط أخرى لم ينتج عنها نتائج مختلفة بل أن نتائجها كانت مشابهة لما تم التوصل إليه فتم تقسيم تلك الأنماط السلوكية إلى :

١ - استجابات الأب لطلب الطفل للمساعدة .

٢ - الأنماط السلوكية التى تدل على المبادرة من جانب الأب .

وأوضحت النتائج أن كلاً من هاتين الفئتين من الأنماط السلوكية ترتبط سلبًا بالمقاييس المعرفية المستخدمة وذلك بالنسبة للعينة الكلية ولعينة البنين أيضًا . كما أن العدد الكلى للتفاعلات التى يقوم بها الأب خلال موقف حل المشكلة يرتبط هو الآخر سلبًا بالمقاييس المعرفية المستخدمة وذلك بالنسبة للعينة الكلية ولعينة البنين أيضًا . أما التفاعلات الوحيدة التى كانت إيجابية وذات دلالة إحصائية فكانت بين نمط سلوكى واحد يدل على المبادرة من جانب الأب وهو ذلك النمط الذى يتعلق بقيام الأب بإعلان الطفل بأنه لن يساعده فى حل المشكلات التى تعرض عليه ولن يوضح أى اهتمام بتقدمه فى حلها وبين الدرجات التى حصل عليها الأطفال فى المقاييس المعرفية ، وقد ارتبط هذا المتغير إيجابًا بأداء الأطفال على مهام بياجيه المعرفية وذلك بالنسبة للعينة الكلية ولعينة البنين أيضًا .

وعند تطبيق نفس المقاييس المعرفية على نفس مجموعة الأطفال مرة أخرى وذلك بعد مرور عام من التطبيق الأول كان من المحتمل الحصول على بعض الإشارات عن اتجاه التأثير . فبالنسبة للبنات كانت مجموعة الأنماط السلوكية التى تدل على الرعاية من جانب الأب والتى تمت ملاحظتها فى العام السابق قد أصبحت فى التطبيق الثانى لتلك المقاييس ترتبط سلبًا بمقاييس الكفاءة المعرفية للبنات . وبذلك تعطينا دليلاً على أن الجهود التى يبذلها الأب فى سبيل المساعدة تعتبر حاسمة بالنسبة للنضج المعرفى للبنات علمًا بأن هذه الحالة ليست تلك التى يبدو من خلالها أن الأب يقوم بمساعدة بناته اللائى يظهرن عدم الكفاءة . وقد كانت النتائج التى تم الحصول عليها فى حالة البنين وفى حالة العينة الكلية مشابهة لذلك إذ لم يرتبط قيام الأب بتقييد حرية الأبناء بمقاييس الكفاءة المعرفية التى تم تقديمها لهؤلاء الأبناء ، كما كانت ترتبط سلبًا بدرجاتهم على هذه المقاييس فى التطبيق الثانى أى بعد عام من تطبيقها الأول . وبذلك يتضح من جديد أن اتجاه التأثير كان من الأب إلى الابن حيث اتضح أن الأوامر أو التهديدات التى تصدر عن الأب خلال قيام الطفل بحل المهام المطلوبة منه يفوق نموه العقلى .

وكان من المدهش الحصول على ارتباطات متناقضة بين الرعاية الأبوية أثناء إجراء المقابلة وبين نسبة ذكاء البنين . وكذلك بين الرعاية الأبوية أثناء قيام الولد بحل المشكلات وبين نسبة ذكائه . ويبدو جليًا أن سلوكًا مشابهًا بدرجة كبيرة من جانب الأب قد يكون له معنى مختلف تمامًا فى سياقات مختلفة . وكما هو الحال بالنسبة للسلطة الأبوية فإن الرعاية الأبوية وتقديم المساعدة من جانب الأب قد يكون لها آثار نفعية بشكل عام ، ولكن الحال لا يكون كذلك إذا كان الطفل منغمسًا فى حل المشكلات .

ثانيًا : الأم كوسيط بين سلوك الأب والأداء المعرفى للطفل :

قام الباحثون بمراجعة تلك الاتجاهات التى تشير إلى وجود علاقة مباشرة بين الأب والطفل ووجدوا أنه مع ذلك من الممكن أن توجد هناك قناة أخرى للتأثير حيث يمكن أن يعمل سلوك الأم كوسيط فى العلاقة بين سلوك الأب وبين الأداء المعرفى للطفل إلا أنه يجب أن نميز بين هذه الآثار الوسيطة وبين الآثار من الدرجة الثانية إذ يمكن النظر إليها على أنها تفاعلات كل من الأم والأب مع الأطفال والتى تتأثر بوجود الزوج الآخر أى الأب أو الأم (Lytton, 1979) .

وهناك إشارة لتلك الآثار من الدرجة الثانية فى الدراسة التى أجرتها كلارك ستيوارت (١٩٧٨) Clarck-Stewart والتى قامت فيها بمقارنة سلوك الأم مع طفلها الصغير الذى يتراوح عمره بين سنة واحدة وسنتين ونصف وذلك فى وجود أو غياب زوجها . وأوضحت النتائج أن المبادرات التى تقوم الأم بها للعب مع الأطفال تقل فى وجود الأب إذ تتحرك هى للخلف تاركة المجال للأب كى يقوم هو بممارسة أكبر قدر ممكن من أنشطة الرعاية للأطفال كما يريد هؤلاء الأطفال .

وقد تختلف هذه الظاهرة قليلاً عند مقارنتها بما أسماه لايتون (١٩٧٩) Lytton بالآثار من الدرجة الثانية . ففى حين نلاحظ أن وجود الأب فى دراسة كلارك - ستيوارت Clarck-Stewart يقلل من نشاط اللعب من جانب الأم فإن وجوده فى دراسة لايتون Lytton يدفعها إلى الاستمرار فى أداء ما هو متوقع منها باستثناء تلك الأنشطة التى لا تقوم بها عادة .

ومن ناحية أخرى يتضح أن مفهوم الأم كوسيط لتأثير الأب على الأطفال يشمل مدى زمنى أطول من التأثير من الدرجة الثانية . ويصف بيدرسين (١٩٧٦) Pedersen هذه الظاهرة فى أن فردًا ما (الأب فى هذه الحالة) يقوم بفعل شئ ما لشخص آخر (الأم) ونتيجة لذلك يتصرف هذا الشخص الثانى بشكل مختلف تجاه شخص ثالث (الطفل) .

وهناك أمثلة عديدة يعج بها التراث السيكلوجى عن مثل تلك الآثار غير المباشرة للأب فوجد بيدرسين (١٩٧٦) Pedersen على سبيل المثال أنه عندما يقوم الأب بتقديم العون للأم بدرجة كبيرة تصبح الأم أكثر فاعلية فى تغذية الطفل . ووجد لام وآخرون (١٩٧٨) Lamb, et al. أن اتجاه الزوج نحو عمل زوجته يؤثر على سلوكها تجاه طفلها وبالتالى يؤثر على نمو ذلك الطفل . ووجد ريس وجولد (١٩٧٨) Reis & Gold أن هناك علاقة دالة بين نوعية أو كيف العلاقة بين الأم والأب من ناحية وبين مقدار الوقت الذى تقضيه الأم مع طفلها الذكر بمرحلة ما قبل المدرسة من ناحية أخرى حيث اتضح أنه كلما كانت العلاقة بين الوالدين أفضل يزداد مقدار الوقت الذى تقضيه الأم مع الطفل . ونظرًا لأن إحدى النتائج التى كشفت عنها تلك الدراسة تمثلت فى أن مقدار الوقت الذى يقضيه أى من الوالدين مع الطفل يعزز من قدرة الطفل على حل المشكلات فإنه يمكن القول بأن تأثير الأب هنا فى هذه الحالة يعتبر تأثيرًا مباشرا وغير مباشر فى الوقت ذاته .

وتعتبر نتائج الدراسة التى أجراها كل من دايك وويتكين (١٩٦٥) Dky & Witkin على أمهات البنين الذين يبلغون العاشرة من أعمارهم ممن تنتمين إلى الطبقة المتوسطة تأييدًا لذلك المفهوم الذى يرى أن الأم تعتبر وسيطًا فى العلاقة بين الأب والطفل وأنه من الممكن أن ينطبق ذلك على الأطفال الأكبر سنًا .

وطبقًا لما يراه هذان الباحثان فقد كانت الأمهات اللائى قررن أن أزواجهن لا يشاركون فى تربية الأطفال تقمن بتعزيز وجود اتجاه كلى لدى أولادهن البنين . وهو ما يدل على أن سلوك الأب تجاه زوجته قد يؤثر على أمومتها بشكل دال ، فقد يزيد على سبيل المثال مما تشعر به من أمن وطمأنينة وذلك عن طريق تقبلها ، وقد يزيد مما تشعر به من شك عن طريق انتقادها .

ومن جانب آخر فقد أوضحت دراسة واحدة فقط ضمن أربع دراسات تم إجراؤها فى هذا المجال أن توقعات الأب للبنات تؤثر على سلوك الأم تجاههن (Radin & Epstain, 1975a) فكانت التوقعات الأكاديمية طويلة المدى ومثيلاتها قصيرة المدى من جانب الأب كما تقاس بالاستبيان المستخدم ترتبط إيجابًا وبشكل دال بدرجات البنات على مقاييس الأداء المعرفى ، إلا أن أنماط السلوك الملاحظ من جانب الأب لم ترتبط بدرجات البنات على تلك المقاييس . وتم افتراض أن مثل هذه التوقعات المستقبلية من جانب الأب قد تنتقل إلى زوجته التى تقوم بالتالى بتغيير توقعاتها لابنتها وسلوكها نحوها . وتمثل النتائج الخاصة بعامل آخر من تلك العوامل التى يتضمنها الاستبيان وهو العامل الخاص بالإثارة التى تقدمها الأم للطفل أى ما تقدمه له كى تساعده على التعلم تأييدًا لهذا الرأى إذ اتضح أن هذا البعد يرتبط بعلاقة دالة بالكفاءة العقلية للبنات وليس البنين . وبذلك فإن توقعات الأب بالنسبة للبنات قد تؤثر على سلوك الأم تجاههن وبالتالى تعمل على رعاية وتعزيز نموهن المعرفى بطريقة غير مباشرة .

وإذا كانت توقعات الأب لأطفاله يمكنها أن تؤثر على سلوك الأم تجاههم فمن غير المحتمل أن تستمر هذه التوقعات فى تأثيرها عندما يغيب الأب عن المنزل وخاصة إذا لم يسبب غيابه مشاعر عدوانية من جانب الأم ، فوجد بيدرسين وأندرسين وكاين (١٩٧٧) Pedersen, Andersen & Cain أن التأثير الذى يحدثه عضو معين فى الأسرة قد يستمر بمغزاه النفسى الذى يتضح من خلاله أن مثل تلك الآثار تظهر فى المواقف التى لا تتضمن ذلك الشخص . ومن المحتمل أن يستمر هذا التأثير حتى فيما بعد الوقت الذى يبقى فيه هذا العضو بالمنزل .

السمات المرتبطة بمكانة الأب :

إضافة إلى ما يقوم به الأب وما يشعر به وما يفكر فيه فإن المستوى الاقتصادى الاجتماعى للأب يرتبط بالكفاءة المعرفية لأطفاله . وقد كشفت إحدى الدراسات الطولية على سبيل المثال أنه يمكن من خلال مستوى تعليم الأب فى حد ذاته التنبؤ بالمستوى التعليمى الذى قد يحققه طفله فى المستقبل ، كما يمكن أيضًا من خلاله التنبؤ بنسبة ذكاء الطفل (Mc Call, 1977) إذ اتضح وجود العديد من الارتباطات الدالة بين مستوى تعليم الأب أو مهنته وبين الكفاءة العقلية لطفله ، إلا أن سبب هذه العلاقة لا يزال

غامضًا . وقد تعتبر المصادر التى تشكل المادة الخام لذلك كالكتب على سبيل المثال التى يوفرها الأب ميسور الحال لابنه على درجة كبيرة من الأهمية . ومن ناحية أخرى فقد يكون للرحلات التى يتم القيام بها إلى المتاحف مثلاً ، والدافعية التى يتم اكتسابها من الأقران والنماذج الناجحة التى قد يجدها الطفل بين الجيران وما إلى ذلك ارتباطها بهذا الجانب كما يرى كولمان وآخرون (١٩٦٦) .Coleman, et al كما قد تسهل بعض الأنماط اللغوية الوالدية من النضج العقلى للأطفال (Hess, et al., 1968) . ومن الجدير بالذكر أن تلك الأنماط اللغوية ترتبط بالطبقة الاجتماعية . وأخيرًا فإننا نجد أنفسنا من جديد أمام نفس السؤال الذى أثير فى البداية حول دور العوامل البيئية والبنائية فى قيام أى علاقة دالة بين الأب وسمات الطفل . وعلى أى حال فنظرًا لأن الارتباطات التى توجد بين درجات الأطفال فى المهام المعرفية وبين مستوى تعليم الوالد أعلى من مثيلاتها التى توجد بين تلك الدرجات التى يحصل عليها الأطفال وبين مستوى تعليم الأم (Honzig, 1963; Mc Call, 1977) فإنه يبدو من غير المعقول أن نستبعد أن تكون العلاقة بين درجات الطفل والسمات المرتبطة بمكانة الأب مجرد نتاج للعلاقة بين المتغيرات المرتبطة بكل من الأم والطفل .

وقد وجد جينكز وآخرون (١٩٧٢) .Jencks, et al العديد من الارتباطات بين القدرة المعرفية للبنين الذين يبلغون الحادية عشرة من أعمارهم من غير المشتغلين بالزراعة وبين بعض المتغيرات المرتبطة بالأب فكان معامل الارتباط بينها وبين مستوى تعليم الأب يساوى ٠,٣٠ وبينها وبين مهنة الأب يساوى ٠,٣٠ أيضًا ، فى حين كانت معاملات الارتباط بين القدرة المعرفية للبنين الراشدين من غير المشتغلين بالزراعة وبين بعض سمات الأب يساوى ٠,٣٠٥ وبينها وبين مهنة الأب يساوى ٠,٣١٤ وللحصول على قيمة عددية لمهنة الأب فى الحسابات السابقة تم إعطاؤها فئة معينة باستخدام مقياس دانكان Duncan كلما كان ذلك ممكنًا . وكانت درجات البنين فى الحادية عشرة من أعمارهم هى الدرجة التى حصل عليها تلاميذ الصف السادس على اختبار الاستعدادات ، أما درجة البنين الراشدين فكانت تلك التى حصلوا عليها فى اختبار التصنيف الخاص بالقوات المسلحة وذلك لتوزيعهم على الأسلحة المختلفة بالجيش . وقد كشفت دراسة مارجوريبانكس (١٩٧٢) Marjoribanks التى أجريت على البنين الإنجليز فى الحادية عشرة من أعمارهم ممن ينتمون إلى الطبقتين المتوسطة والدنيا عن نتائج يمكن مقارنتها

بتلك النتائج إذ كان معامل الارتباط بين الدرجة الكلية التى حصل عليها الأطفال على اختبار القدرات العقلية الأولية وبين مستوى تعليم الأب يساوى ٠,٣١ وهى نسبة دالة عند ٠,٠١ وبينها وبين مهنة الأب يساوى ٠,٤٣ وهى نسبة دالة أيضًا عند ٠,٠١ .

وبذلك فإن دراسات كل من جنيكز Jencks وهونزيك Honzik ومارجوريبانكس Marjoribanks تكشف عن وجود ارتباطات بين مستوى تعليم الأب وبين نسبة ذكاء البنين فى الحادية عشرة من أعمارهم ، وقد تراوحت معاملات الارتباط بين ٠,٣٠ إلى ٠,٣٥ وهى نسب متقاربة بطبيعة الحال .

ومن الجدير بالذكر أن هونزيك (١٩٦٣) Honzik قد استخدم عينة ممثلة للأطفال الذين ولدوا فى بيركلى Berkeley بين الأول من يناير ١٩٢٨ والثلاثين من يونيو ١٩٢٩ . وكشفت الدراسة عن وجود ارتباطات بين مستوى تعليم الأب وبين نسبة ذكاء الأطفال فى مختلف الأعمار . ويوضح الجدول التالى هذه الارتباطات :

جدول (١) معاملات الارتباط بين مستوى تعليم الأب ونسبة ذكاء الأطفال

عمر الطفل بالسنوات	معامل الارتباط للبنين	معاملات الارتباط للبنات
١,٧٥	٠,٠١	٠,١٧
٣	-٠,٠٨	(*)٠,٣٢
٤	٠,١٠	(*)٠,٣٦
٥	٠,٢٣	(**)٠,٣٤
٦	٠,١٧	(**)٠,٤٣
٧	(**)٠,٣٤	(**)٠,٤٤
٨	(**)٠,٢٧	(**)٠,٤١
٩	(**)٠,٢٩	(**)٠,٤١
١٠	(**)٠,٢٧	(**)٠,٤٠
١٢-١٣	(**)٠,٣٥	(**)٠,٤٢
١٤-١٥	(**)٠,٤١	(**)٠,٣٣

(*) دالة عند ٠,٠٥

(**) دالة عند ٠,٠١

ولم تختلف النتائج كثيرًا عندما استخدم هونزيك Honzik مقياسًا للطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها الأب هو دليل وارنر للسمات المرتبطة بالمكانة الاجتماعية للأب Warner Index of Status Characteristics الذى يعتمد على مهنة الأب ومصدر دخله ونوع المنزل الذى يقطن فيه والمنطقة السكنية التى تضم منزله . وقد وصل معامل الارتباط بين هذا المقياس وبين نسبة ذكاء البنات حد الدلالة وذلك بين عينة الأطفال الذين يبلغون الثالثة من أعمارهم حيث كان معامل الارتباط يساوى ٠,٢٧ وبلغ حد الدلالة بالنسبة للبنين فى الخامسة من أعمارهم وكان ٠,٣٧ ومن ناحية أخرى يرى ريبوكشى (١٩٧١) Reppucci فى دراسته التى أجراها على ثمان وأربعين طفلاً فى الشهر السابع والعشرين من أعمارهم ممن ينتمون إلى الطبقة المتوسطة وذلك للكشف عن مدى وجود علاقة بين مستوى تعليم الوالدين ومقاييس الكفاءة المعرفية للأطفال يرى أن معاملات الارتباط بين مستوى تعليم الأب وبين أداء الأطفال على عدد من المهام المعرفية لم تكن ذا دلالة إحصائية ، فى حين كانت معاملات الارتباط بين مستوى تعليم الأب وأداء البنات على عدد من المهام المعرفية ذات دلالة إحصائية وقد تراوحت معاملات الارتباط بين ٠,٤٩-٠,٧٢ .

ومن الجدير بالذكر أن دراسات كون وروسمان (١٩٧٣) Kohn & Rosman وبومريند (١٩٧١) Baumrind ورادين وابشتاين (١٩٧٥ - ب) Radin & Epstein قد كشفت عن وجود ارتباط بين مستوى تعليم الأب ودرجات الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين أربع إلى ست سنوات على اختبار الذكاء ، وأوضحت بومريند أن نسبة معامل الارتباط كانت ٠,٢٥ بالنسبة للبنات فى الرابعة من أعمارهن ، فى حين كانت ٠,٠٩ بالنسبة للبنين فى نفس العمر . ولم تكن أى من هذه النسب ذات دلالة إحصائية . وعند استخدام مقياس عن مهنة الأب واستخدام هذا المتغير بدلاً من مستوى تعليم الأب تم الحصول على نسب مشابهة . وقد وضع كون وروسمان Kohn & Rosman مستوى تعليم الأب ومهنته فى دليل واحد يسمى « دليل هولنجشيد ذو العاملين للمكانة الاجتماعية » Hollingshead two-factor Index of social position فتم الحصول على معامل ارتباط دال نسبته ٠,٢٤ بين نسبة ذكاء البنين من أطفال الروضة وبين دليل هولنجشيد . ويعتبر معامل الارتباط هذا أقل فى نسبته من كثير من معاملات الارتباط التى كشفت عنها العديد من الدراسات التى يعج بها التراث السيكلوجى والتى كانت ٠,٤٠ وذلك بين مهنة الأب وبين نسبة ذكاء

الطفل . وربما يرجع ذلك إلى أن العينة التى أجرى عليها كون وروسمان دراستهما التى نحن بصددها الآن قد ضمت البنين الذين يبلغون الخامسة من أعمارهم ، وأن دراسة هونزيك وآخرين تبين أن المتغيرات المرتبطة بالطبقة الاجتماعية لا يمكنها عادة التنبؤ بنسبة ذكاء البنين حتى بلوغهم الخامسة أو السادسة من أعمارهم .

وقد قمنا نحن أيضًا فى دراسة لنا باستخدام دليل هولنجشيد ووجدنا أن معامل الارتباط بينه وبين نسبة ذكاء الأطفال فى نهاية الروضة يساوى ٠,١٢ للبنين وهى نسبة غير دالة ، ويساوى ٠,٣٤ للبنات وهى نسبة دالة عند مستوى ٠,٠١ كما كان معامل الارتباط بين مستوى تعليم الأب وبين ذكاء الأطفال مشابهًا لذلك حيث كان يساوى ٠,٠٨ للبنين ، ٠,٣١ للبنات .

وبذلك يتضح لنا وجود بعض الثبات فى نمط الارتباط التى كشفت عنه الدراسات السابقة وذلك على الرغم من أنه لم يكن كذلك بالنسبة للأطفال الذين يبلغون الحادية عشرة من أعمارهم . ولم يكن ذلك مدهشًا نظرًا لأن نسبة الذكاء قد ثبتت عند أحد عشر عامًا فى حين نجد أنها تبدأ فى الثبات فى الأعمار من أربع إلى ست سنوات (Honzik, 1963) . وطبقًا لما توصلت إليه دراسات بومريند Baumrind وكون وروسمان Kohn & Rosman وهونزيك Honzik ورداين Radin من نتائج فإن مدى معاملات الارتباط فى حالة البنين الذين تتراوح أعمارهم بين أربع إلى ست سنوات يتراوح بين ٠,٠٩-٠,٢٤ أما فى حالة البنات فإن مدى معاملات الارتباط يزداد عن ذلك ليتراوح بين ٠,٢٥-٠,٣٦ وبذلك يتضح أن معاملات الارتباط بالنسبة للبنات أعلى من مثيلاتها لدى البنين ، كما لم يحدث أى نوع من التداخل فى معاملات الارتباط التى تم الحصول عليها . وعلاوة على ذلك فإننا نلاحظ فى الدراسات التى ضمت عيناتها كلاً من البنين والبنات أن معاملات الارتباط بالنسبة للبنات كانت أعلى أيضًا من مثيلاتها لدى البنين وذلك بشكل ثابت . إلا أن سبب وجود ارتباط فى سن مبكرة بين درجات البنات فى المهام المعرفية وبين مستوى تعليم الأب أومهنته لم يتضح بعد كلية .

ويرجع هونزيك (١٩٦٣) Honzik هذا النمط المختلف من الارتباطات إلى الفروق بين الجنسين فى معدل النضج الفسيولوجى فكما تصل البنات إلى المعدل النهائى لطولهن فى سن مبكرة عن البنين يحدث الشئ نفسه لجهازهن العصبى المركزى فينمو

بسرعة أكبر من مثيله لدى البنين وهو ما يؤدى إلى النضج العقلى المبكر للبنات عن البنين أيضًا ، إلا أن هذا الأمر لا يزال فى حاجة إلى مزيد من الدراسات لحسم هذه المسألة .

ومن الجدير بالذكر أن أيًا من الدراسات التى تم تناولها فى هذا الفصل لم تكشف عن وجود معامل ارتباط يتعدى ٠,٥٠ بين سمات الأب وبين الكفاءة المعرفية للطفل ، وبذلك يمكننا القول بأننا نجد فى الغالب أن أقل من ٢٥٪ من تباين درجات الطفل فى المهام المعرفية يعود إلى الوضع الخاص بالطبقة الاجتماعية لوالد الطفل . ومن هذا المنطلق تكتسب دراستا بومريند Baumrind و رداين Radin أهمية خاصة نظرًا لتوصلهما إلى وجود معاملات ارتباط بين السلوك الملاحظ من جانب الأب وبين نسبة ذكاء الطفل أعلى من مثيلاتها بين مستوى تعليم الأب وبين نسبة ذكاء الطفل .

غياب الأب :

تتسم معظم الأدلة التى تتعلق بدور الأب فى الأداء العقلى للطفل بالتناقض فقد أوضحت مراجعة حديثة نسبيًا للدراسات المرتبطة بهذا الموضوع والتى يعج بها التراث السيكلوجى أنه من المحتمل أن يكون لغياب الأب آثار سلبية على النمو المعرفى للطفل (Shinn, 1978) . وعلى الرغم من ذلك هناك بعض الاستثناءات لهذه النتيجة . ويعتبر موضوع الآثار التى يخلفها غياب الأب على الطفل ذا أهمية خاصة فى ضوء التقديرات الحالية والتى ترى أن طفلاً واحدًا من بين كل أربعة أطفال تقل أعمارهم عن ثمانية عشر عامًا بالولايات المتحدة الأمريكية سوف يعيش مع أحد والديه فقط فى عقد التسعينات وبالتحديد فإنهم جميعًا سوف يعيشون مع أمهاتهم (Glick, 1979) . وكانت النسبة فى عام ١٩٦٠ أقل من ذلك بكثير حيث كانت أقل من واحد فقط إلى كل عشرة أطفال ، بينما كانت فى عام ١٩٧٨ طفلاً واحدًا من بين كل خمسة أطفال . ومن المحتمل أن يؤدى انتشار مثل هذه الأسر ذات الوالد الواحد فى الثمانينيات والتسعينات بنتائج البحوث التى أجريت على غياب الأب خلال العقود الماضية لأن تصبح غير قابلة للتطبيق الآن . وقد يرجع ذلك إلى أنه مع التناقص الحاد فى عدد الأسر ذات الوالد الواحد وخصوصًا تلك التى تنتمى إلى الطبقة المتوسطة والتى تقوم بتربية الأطفال (Bronfenbrenner, 1975) يصبح من المحتمل أن تتغير اتجاهات المجتمع ووسائل الإعلام هى الأخرى ، كما ستظهر جماعات جديدة تساندها شبكة العلاقات التى تتضمنها الأسر الممتدة . وقد تصبح الأسرة التى كنا نعتبرها ذات يوم أسرة مفككة مقبولة كتركيب أسرى وظيفى بديل .

وهناك من الأدلة ما يؤكد على أن بعض علماء الاجتماع قد قاموا بالفعل وبنفس الطريقة بصياغة مفهوم عن الوالد الأسود الذى يعيش بمفرده ويقوم بتربية طفل (Billingsley, 1968) . وعلى الرغم من الطبيعة القديمة أو المهجورة للنتائج السابقة فيما يتعلق بآثار غياب الأب على النمو المعرفى للأطفال فإنه من المهم بالنسبة لنا أن نعرف ما تم اكتشافه بالفعل حتى وإن كان ذلك بغرض مقارنة هذه النتائج بتلك التى يمكن أن تكشف عنها الدراسات التى سوف يتم إجراؤها فى العقود القادمة وذلك فى سياق مجتمعى يكون قد تغير بالفعل عن السياق المجتمعى الحالى .

الآثار السلبية المتراكمة لغياب الأب على الطفل :

تعتبر دويتش Deutsch من بين أولئك الذين توصلوا إلى وجود أثر سلبى لغياب الأب على الطفل وذلك فى دراستها التى أجرتها عام ١٩٦٠ ، وفى دراسة أخرى لها أجرتها بالاشتراك مع براون (١٩٦٤) Deutsch & Brown وذلك بغرض التعرف على الأداء الدراسى للأطفال السود ممن ينتمون إلى الطبقة الدنيا . وترى دويتش أن الأطفال غائبى الأب ممن تتراوح أعمارهم بين العاشرة والثالثة عشرة قد حصلوا على درجات فى الاختبارات المدرسية أقل من أقرانهم حاضرى الأب . كما لم تجد دويتش وبراون فروقًا دالة فى التحصيل بين أطفال الصف الأول الابتدائى غائبى الأب وبين أقرانهم حاضرى الأب ، إلا أنهما تريان أن الفروق بين المجموعتين تصبح دالة عندما يصل الأطفال إلى الصف الخامس وذلك لصالح الأطفال حاضرى الأب . وأرجعتا هذه النتائج إلى الأثر السلبى الذى يخلفه غياب الأب على الطفل .

ومن ناحية أخرى تشير النتائج التى توصل إليها شيارا (١٩٧٥) Sciara من دراسته للدرجات التى حصل عليها أكثر من ألف طفل أسود ممن يقطنون بمناطق لمحدودى الدخل وذلك فى اختبارات الصف الرابع الابتدائى فى القراءة والرياضيات تشير إلى وجود فروق دالة بين متوسطى درجات الاختبارين لصالح الأطفال حاضرى الأب وذلك على الرغم من أن هذه الفروق كانت صغيرة حيث كانت تساوى ٠,٣ من العام الدراسى فى كل مادة . وعند تناول درجات كل جنس بمفرده لم توجد فروق دالة سواء فى درجات القراءة أو فى درجات الرياضيات وذلك بين البنين غائبى الأب وأقرانهم

حاضـرى الأب . أما بالنسبة للبنات فقد كانت هناك فروق دالة بين درجات المجموعتين فى الرياضيات لصالح البنات حاضـرات الأب وكان مقـدار الفـروق يسـاوى ٠,٤ مـن العام الدراسـى . أما أكثر النتائج دلالة فى هذه الدراسة فقد تمثلت فى الفرق الكبير نسـبيًا بين الأطفال حاضـرى الأب وأقرانهم غائبى الأب والذين تزيد نسبة ذكـائهم عـن مائـة حيث كان الفرق فى الدرجات فى هذه الحالة يساوى عامًا دراسيًا كاملاً بالتقريـب وذلـك فى كل من القراءة والرياضيات . أما بالنسبة لأولئك الأطفال الذين تقل نسبة ذكائهم عن مائة فكانت الفروق بينهم مقدارها ٠,١ من العام الدراسـى فى كلا المجالين موضوع هذه الدراسة .

ويقدم هيس وآخرون (١٩٦٨، ١٩٦٩) Hess, et al. دليلاً آخر يؤيد ذلـك الأثـر السلبى لغياب الأب إذ لم يتوصلوا إلى وجود أوجه قصـور معرفيـة تـرتبط بغيـاب الأب وذلك بين الأطفال السود بالروضة وبالصـف الأول الابتـدائى ممـن ينتمـون إلى الطبقـة الدنيا ، فى حين اتضح لهم وجود بعض أوجه القصور المعرفية بـين الأطفـال فى صـفوف دراسية تالية تعود بطبيعة الحال إلى غياب الأب . ومع ذلك فقد قـام كـل مـن سـانتروك وولفورد (١٩٧٠) Santrock & Wohlford بإجراء المقارنة بين البنين البيض حاضـرى الأب بالصف الخامس الابتدائى وأقرانهم غائبى الأب واكتشفا أن أقل الدرجات كانـت تلك التى حصل عليها البنون الذين بدأ غياب آبـائهم حيـنما كـان هـؤلاء الأطفـال بـين السادسة والتاسعة من أعمارهم . وهذا يدل على أن حداثة غياب الأب تعتبر أكثر أثرًا من إجمالى عدد سنوات هذا الغياب ، يليها درجات الأطفال الذين بدأ غيـاب آبـائهم عنـدما كان عمر هؤلاء الأطفال يقل عن عامين ، ثم درجات أولئك الأطفال الذين غاب عـنهم آباؤهم عندما كانت أعمارهم تتراوح بين الثالثة والخامسة .

الفروق بين الجنسين فيما يتعلق بأثر غياب الأب :

توصل شيلتون (١٩٦٨) Shelton إلى نتائج مشابهة لتلك التى توصلت إليها دويتش وبـراون (١٩٦٤) Deutsch & Brown وذلـك مـن مقارنتـه لطـلاب المـدارس العليـا حاضـرى الأب وأقرانهم غائبى الأب بولاية إيـوا Iowa وتوصـل إلى أن الطـلاب غـائبى الأب يقلون بشكل دال عن أقرانهم حاضـرى الأب فى التحصيل وذلك عند تثبيـت نسـبة الذكاء . وإضافة إلى ذلك فقد كان هناك دليل على أن انحلال الأسـرة له أثر على البنين أكـبر

من أثره على البنات حيث حصل البنون غائبو الأب على درجات أقل بشكل دال من البنات غائبات الأب على الرغم من عدم وجود فروق دالة بين البنات حاضرات الأب والبنين حاضرى الأب . وعلاوة على ذلك وعلى الرغم من حصول البنين غائبى الأب على درجات أقل بشكل دال من أقرانهم حاضرى الأب فلم تكن هناك فروق دالة بين البنات حاضرات الأب وقريناتهن غائبات الأب . واتفاقًا مع هذه النتائج توضح النتائج التى توصل إليها بيدرسين وروبنشتاين ويارو (١٩٧٣، ١٩٧٩) Pedersen, Rubenstein & Yarrow أن الأطفال الذكور السود غائبى الأب كانوا أقل فى كفاءتهم المعرفية من أقرانهم حاضرى الأب حتى عندما كان متوسط عدد أفراد الأسرة متساويًا فى المجموعتين . ولم يجد هؤلاء الباحثون أن غياب الأب له تأثير دال على البنات .

ويؤكد ليسنج وزاجورين ونيلسون (١٩٧٠) Lessing, Zagorin & Nelson على وجود فروق دالة بين الجنسين فيما يتعلق بأثر غياب الأب إذ وجدوا أن الأطفال غائبى الأب الذين تتراوح أعمارهم بين التاسعة والخامسة عشرة والذين غاب عنهم آباؤهم لمدة عامين على الأقل كان أداؤهم على مقياس وكسلر للذكاء يعكس نسبة ذكاء أقل من أقرانهم حاضرى الأب بغض النظر عن جنس الطفل أو طبقته الاجتماعية . ومع ذلك فقد حصل البنون غائبو الأب - وليس البنات - على درجات أقل من أقرانهم حاضرى الأب وذلك فى اختبار فرعى للرياضيات . وكان قد تم تحويل كل هؤلاء الأطفال إلى إحدى العيادات لإجراء التشخيص اللازم لهم وذلك بأحد المعاهد البحثية ، ولذا اعتبرهم الباحثون ممثلين لعينة إكلينيكية ، وربما يعتبر هذا العامل هو المسئول عن الفروق التى ظهرت بالنسبة للبنات غائبات الأب وذلك بين دراسة شيلتون Shelton ودراسة ليسنج وآخرين Lessing, et al, والتى اتضح فيها أن لغياب الأب أثرًا أكبر مما أوضحته دراسة شيلتون .

ومن ناحية أخرى اكتشف سانتروك (١٩٧٢) Santrock فى دراسته الموسعة وجود أثر مختلف يخلفه غياب الأب بسبب موته فى مقابل غيابه بسبب الطلاق أوالهجر أو الانفصال وذلك بالنسبة للأطفال البيض ممن ينتمون إلى الطبقة الدنيا . كما تم أيضًا دراسة أثر جنس الطفل وعمره عند بداية غياب الأب وذلك عن طريق فحص درجات أطفال الصفين الثالث والسادس على اختبارات تحصيل مقننة . وتمثلت أهم النتائج التى

تم التوصل إليها فى أن جنس الطفل وعمره عند بداية غياب الأب وسبب الغياب يعتبرون بمثابة متغيرات لها دلالتها بالنسبة لأثر غياب الأب على الأداء العقلى والأكاديمى للطفل . وبوجه عام يتضح أن البنين والبنات ممن غاب عنهم آباؤهم لأى سبب قد حصلوا على درجات فى اختبارات التحصيل الخاصة بالصف الثالث أقل من أقرانهم حاضرى الأب ، واتضح أيضًا بالنسبة لكل من البنين والبنات وجود ضعف تزداد درجته إذا كان غياب الأب يرجع إلى الطلاق أو الهجر أو الانفصال وذلك مقارنة بغياب الأب بسبب الموت .

وعندما لا يكون غياب الأب قد حدث بسبب الموت ويكون هذا الغياب قد بدأ قبل بلوغ الطفل الخامسة من عمره يصبح لهذا الغياب أثر أكثر سلبية مما لو حدث لنفس السبب وكان عمر الطفل من أى جنس يتراوح بين السادسة والحادية عشرة . وتعتبر الفترة منذ ميلاد الطفل وحتى نهاية السنة الثانية من عمره أكثر حساسية للأطفال من الجنسين عندما يغيب الأب عن المنزل بسبب الطلاق أو الهجر أو الانفصال . أما عندما يحدث غياب الأب بسبب الموت تكون أكثر السنوات حساسية فى عمر البنين هى تلك التى تتراوح بين السادسة والتاسعة من أعمارهم . وفى حقيقة الأمر لا يوجد هناك دليل على التأخر المعرفى للبنين الذين توفى آباؤهم قبل بلوغ هؤلاء البنين الثانية من أعمارهم ، ومع ذلك فهناك اتجاه بين هؤلاء البنين لأن يكونوا من ذوى نسب الذكاء الأكثر ارتفاعًا قياسًا بأقرانهم حاضرى الأب . وإلى جانب ذلك هناك فرق آخر بين البنين والبنات يتمثل فى ردود أفعالهم لوجود زوج للأم فى المنزل ، فإذا ما انضم زوج الأم إلى الأسرة التى غاب عنها الأب بسبب الطلاق أو الهجر أو الانفصال وذلك قبل بلوغ الطفل الخامسة من عمره فإن درجات البنين فى التحصيل تتحسن ، فى حين لا يحدث نفس الشئ بالنسبة للبنات وبذلك يتضح أن هذه الدراسة تميل إلى تأكيد ذلك الافتراض الذى يرى أن قيام الطفل باتخاذ الوالد من نفس الجنس نموذج له يؤثر على الأداء المعرفى للبنين الأصغر سنًا .

ومن ناحية أخرى توصلت تشابمان (١٩٧٧) Chapman إلى نتائج مشابهة عند دراستها للطلاب الأكبر عمرًا وعددهم ستة عشر طالبًا وست عشرة طالبة بالجامعة من الطلاب البيض وذلك فى كل تركيب أسرى من التراكيب الأسرية الثلاثة التى قامت

بدراستها وهى الأسر العادية ، والأسر التى يغيب عنها الأب ، والأسر التى يوجد بها زوج للأم . وأوضحت النتائج أن وجود زوج للأم يعمل على التخفيف من الأثر السلبى الذى تعكسه درجات الطلاب على اختبار الاستعداد للجامعة وذلك بالنسبة للبنين غائبى الأب ، وكلما كان عمر الولد صغيرًا عندما تزوجت أمه مرة أخرى كان يحصل على درجات أكثر ارتفاعًا على اختبار الاستعداد للجامعة . ومع ذلك فلم تجد تشابمان Chapman آثارًا ثابتة لغياب الأب على الأداء المعرفى للبنات ، ومن ثم لم تجد أيضًا أثرًا ثابتًا لزوج الأم فى هذا الإطار . وعلاوة على ذلك فلم تجد تشابمان على العكس مما توصلت إليه كارل سميث (١٩٦٤) Carlsmith أن غياب الأب يرتبط بشدة بالانخفاض فى الدرجات التى حصل عليها أفراد العينة فى اختبارات الاستعدادات اللغوية أكثر من ارتباطه بدرجاتهم فى الرياضيات .

عمر الطفل عند بداية غياب الأب :

ركزت دراسات أخرى عديدة غير دراسة سانتروك Santrock على عمر الطفل عند بداية غياب الأب . ومن بين هذه الدراسات نجد تلك الدراسة التى أجراها ماكسويل (١٩٦١) Maxwell على الأطفال الإنجليز الذين تتراوح أعمارهم بين ثمانى سنوات إلى ثلاث عشرة سنة . وتحت ظروف علاجية معينة فى إحدى العيادات النفسية كشفت هذه الدراسة عن أن أولئك الأطفال الذين بدأ غياب آبائهم عنهم عندما كانوا قد تجاوزوا الخامسة من أعمارهم كانوا أقل تأخرًا من ذلك ، وعلى الرغم من أن عينة هذه الدراسة قد اشتملت على كل من البنين والبنات فلم يلاحظ أى تأخر واضح يرجع إلى جنس الطفل . وفى مجال الرياضيات وجد ستون سميث وزملاؤه (١٩٦٨) .Sutton-Smith, et al أن الأعمار من العام الأول وحتى العام التاسع من عمر الطفل تعتبر فترة حرجة بالنسبة للبنات. أما إجمالى عدد السنوات التى يغيبها الأب والتى تمثل مدة غيابه فلم تظهر له أى أهمية . ولم يجد شيلتون (١٩٧٨) Shelton أى فروق دالة فى التحصيل بين ثلاث مجموعات فرعية من تلاميذ المدارس العليا الذين يغيب عنهم آباؤهم والذين تم تعيين هويتهم طبقًا لوقت انحلال المنزل . وكما اتضح سابقًا فقد وجد سانتروك Santrock أن كلاً من جنس الطفل وسبب غياب الأب يؤثر على تحديد السن الأكثر حرجًا للطفل عند بداية غياب الأب . وهكذا يتضح وجود قدر قليل من الاتفاق حول وجود عمر حرج واحد يكون عنده موت الأب أو رحيله عن المنزل ذا تأثير سلبى بدرجة أكبر على الطفل .

أثر غياب الأب على الأطفال الأصغر سنًا :

لم يتوصل كون وروسمان (١٩٧٣) Kohn & Rosman إلى وجود أى فروق دالة فى نسبة الذكاء كما يعكسها اختبار ستانفورد - بينيه Stanford-Binet وذلك بين البنين من أطفال الروضة حاضرى الأب وأقرانهم غائبى الأب من ثلاث طبقات اجتماعية ضمت كلاً من البيض والسود . وقد تم استخدام العديد من المقاييس المعرفية ، إلا أنه لم توجد ارتباطات دالة سوى بين القليل جدًا منها وذلك فيما يتعلق بغياب الأب . ويرى الباحثان أن هذه النتائج تدعم تلك التى توصلا إليها سابقًا من أن مدى تماسك الأسرة لا يعتبر مناسبًا بدرجة كبيرة للأداء المعرفى للأطفال فى سن الروضة .

وتتفق هذه النتائج مع تلك التى توصلت إليها دويتش وبراون (١٩٦٤) Deutsch & Brown وهيس وآخرون (١٩٦٨) Hess, et al. فى دراستهم للأطفال السود . وكذلك لم يجد كولمان وآخرون (١٩٦٦) Coleman, et al. فروقًا دالة فى درجات اختبار للقدرات بين أطفال الروضة حاضرى الأب وأقرانهم غائبى الأب علمًا بأن عينة هذه الدراسة قد تضمنت البيض والسود من الأطفال . وطبقًا لما تراه هيذرنجتون وكوكس وكوكس (١٩٧٨ - أ) Hetherington,Cox & Cox هناك فروق معرفية دالة بين الأطفال الذين ينحدرون من أسر مفككة أى يعيشون مع أحد الوالدين فقط وذلك فى سن ما قبل المدرسة . وقد يرجع السبب فى ذلك إلى عدم حدوث أوجه قصور تراكمية بعد كما ترى دويتش (١٩٦٠) Deutsch أو إلى أن أنواع المهارات المعرفية التى تم قياسها لدى هؤلاء الأطفال فى هذه السن الصغيرة لا تتأثر كثيرًا بغياب الأب كما ترى شين (١٩٧٨) Shinn .

أثر السلالة والعرق فى حالة غياب الأب :

تناول كولمان Coleman أهمية العرق فى حالة غياب الأب وذلك من خلال فحصه لدرجات طلاب الصفوف السادس والتاسع والثانى عشر فى اختبار تحصيلى ولم يتم التوصل إلى أى فروق دالة بين الطلاب البيض أو السود ممن ينتمون إلى أسر مفككة وذلك فى التحصيل الدراسى . ومع هذا فقد كانت هناك فروق دالة بالنسبة لمجموعات أخرى من الأقليات وخاصة الأمريكيين الشرقيين والأمريكيين المكسيكيين وإلى حد أقل البورتوريكيين . وعلى الرغم من أن كولمان وزملاءه لم يعلقوا على هذه الحقيقة فإنه يبدو

أن الأسر التى تنتمى إلى ثقافات يميل الأب فيها إلى أن يكون قويًا جدًا تعتبر هى الأكثر تأثرًا بشكل عكسى بغياب الأب . وقد لاحظ هؤلاء الباحثون مع ذلك أنه وعلى العكس من الكثير مما كتب حول هذا الموضوع فإن الوحدة الثنائية للأسرة - وفى الأساس وجود الأب أو غيابه - توضح وجود علاقة ضئيلة جدًا مع التحصيل بالنسبة للزنوج . ومع ذلك فقد اتضح أنه توجد علاقة قوية بينها وبين التحصيل بالنسبة لجماعات الأقليات الأخرى .

ومن ناحية أخرى لم يتوصل باحثون آخرون أيضًا إلى وجود فروق دالة فى الأداء المعرفى بين الأطفال السود حاضرى الأب وأقرانهم غائبى الأب فوجد واسرمان Wasserman (١٩٦٨) أن البنين السود غائبى الأب ممن ينتمون إلى الطبقة الدنيا الذين تتراوح أعمارهم بين عشر سنوات وست عشرة سنة لم يكونوا أسوأ فيما يتعلق بالتحصيل الأكاديمى من أقرانهم حاضرى الأب وذلك على الرغم من أن ستين فى المائة تقريبًا من أفراد المجموعتين قد رسبوا فى الصف الدراسى الذى كانوا يدرسون فيه . ولم يجد كورتز وفليمنج Cortes & Fleming (١٩٦٨) أيضًا أى فروق دالة فى التحصيل بين البنين السود ممن ينتون إلى الطبقة الدنيا الذين تتراوح أعمارهم بين تسع سنوات وإحدى عشرة سنة من حاضرى الأب أو غائبى الأب ممن يعيشون مع بديل الأب . ولم يصل أفراد المجموعتين إلى المعايير المحددة على اختبارات التحصيل المقننة وخاصة فيما يتعلق بالرياضيات .

وعلاوة على ذلك فقد وجدت شين Shinn (١٩٧٨) فى مراجعتها للتراث السيكلوجى حول غياب الأب أن ٤٣٪ أو ست دراسات من بين أربع عشرة دراسة أجريت على الأسر السوداء كشفت عن وجود آثار حاسمة لغياب الأب ، بينما كانت ٧٥٪ أو اثنتا عشرة دراسة من بين إحدى وعشرين دراسة أجريت على البيض هى التى كشفت عن ذلك أيضًا . ومن المحتمل أن يكون الطفل الأسود الذى ينتمى إلى الطبقة الدنيا مرتبكًا بالفعل من جراء حظه العاثر لدرجة أن الإعاقة الإضافية التى تتمثل فى عدم وجود الأب لا يكون لها أى تأثير حرج عليه . وقد يكون أكثر الأطفال معاناة هم أولئك الذين لا يوجد أمام محاولاتهم العقلية سوى فرص قليلة لاستنفادها . ويؤكد شيارا Sciara (١٩٧٥) وجهة النظر هذه حيث توصل إلى وجود آثار أكثر سلبية لغياب الأب

على الأطفال السود ممن ينتمون إلى الطبقة الدنيا الذين تزيد نسب ذكائهم عن مائة مقارنة بالأطفال الذين تقل نسب ذكائهم عن مائة . ويبدو أن الأطفال المتفوقين عقليًا أى الذين تزيد نسب ذكائهم عن مائة هم الذين يتأثر نموهم المعرفى بدرجة كبيرة عندما يغيب الأب عن الأسرة .

النبوغ والتفوق العقلى :

يرى هيلجارد ونيومان وفيسك (١٩٦٠) Hilgard, Neuman & Fisk من دراستهم لعينة ممثلة للأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين تسع عشرة سنة وتسع وأربعين سنة ممن غاب آباؤهم خلال طفولتهم أن هؤلاء الرجال كانوا متفوقين أكاديميًا ومهنيًا بدرجة كبيرة . وعندما قام ألبرت (١٩٦٩) Albert - كما يرى بيلر (١٩٧١) Biller - بتحليل الخلفيات الأسرية للعباقرة اكتشف وجود معدل مرتفع لغياب آبائهم عنهم خلال طفولتهم ، وقام بإرجاع هذه الظاهرة إلى احتمال أن يكون الأطفال المتفوقون الذين غاب عنهم آباؤهم كانوا أكثر حرية لاكتشاف البيئة وأكثر تطويرًا لنمط سلوكى أكثر إبداعًا . فى حين يعرض بيلر (١٩٧١) Biller تفسيرًا بديلاً لذلك فيرى أن العلاقة القوية لهؤلاء المتفوقين بأم ذات توجه عقلى من المحتمل أن يكون قد سهل من نمو هؤلاء الأطفال المتفوقين غائبى الأب . وكتدعيم لهذا الرأى اقتبس بيلر Biller تلك النتائج التى توصل إليها ليفى (١٩٤٣) Levy من أن البنين الذين أظهروا تفوقًا فى المدرسة وخاصة فى المهارات التى تتطلب المهارة اللفظية ، أما أداؤهم فى الرياضيات فلم يكن بنفس المستوى . وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه كارل سميث (١٩٦٤) Carlsmith من أن الأب يلعب دورًا هامًا فى نمو القدرة الرياضية للبنين .

ومن ناحية أخرى وجد ليسنج وآخرون (١٩٧٠) .Lessing, et al أن الأطفال غائبى الأب ممن ينتمون إلى الطبقة العاملة قد حصلوا على درجات أقل فى القدرة على مقياس وكسلر للذكاء مقارنة بأقرانهم حاضرى الأب وكانت نسبة ذكائهم كما تعكسها درجاتهم على المقياس ككل أقل أيضًا من أقرانهم حاضرى الأب . وطبقًا لهؤلاء الباحثين يمكن تفسير النقص المعرفى العام الذى يوجد بين هؤلاء الأطفال على أنه رد فعل للضغوط الشديدة لفقد العديد من المصادر التى يقوم الأب بتوفيرها وذلك فى ظل عدم الحصول على أى مكاسب تعويضية . وهذا يعنى أن الأسر التى تنتمى إلى الطبقة

المتوسطة قادرة على الاستمرار فى تزويد هؤلاء الأطفال بمصادر أخرى تقوم الأم بتوفيرها حتى بعد رحيل الأب عن المنزل أو وفاته ، ومن ثم يصبح بمقدور الأطفال أن يصمدوا أمام هذا الغياب بشكل ذى فاعلية . ومع ذلك فلم يوضح هؤلاء الباحثون تلك المكاسب التعويضية التى يمكن أن يكتسبها الأطفال غائبى الأب ممن ينتمون إلى الطبقة المتوسطة . ومن المحتمل أن تتمثل تلك المكاسب فى القرب من أم ذات توجه عقلى كما يرى بيلر (١٩٧١) Biller إلا أنه قد يكون هناك مصدر آخر محتمل للقوة لدى الطفل الذى يغيب عنه أبوه يتمثل فى ذلك القدر الأكبر من المسئولية الذى يلقى على عاتقه إضافة إلى ذلك القدر الزائد من الاستقلالية . ويؤكد ويس (١٩٧٩) Weiss هو الآخر على ذلك إثر مقابلته لما يزيد عنه مائتين من الأمهات والآباء من ذوى الخلفيات التعليمية المختلفة ممن يعيشون بمفردهم ، ومقابلته أيضًا لما يقارب من أربعين طفلاً تتراوح أعمارهم بين السادسة وحتى المراهقة ويعيشون مع أحد والديهم فقط ، فيرى أنه من المحتمل بالنسبة للأمهات اللائى يعشن بلا أزواج وتعملن طوال الوقت أن تبتعدن عن سلم القوة أو السلطة الذى يوجد فى الأسر التى يعيش فيها كلا الوالدين معًا ، وأن تشاركن الأطفال فى المسئوليات الإدارية ، ونتيجة لذلك قد يكون هناك رعاية للنضج المبكر لهؤلاء الأطفال . وبالنسبة للكثير من الأطفال الأصغر والأكبر سنًا نجد أن المطالب الجديدة الملقاه على عاتقهم فيما يتعلق بالاستقلالية والمسئولية قد تؤدى بهم إلى النضج والاستقلال وتطوير مفهوم للكفاءة .

وعلى العكس من ذلك فقد أوضحت الدراسة الطولية التى أجرتها هيذرنجتون وكوكس وكوكس (١٩٧٨ - أ ، ١٩٧٩ - ب) Hetherington, Cox & Cox والتى أجرينها على الأسر المطلقة من ذوى الأطفال بمرحلة ما قبل المدرسة أن الأم بعد عامين من طلاقها كانت قادرة على الوفاء ببعض المتطلبات القليلة التى تتعلق بأنماط السلوك المستقل الناضج لأطفالها وهو ما أدى بها إلى مدى أقل من الحيرة والاهتمام بالأطفال الذين أدى بهم ذلك إلى انخفاض شديد فى الدرجات التى حصلوا عليها فى المهام المعرفية التى تتطلب منهم الانتباه .

ويؤكد ذلك التفاوت فى النتائج بين دراستى ويس Weiss وهيذرنجتون وآخرين Hetherington, et al. على حقيقة أن عمر الطفل عند بداية غياب الأب وعدد السنوات التى يقضيها فى أسرة ذات والد واحد فقط تعتبر من المتغيرات الأساسية التى ترتبط

بآثار غياب الأب على نمو الطفل ، إلا أنه من الخطر أن نقوم بتعميم تلك النتائج التى تتعلق بغياب الأب على أكثر من العينة التى تمت دراستها بمواصفاتها التى تم تحديدها .

بنية الأسرة وتركيبها :

عند تناولهم لأهمية بنية الأسرة وتركيبها حال غياب الأب قام سوتن سميث وآخرون (١٩٦٨) Sutton-Smith, et al. بإجراء مقارنة بين درجات اختبار الالتحاق بالجامعة الذى يعقد فى الولايات المتحدة الأمريكية وذلك بين طلاب السنة الثانية الذين يغيب عنهم آباؤهم وأقرانهم حاضرى الأب ممن ينتمون إلى الطبقة المتوسطة وذلك من الأسر التى تضم طفلاً واحدًا والأسر التى تضم طفلين والأسر التى تضم ثلاثة أطفال. كما قاموا أيضًا بدراسة أثر الترتيب الميلادى وجنس الأخوة فى هذا الصدد . وأوضحت النتائج أن الدرجات النوعية Qualitative ودرجات اللغة والدرجة الكلية للطلاب غائبى الأب كانت أقل من درجات أقرانهم حاضرى الأب بغض النظر عن عمر الطالب عند بداية غياب الأب أو مدة غياب الأب عن الأسرة ، ومع ذلك فقد كانت آثار غياب الأب على البنين أكثر تأثيرًا منها على البنات ، وكانت أقوى ما يكون على الأسر التى تضم ثلاثة أطفال ، ومعتدلة على الأسر التى تضم طفلين ، بينما كانت عند حدها الأدنى بالنسبة لتلك الأسر التى تضم طفلاً واحدًا فقط .

ومن ناحية أخرى وجد بلانشرد وبيلر (١٩٧١) Blanchard & Biller أن البنين من تلاميذ الصف الثالث الابتدائى الذين غاب عنهم آباؤهم عندما كان عمر هؤلاء الأطفال أكثر من خمس سنوات كان أداؤهم المعرفى أفضل من أقرانهم الذين غاب عنهم آباؤهم قبل بلوغهم الخامسة من أعمارهم . وكانت درجات هؤلاء البنين فى حالة انخفاض معدل التفاعل مع الأب تماثل درجات أولئك البنين الذين غاب آباؤهم قبل بلوغهم الخامسة من أعمارهم ، وترى كارل سميث (١٩٦٤) Carlsmith أن طلاب المدارس العليا من البنين الذين غاب عنهم آباؤهم فى طفولتهم المبكرة قد حصلوا على درجات فى القدرة اللفظية أعلى من درجاتهم فى الرياضيات ، وأن حدوث هذا النمط الأنثوى الذى تعكسه هذه الدرجات يرتبط بمدة غياب الأب وعمر الطفل عند بداية الغياب . ويؤكد نيلسين وماكوبى (١٩٦٦) Nelsen & Maccoby أن البنين غائبى الأب

من الطلاب المستجدين بالجامعة قد حصلوا على درجات أعلى بشكل دال فى الجانب اللفظى والرياضيات قياسًا بأقرانهم حاضرى الأب كما وجد لاندى وآخرون (١٩٦٩) Landy, et al. أن طالبات الجامعة اللائى يغيب عنهن آباؤهن بسبب ظروف العمل التى تتطلب منهم العمل أثناء الليل قد حصلن على درجات نوعية أقل ودرجات أعلى فى اللغة وذلك إذا كان غياب الأب قد بدأ قبل بلوغهن التاسعة من أعمارهن . وكذلك ترى تشابمان (١٩٧٧) Chapman وباركلاى وكوزومانو (١٩٦٧) Barclay & Cusumano أن البنين غائبى الأب كانوا أقل استقلالاً عن المجال قياسًا بأقرانهم حاضرى الأب .

الاتجاهات المختلفة التى تتناول غياب الأب :

توضح الأدلة المتناقضة وغير المتداخلة التى تتعلق بغياب الأب وجود العديد من الاتجاهات فى سبيل ذلك . ويبدو أن وجود الأب فى مقابل غيابه لا يعتبر متغيرًا ثنائيًا ولا يجب تناوله على هذا الأساس إذ يعتبر مدى انغماس الأب فى حياة طفله ومشاركته فيها أكثر ارتباطًا بذلك . وبوجه عام يبدو أن البنين يتأثرون أكثر من البنات بغياب الأب ، وبالنسبة لكلا الجنسين تعتبر الدرجات النوعية أكثر حساسية لمشاركة الأب لهم مقارنة بالدرجات اللفظية وخاصة لدى طلاب المدارس العليا الذين أوشكوا على الالتحاق بالجامعة إذ تكون مثل هذه الدرجات فى متناول اليد نظرًا لعقد اختبار الالتحاق بالجامعة لهؤلاء الطلاب . ويبدو أن هناك مهارات أخرى ترتبط بالرياضيات وتتأثر بمدى مشاركة الأب للطفل وانغماسه فى حياته . وعلى الرغم من أن الدليل على وجود أثر سلبى لغياب الأب على الطفل ليس منتظمًا أو متسقًا فإن هناك العديد من النتائج التى تؤكد على أن غياب الأب يعتبر أكثر سلبية على الطفل إذا بدأ هذا الغياب قبل بلوغ الطفل الخامسة من عمره ، ومع ذلك فلا يتضح هذا الأثر على الأداء المعرفى للطفل إلا عندما يبلغ الثامنة من عمره على الأقل . ويعمل وجود زوج الأم بالنسبة للبنين على التقليل من الأثر السلبى لذلك الأب الغائب ، كما أن حداثة موت الأب تعتبر أسوأ أثرًا على الأداء المعرفى للطفل من حداثة الطلاق ، و الانفصال . وهناك من الأدلة ما يؤكد على أن آثار غياب الأب تبلغ مداها فى سلبيتها لدى الجماعات العرقية التى تميل إلى النمط البطريركى .

ومن الواضح أنه يجب فحص أثر محدودية مشاركة الأب للأطفال وانغماسه فى حياتهم والنظر إلى ذلك فى سياق الأسرة ككل إذ حينما تكون الظروف المحيطة إيجابية تمامًا كما هو الحال بالنسبة لتلك الأسر التى يكون فيها الوالدان من خريجى الجامعة أو الأسر التى تنتمى إلى الطبقة المتوسطة ويكون لديها طفل واحد فقط فإن غياب الأب يكون له أثر ضئيل على الأداء المعرفى للطفل ، كما أنه قد يثير نموه المعرفى فى بعض الأحيان وخاصة فى مجال القدرة اللفظية ، أما عندما يسيطر الفقر والجدب بدرجة كبيرة على الظروف المحيطة كما هو الحال بالنسبة لتلك الأسر السوداء التى تنتمى إلى الطبقة الدنيا فإن الأثر السلبى الإضافى الناتج عن غياب الأب قد يمكن تحديده فى الواقع بدرجة كبيرة وذلك نظرًا لوجود العديد من العناصر التى تعمل بالفعل على إعاقة القدرات العقلية للطفل . وحينما تكون الظروف المحيطة معتدلة كما هو الحال بالنسبة لتلك الأسر التى تنتمى إلى الطبقة العاملة أو تلك الأسر التى تنتمى إلى الطبقة الدنيا ولديها أطفال يتسمون بدرجة كبيرة من التفوق والنبوغ فإن غياب الأب فى مثل هذه الحالة يكون له أكثر الآثار سلبية على الطفل . وهنا نجد أن احتمال حدوث نمو معرفى بشكل تام لهؤلاء الأطفال يعتبر احتمالاً قائمًا إلا أنه تكتنفه العديد من المشكلات .

ومن ناحية أخرى فإن دقة النتائج التى تتعلق ببنية الأسرة وتركيبها تفتح الباب أمام العديد من الأسئلة التى تتعلق بالآثار المحتملة للتفاعل بين غياب الأب والطبقة الاجتماعية والعرق وعمر الطفل وسبب الغياب وذلك فى الأسر التى تتسم ببنية أسرية معينة أو بتركيب أسرى معين مما يفسح بدوره المجال أمام العديد من الدراسات التى يمكن إجراؤها فى هذا الجانب .

ملخص :

على الرغم من الطبيعة المتضاربة للنتائج المتاحة عن دور الأب فى النمو المعرفى للطفل فإن هناك اتجاهات عديدة تختلف فى قوتها تتناول هذا الدور المناط بالأب ويبدو أن الرعاية التى يمنحها الأب لأطفاله ترتبط بالكفاءة المعرفية للبنين بدرجة أكبر من ارتباطها بالكفاءة المعرفية للبنات . كما أن العلاقة الوثيقة التى تربط بين الأب وبين الولد تعمل على تسهيل ورعاية الأسلوب المعرفى التحليلى لهذا الولد . وهناك دلائل تؤكد على أن الأب ذا السيطرة والقوة والسلطة يسهل ويساعد على حدوث النمو المعرفى لأطفاله البنين

شـريطة ألا تستخدم تلك القوة أو السلطة فى تخويف الولد ورعبه عند قيامه بالمحاولات التى تتعلق بالسيطرة والإجادة بالنسبة للمهام المعرفية . أما فيما يتعلـق بالبنـات فـإن أثـر الأب يعتبر أكثر تعقيدًا كما يتضمن العديد من العناصـر المتناقضة حيث نجد عـلى سـبيل المثال أن درجة ما من الاستقلالية عن الأب والبعد النسبى عنه تـرتبط بالكفـاءة المعرفيـة للبنات على الرغم من أن اهتمام الأب بتقدمهن الدراسـى يثير نموهن العقلى . أما بالنسبة للبنين والبنات معًا فإن السلوك التسـلطى مـن جانـب الأب يـرتبط بـنقص فى كفـاءتهم الأكاديمية وهو نفس ما يؤدى إليه الانغماس الشديد من جانـب الأب فى تلـك الأنشـطة التى يقوم بها الطفل وتتعلق بحل المشكلات . كما أن هناك أدلة تؤكد على أن الأب يمكنه أيضًا أن يؤثر على أطفاله بطريقة غير مباشـرة وذلك عن طريق ما يتركـه مـن تـأثير عـلى زوجته وهو ما يتضح على المدى البعيد نسبيًا بالإضافة إلى ظهور هذا الأثر بشكل مباشـر وذلك عند وجود الأب حال حدوث تلك التفاعلات التى تجمع بين الأم والطفل .

ويبدو أن هناك العديد من المتغيرات التى ترتبط بأثر غياب الأب على الأداء العقـلى للطفل . وتتضمن تلك المتغيرات سبب الغياب ، وعمر الطفل عند بدايـة هـذا الغيـاب ، وجنس الطفل ، وبنية الأسـرة وتركيبها ، والعـرق ، والمسـتوى الاقتصـادى الاجتماعـى للأسـرة . كما يبدو أن غياب الأب قبل بلوغ الطفل الخامسة من عمره يعتبر هـو الأسـوأ أثرًا على الأداء العقلى للبنين الأصغر سنًا ، ويستثنى مـن ذلـك إذا مـا كـان غيـاب الأب يرجع إلى موته حيث تعتبر حداثة هذا الموقف بمثابة المتغير الأكثر أهمية فيه . ومـن ناحيـة أخرى يبدو أن غياب الأب فى السنوات المبكرة من عمر أطفاله ينتج بروفيلاً معرفيًا لدى البنين من طلاب الجامعة أكثر شبهًا بالإناث يتمثل فى حصول هؤلاء البنين على درجـات فـى القـدرة اللفظية أعلـى مـن تـلك الـدرجات التـى يحصـلون عليهـا فى القـدرة الرياضية Mathematic أما غياب الأب قبل بلوغ الطفل التاسعة من عمره فيعـوق نمـو المهارات الرياضية لدى البنات .

ومن الجدير بالذكر أن أقل من ٢٥٪ من تباين نسبة ذكاء الطفل ترجـع إلى مسـتوى تعليم الأب تاركـة بـذلك ٧٥٪ عـلى الأقـل مـن ذلـك التبـاين للمتغـيرات الأخـرى . أما العلاقة بين نسبة ذكاء الطفل ومستوى تعليم الأب فتظهر بوضوح فى سن مبكرة جدًا لدى البنات إذ تتضح فى حوالى الثالثة مـن أعمارهـن قياسًـا بـالبنين حيـث تظهـر لـديهم

فى حوالى السادسة من أعمارهم . وسواء كانت تلك العلاقة بين مستوى تعليم الأب والكفاءة العقلية للطفل ترجع إلى الوراثة أو إلى البيئة أو إليهما معًا بدرجات متفاوتة فهو أمر لا يزال مجهولاً حتى وقتنا هذا .

ويبدو جليًّا أننا نحتاج إلى إجراء المزيد من البحوث بغرض توضيح ذلك الدور الذى يلعبه الأب فى النمو المعرفى للطفل . ومن بين ما نحتاج إليه إجراء الدراسات الطولية التى يتم فيها تكرار ملاحظة سلوك الأب تجاه الطفل والأداء العقلى لذلك الطفل ، وأن نجرى بحوثًا حول تلك الأساليب والممارسات التى يتبعها الأب فى تربية أطفاله وعلاقتها بالعرق والسلالة . كما أننا نحتاج أيضًا إلى إجراء دراسات تقوم على الملاحظة وتتناول سلوك الأب فى وجود أو غياب زوجته أو أى عضو آخر من أعضاء الأسرة وذلك بغرض تحديد بعض الآثار البيئية على التفاعل بين الأب والطفل .

ومن ناحية أخرى نلاحظ أن من بين الأسئلة المثارة فى الوقت الراهن تلك التى تتعلق بكم أو مقدار السلوك الأبوى الذى يتم تحديده على أساس بنيوى ، ومقدار ما تثيره التنشئة الاجتماعية المبكرة من هذا السلوك ، ومقدار ما يمكن أن يرجع منه إلى الظروف المحيطة . ومن الجدير بالذكر إن إجراء المقارنات بين الأنماط السلوكية لأولئك الآباء الذين كانوا هم القائم الأساسى على رعاية أطفالهم وبين أقرانهم الذين يأخذون دورًا ثانويًّا فى هذا الأمر توضح أن هناك بعض الأنماط السلوكية مثل اللعب بدرجة كبيرة مع الأطفال كانت شائعة بين هاتين المجموعتين من الرجال قياسًا بزوجاتهم (Field, 1978) . ومع ذلك فقد وجدت فروق دالة بين هاتين المجموعتين من الرجال إذ كانت هناك على سبيل المثال بعض الأنماط السلوكية التى تتسم بدرجة أعلى من التقليدية الصبيانية لدى كل من الرجال والنساء الذين كانوا يقومون بدور أساسى فى رعاية الأبناء وتربيتهم قياسًا بالآباء الذين كانوا يقومون بدور ثانوى فى ذلك . وكما هو الحال فى دراستنا التى قمنا بإجرائها على الآباء القائمين بدور أساسى فى رعاية الأطفال وتربيتهم فقد ظل السؤال المحير حول ذلك الاختيار هو « هل يختلف الآباء الذين يختارون القيام برعاية الأطفال وراثيًّا عن أقرانهم التقليديين أم أن الظروف المحيطة هى التى تقوم بتشكيل أنماط سلوكهم ؟ » . ومن الجدير بالذكر أنه لا يمكن الإجابة على هذا السؤال إلا بإجراء دراسة طولية فقط .

ويمكننا أن ننتهى إلى نتيجة مؤداها أنه بالرغم من وجود العديد من أوجه القصور التى تشوب معرفتنا بدور الأب فإن الأب يؤثر على النمو العقلى لأطفاله من خلال قنوات عديدة إذ يتم ذلك عن طريق الخلفية الوراثية مثلاً ، ومن خلال ما يصدر عنه من أنماط سلوكية صريحة تجاه أبنائه ، ومن خلال اتجاهاته نحو نفسه ونحو أطفاله ، ومن خلال السلوك الذى يصدر عنه والذى يعد نموذجًا يحتذى به الأبناء ، ومن خلال مكانته فى الأسرة ووضعه فيها ، ومن خلال ما يوفره من المصادر المادية المتعددة لأطفاله، ومن خلال تأثيره على سلوك زوجته ، ومن خلال ميراثه العرقى ، ومن خلال رؤيته لأطفاله . وأخيرًا نلاحظ أنه عندما يموت الأب أو ينفصل عن الأسرة تظل الذكريات التى يتركها لدى زوجته ولدى أطفاله تؤثر عليهم وربما يتساوى تأثير تلك الذكريات مع الانطباعات التى يتركها لأطفاله عندما يكون متواجدًا معهم بالمنزل .

* * *

مراجع الفصل السادس

Aberle, D. F., & Naegele, K. D. (1952). Middle-class fathers' occupational role and attitudes toward children. American Journal of Orthopsychiatry, 22, 366-378.

Albert, R.S. (1969). Early cognitive. development among the gifted. Paper presented at the meeting of the Western Psychological Association, Vancouver, British Columbia. June.

Andersland, P. B. (1968). Parental rejection and adolescent academic achievement. Dissertation Abstracts, 28, (11-B), 4751.

Baer, D. M., & Sherman, J. A. (1964). Reinforcement control of generalized imitation in young children. Journal of Experimental Child Psychology, 1, 37 -49.

Bandura, A. (1962). Social learning through imitation. In M. R. Jones (Ed.). Nebraska symposium on motivation. Lincoln: University of Nebraska Press.

Bane, M. J. & Jencks, C. (1977). Five myths about your 1. Q. In E. M. Hetherington & R. D. Parke (Eds.). Contemporary readings in child psychology. New York: Mc-Graw-Hill.

Barclay, A. G., & Cusumano, D. (1967). Father absence, cross-sex idnetity, and field -dependent behaviour in male adolescents. Child Development, 38, 243-250.

Baumrind, D. (1971). Current patterns of parental authority. Developmental Psychology Monographs, 4, 1-103.

Baumrind, D. (1979). Current issues in socialization. Paper presented at the Society for Research in Child Development San Francisco, March 14.

Bayley, N. (1968). Behavior correlates of mental growth : Birth to thiry-six years. American Psychologist, 23, 1-17.

Bell, R. Q. (1968). A reinterpretation of the direction of effects in studies of socialization. Psychological Review, 75,81-95.

Belsky, J. (1979). Mother-Father infant interaction : A naturalistic observational study. Developmental psychology, 15,601-607.

Berry. J. W. (1966). Temne and Eskimo preceptual skills. International Journal of Psychology, 1,207-229.

Biner, H. B. (1971). Father, child and sex role. Lexington, Mass. : Heath.

Biller, H. B. (1974). Paternal deprivation : Family, school, sexuality, and society. Lexington, mass. : Heath.

Billingsely, A. (1968). Black families in white America. Englewood Cliffs, N. J. : Prentice-Hall.

Bing, E. (1963). The effect of childrearing practices on development of differential cognitive abilities. Child Development, 34, 631-648.

Blanchard, R. W., & Biller, H. (1971). B. Father availability and academic performance among third-grade boys. Developmental Psychology, 4, 301-315.

Block, J. H., Block, J. & Harrington, D. M. (1974). The relationship of parental teaching strategies to ego-resiliency in pre-school children. Paper presented at the meeting of Western Psychological Association, San Francisco.

Boerger, P. H. (1971). The relationship of boys' intellectual achievement behavior to parental involvement, aspirations, and accuracy of IQ estimate. Dissertation Abstracts International, 31, 5191 .

Bowennan, C. E., & Elder, G. H., Jr. (1964). Variations in adolescent perception of family power sturcture. American Sociological Review, 29, 551-567.

Bradely, R. H., & Caldwell, B. M. (1976). The relation of infants' home environment to mental test performance at fifty-four months : A follow-up study. Child Development, 47,1172-1174.

Bronfenbrenner, U. (1975). The challenge of social change to public policy and developmental research. paper presented at the biennial meeting at the Society for Research in Child Development, Denver, April 12.

Busse, T.V. (1969). Child-rearing antecedents of flexible thinking. Developmental Psychology, 1, 585-591.

Cain, M. A. (1971). A study of relationship between selected factors and the school achievement of Mexican migrant children. Dissertation Abstracts International, 31, (8-A), 3947.

Carlsmith, L. (1964). Effect of early father absence on scholastic aptitude. Harvard Educational Review, 34, 3-21.

Chapman, M. (1977). Father absence, stepfather and the cognitive performance of college students. Child Development, 48, 1155-1158.

Clarke-Stewart, K. A. (1973). Interaction between mothers and their young children Characteristics and consequences. Monographs of the Society for Research in Child Development, 38, Serial No. 153.

Clarke-Stewart, K. A. (1978). And daddy makes three: the Father's impact on mother and Young Child. Child Development, 49, 466-478.

Coleman, J. S., Campbell, E. Q. Hobson, C. J., McPartland, J., Mood, A. M., Weinfeld, F. D. , & York, R. L. (1966). Equality of educational Opportunity. Washington, D. C. : U. S. Department of Health, Education and Welfare, Office of Education.

Corah, N.L. (1965). Differentiation in children and their parents. Journal of Personality, 33,300-308.

Cortes, C. F., & Fleming, R. (1968). The effects of Special Education, 2,413-420.

Crandall, V., Dewey, R., Katkovsky, W., & Preston, A. (1964). Parents attiudes and behaviors and grade-school children's academic achievements. Journal of Genetic Psychology, 104, 53-66.

Cross, H. J ., & Allen, J. (1969). Relationship between memories of parental behavior and academic achievement motivation. Proceedings of the 77th Annual Convention. American Psychological Association, 285-286.

Deutsch, M. (1960). Minority group and class status as related to social and personality factors in scholastic achievement. Monographs of Sociology and Applied Anthropology. 2, 1-32.

Deutsch, M., & Brown, R. (1964). Social influences in Negro-white intelligence differences. Journal of Social Issues, 20, 24-35.

Dill, J. R. (1975). Indices of socialization :Black father-son interactions (a preliminary report). Paper presented at the Society for Research in Child Development Biennial Conference, Denver, April 11.

Dyk, R.B.., & Witkin, H. A., (1965). Family experiences related to the development of differentiation in children. Child Development, 36, 21-55.

Elardo, R., Bardley, R., & Caldwell, B. M., (1975). The relation of infants' home environments to mental test performance from six to thiry-six months : A longitudinal analysis. Child Development, 46, 71-76.

Epstein A. S., & Radin N. (1975). Motivational components related to father behavior and cognitive functioning in preschoolers. Child Development, 46, 831-839.

Farber, B. (1962). Effects of a severely mentally retarded child on the family. In E. P. Trapp & P. Himelstein (Eds.), Reading on the exceptional child. (pp. 227-246) New York: Appleton Century-Crofts.

Fagot, B. I. (1979). Sex differences in toddlers' behavior and parental reaction. Developmental Psychology, 10, 554-558.

Field, T. (1978). Interaction behaviors of primary versus secondary caretaker fathers. Developmental Psychology, 14, 183-184.

Frodi, A. M., Lamb, M. E., Leavitt, L. A., Donovan, W. L., Neff, C., & Sherry, D. (1978). Fathers' and mothers' responses to the faces and cries of normal and premature infants. Developmental Psychology, 14, 490-498.

Gewirtz, H. B., & Gewirtz, 1. L. (1968). Visiting and caretaking paterns for kibbutz infants: Age and sex trends. American Journal of Orthopsychiatry, 38, 427-443.

Gewirtz, J. L., & Stingle, K. G. (1968). Learing of generalized imitation as the basis for identification. Psychological Review, 75, 374-397.

Glick, P, C. (1979). Children of divorced parents in demographic perspective. Journal of Social Issues, 35, 170-182.

Gold, D., & Andres, D. (1978). Comparisons of adolescent children with employed and non-employed mothers. Merrill-Palmer Quarterly, 24, 243-254.

Grunebaum, M. G., Hurwitz, I., Prentice, N. M., & Sperry, B. M. (1962). Fathers of sons with primary neurotic learning inhibition. American Journal of Orthopsychiatry, 32. 462-473.

Harrington, D. M., Block J. H., & Block J. (1978). Intolerance of ambiguity in preschool children: Psychometric considerations, behavioral manifestations, and parental correlates. Developmental Psychology, 14- 242-256.

Heber. F.R. (1976). Sociocultural mental retardation: A longitudinal study. Paper presented at the Vermont Conference on the Primary Prevention of Psychopathology, Burlington, June.

Heilburn, A. B., Jr. (1973). Aversive maternal control. New York: Wiley.

Heilbrun, A., B., Jr., Harrell, S. N., & GiHard, B. 1. (1976). Perceived childrearing attitudes of fathers and cognitive control in daughters. Journal of Genetic Psychology, 111, 29-40.

Herzog, 1 & Sudia, C. (1970). Boys in fatherless families,. Washington, D. C. : U.S. Department of Health, Education and Welfare.

Hess, R. D. (1970). Social class and ethnic influences upon socialization. In P . H. Mussen (Ed.), Cannichale's manual of child psychology. 3rd ed. Vol. 2. New York :wiley.

Hess, R. D., Shipman V. C., Brophy, 1. E., & Bear, R. M. (1968). The Cognitive environment of Urban preschool children. Chicago: University of Chicago. (ERIC Document Reproduction Service No. ED 039264).

Hess, R. D., Shipman V. C., Brophy, J. E., & Bear, R. M., & Adelberger, A. B. (1969). The cognitive environments of urban preschool children :Followup phase. Chicago Graduate School of Education, Diversity of Chicago. (ERIC Document Reproduction Service No. 039270).

Hetherington, E. M., Cox, M., & Cox, R. (1978a). Family interaction and the social, emotional, and cognitive. development of children following divorce. Johnson and Johnson Conference on the Family, Washington, D.C., May.

Hetherington, E. M., Cox, M., & Cox, R. (1978b). The aftermath of divorce. In 1. H. Stevens, Jr., & M. Matthew (Eds.) Mother-child, father-child relationships. Washington, D.C., : National Association for the Education of Young Children.

Hetherington, E. M., & Frankie, G. (1967). Effects of parental dominance, warmth, and conflict on imitation in children. Journal of Personality and Social Psychology, 6, 119-125.

Hilgard, J. R., Neuman, M. F., & Fisk, F. (1960). Strength of adult ego following bereavement. American Journal of Orthopsychiatry, 30, 788-798.

Hoffman, L. W. (1977). Chagnes in family roles, socialization, and sex differences. .American Psychologist., 32, 644-657.

Hoffman, M. (1975). Moral internalization, parental power, and the nature of parent-child interaction. Developmental Psychology, 11, 228-239.

Honzik, M. P. (1963). A sex difference in the age of onset of the parent-child resemblance in intelligence. Journal of Educational psychology, 54, 231-237.

Honzik, M. P. (1967). Environmental correlates of mental growth : Prediction from the family setting at 21 months. Child Development, 38, 337-364.

Jencks, C., Smith, M., Acland, H., Bane, M., J., Cohen, D., Gintis, D., Heyns, D., & Michelson, S. (1972). Inequality. New York :Basic Books.

Jordan, B., Radin, N., & Epstein, A. S. (1975). Paternal behavior and intellectual functioning in preschool boys and girls. Developmental Psychology, 11, 407-408.

Kagan., J. (1958). The concept of identification. Psychological Review, 65, 296-305.

Kimball, B. (1952). The sentence completion technique in a study of scholastic underachievement. Journal of Consulting Psychology, 16, 353-358.

Kohlberg, L., & Zigler, E. (1967). The Impact of cognitive maturity on the development of sex-role attitudes in the years 4 to 8. Genetic Psychology Monographs. 75, 89-165.

Kohn, M. & Rosman, B. L. (1973). Cognitive functioning in five-year old boys as related to sacial- emotional and background- demographic variables. Developmental Psychology, 8, 277-294.

Lamb, M. E. (1976). Twelve -month-olds and their parents: Interactin in a Laboratory play room. Developmental Psychology, 12, 237-244.

Lamb, M., E. (1977). Father-infant and mother- infant interaction in the first year of life. Child Development, 48, 167-181 (a).

Lamb, M. E. (1977b). Development and function of parent-infant relationships in the first two years of life. paper presented at the biennial meeting of the Society for Research in child Development, New Orleans, March.

Lamb, M. E. (1979). The effects of the social context on dyadic social interaction. In M.. E. Lamb, S. J. Suomi, & G. R.Stephenson (Eds.). Social interaction analysis :Methodological issues. Madison: University of Wisconsin Press.

Lamb, M. E., Frodi, A. M., Chase - Lansdale, L., & Owen, M. T. (1978). The fathers' role in non-traditional family contexts : Direct and indirect effects. Paper presented at the American Psychological Association Convention, Toronto, September.

Lamb, M. E. & Lamb, J. E. (1976). The nature and importance of the father - infant relationship. The Family Coordinator, 25, 379-385.

Lambert, L., & Hart, S. (1976). Who needs a father? New Society, 37,80.

Landy, F., Rosenberg, B. G., & Sutton-Smith, B. (1969). The effect of limited father absence on cognitive development. Child Development, 40, 941-944.

Lessing, E. E., Zagorin, S. W. & Nelson, D, (1970). WISC subtest IQ score correlates of father absence. Journal of Genetic Psychology, 117, 181 -195.

Levy, D. M. (1943). Maternal overprotection. New York: Columbia University Press.

Lynn, D. B. (1969). Parental and sex-role identification. Berkeley: McCutchan.

Lynn, D. B. (1974). The father :His role in child development. Monterey, Calif. ·Books/Cole.

Lynn, D. B. (1976). Father and sex-role development. The Family Coordinator, 25, 403-409.

Lynn, D.B. & Cross, A. D. (1974). Parent preference of preschool childre. Journal of Marriage and the Family, 36, 555-559.

Lytton, H. (1973). Three approaches to the study of parent-child Psychology and Psychiatry, 14, 1-17.

Lytton, H. (1976). The socialization of two-year old boys: Ecological findings. Journal of Child Psychology and Psychiatry, 17, 287-304.

Lytton, . H. (1979). Disciplinary encounters between young boys and their mothers and fathers : Is there a contingency system ? Developmental Psychology, 15, 256-268.

MacArthur, R. (1967). Sex differences in field dependence for the Eskimo : Replication of Berry's finding. International Journal of Psychology, 2, 139-140.

Maccoby, E. E., & Jacklin, C. N. (1947). The psychology of sex differecnes . Stanford: Stanford University Press.

Marjoribanks, K. (1972). Environment, social class, and mental abilities. Journal of Educational psychology, 63, 103-107.

Maxwe, A., E. (1961). Discrepancies between the pattern of abilities for normal and neurotic children. Journal of Mental Science, 107,300-307.

McCalL R B. (1977). Childhood IQ's as predictors of adult educational and occupational status. Science, 197, 482-483.

Mischel, W. (1970). Sex-typing and socialization, In P. H. Mussen (Ed.) Carmichael's manual of child psychology, 3rd., Vol. 2. New York: Wiley.

Mowrer, O. (1950). H. Learning theory and personality dynamics. New York: Ronald Press.

Multimer, D., Loughlin, L. & Powell, M. (1966). Some differences in the family relationships of achieveing and underachieving readers. Journal of Genetic Psychology, 109, 67-74.

Munsinger, H., & Douglass, A. (1976). The syntactic abilities of identical twins, franternal twins and their siblings. Child Development, 47, 40-50.

Mussen, P., & Distler, L. (1960). Child rearing antecederrts of masculine identification in kindergarten boys. Child Development, 31, 89-100.

Mussen, P., & Rutherford, E. (1963). Parent-Child relations and parental personality in relation to young children's sex-role preferences. Child Development, 34, 589-607.

Nelsen, E. A. & Maccoby, E E. (1966). The relationship between Social development and differential abilities on the scholastic aptitude test. Merrill-Palmer Quarterly, 12, 269-289.

Osofsky, 1. D. & O'connell, E. J. (1972). Parent-child interaction : Daughter's effects upon monters' and father's behaviors. Developmental Psychology, 7, 157-168.

Parke, R. D., & Sawin, D.O. B. (1975). Infant characteristics and behavior as elicitors of maternal and paternal responsibility in the newborn period. Paper presented at the Society for Research in Child Development, Denver, April.

Parke, R. D., & Sawin, D.B. (1979). The father's role in infancy: A reevaluation. The Family Coordinator, 25, 365-371.

Parke, R. D., & Sawin, D. B. (1977). Fathering: It's a major role. Psychology Today, 11,109-112.

Parke, R. D., & Sawin, D. B. (1980). The family in early infancy: Social interactional and attitudinal analyses. In J. A. Pedersen (Ed.), The father-infant relationship : Observational studies in a family context. New York: Praeger.

Parsons. T., & Bales, R. F. (1955). Family socialization and interaction process New York: Free Press.

Pedersen, F. A. (1976). Does research on children reared in father-absent families yield information on father influences. The Family Coordinator, 25, 459-464.

Pedersen, F. A. Anderson, B. J., & Cain, R. L. (1977). An approach to understanding linkages between the parent-infant and spouse relationships. Paper presented at the biennial meeting of the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.

Pedersen, F. A., Rubenstein, J., & Yarrow, L. J. (1973). Father absence in infancy. Paper presented at the meeting of the Society for Research in Child Development, Philadelphia, March.

Pedersen, F. A., Rubenstein, O. L., & Yarrow, L. J . (1979). Infant development in father absent families. Journal of Genetic Psychology, 135, 51-61.

Price-Bonham, S. & Addison, S. (1978). Families and mentally retarded children : Emphasis on the father. The Family Coordinator, 27,221-230.

Radin, N. (1972a). Fahter-child interaction and the intellectual functioning of four - year - old boys . Developmental Psychology, 6, 353-361.

Radin, N. (1972b). Three degrees of maternal involvement in a preschool program : Impact on mothers and children. Child Development, 43,1355-1364.

Radin, N. (1973). Observed Paternal behaviors as antecedents of intellectual functioning in young boys. Developmental Psychology, 8, 369-376.

Radin, N. (1974). Observed maternal behavior with four-year old boys and girls in lower-class families. Child Development, 45, 1126-1131.

Radin, N. (1978). Childrearing fathers in intact families with preschoolers. Paper presented at the Annual Meeting of the American psychologjcal Association, Toronto, September.

Radin, N. (1980). Childbearing fathers in intact families : An exploration of some antecedents and consequences. Paper presented at a study group on The Role of the Father on Child Development, Social Pclicy, and the Law, sponsored by the Society for Research on Child Development and the University of Haifa, Haifa, Israel , July 14.

Radin, N., & Esptein, A. S. (1975a). Observed paternal behavior and the intellectual functioning of preschool boys and girls. Paper presented at the meeting of the Society for Research in child Development, Denver, Colorado, April.

Radin,N. & Epstein, A. S. (1975b). Observed paternal behavior with preschool children :Final report. Ann Arbor: The University of Michigan, School of Social Work, 1975 (ERIC Document Reproduction Sevice No. ED 174656).

Radin, N., & Sonquist, H. (1968). The Gale preschool program :Final report. Ypsilanti, Mich. Ypsilanti Public Schools.

Reiss, M., & Gold, D. (1977). Relation of paternal availability to problem-solving and sex-role orientation in young boys. Psychological Report. 40, 823-829.

Reppucci, N. D. (1971). Parental education, sex differences and performance on cognitive tasks among two year-old children . Developmental Psychology, 4,248-253.

Rosen, B., & D'Andrade. R. D. (1959). The psychosocial origins of achievement motivation. Sociometry, 22, 185-218.

Rosenbrerg, B. G., & Sutton - Smith, B. (1966). Sibling association, family size, and cognitive abilities. Journal of Genetic Psychology, 107,271-279.

Rothbart, .M. D. (1971). Birth order and mother-child interaction in an achievement situation. Journal of Personality and Social Psychology, 17, 113-120.

Santrock, J. W. T(1972). he relation of type and onset of father absence to cognitive development. Child Development, 43. 455-469.

Santrock, J. W., & Warshak, R. A. (1979). Fahter custody and social development in boys and girls. Journal of Social Issues. 35, 112-125.

Santrock, J. W., & Wohlford, P. (1970). Effects of father absence: Influence of the reason for the onset of the absence. Proceedings of the 78th Annual Convention of the American Psychological Association, 5, 265-266.

Schiff, M., Duyme, M., Dumaret, A., Stewart, J., Tomkiewicz, S., & Feingold, J. (1978). The intellectual status of working-class children adapted early into upperclass families. Science, 200, 1503-1504.

Schulz, D. (1969). Coming up black . Englewood Cliffs, N. 1. : Prentice-Hall.

Sciara, F. 1. (1975). Effects of father absence on the educational assessment of urban black children. Child Study Journal, 5, 45-55

Shinn, M. (1978). Father absence and children's cognitive development. Psychological Bulletin 85, 295-324.

Sears, P. S. (1953). Childrearing factor related to to the playing of sex-typed roles. American Psychologist, 8, 431 (Abstract).

Sears, R. R. (1965). Comparison of interviews with questionnaires for measuring morhter's attitudes toward sex and aggression. Journal of Personality and Social Psychology, 2, 37-44 .

Sears, R. R. (1970). Relation of early socialization experiences to self-concepts and gender role in middle childhood. Child Development, 41, 267-289.

Seder, J. A. (1957). The origin of differences in extent of independence in children. Developmental factors in perceptual ueld dependence. Unpublished bachelor's thesis, Radcliff College.

Shaw, M. C., & White, D. L. (1965). The relationship between childparent identification and academic underachievement. Journal of Clinical Psychology, 21, 10-13.

Shelton, L. A. (1969). A comparative study of educational achievement in one-parent families and in two-parent families. Dissertation Abstracts, 29 (8-A), 2535-2536.

Shennan, R. C. & Smith, F. (1967). Sex differences in cue-dependency as a function of socialization environment. Perceptual and Motor Skills, 24, 599-602.

Solomon, F., Houlihan, D. A., Busse, T. C., & Parelius, R. J. (1971). Parent Behavior and child academic achievement, achievement striving and related personality characteristics. Genetic Psychology Monographs, 83,173-273.

Strodtbeck, F. L. (1958). Family interaction, Values and achivement, In D. C. Mc Clelland, A; L. Baldwin, U. Bronfenbrenner. & F. L. Strodtbeck (Eds.). Talent and society. Princeton :Von Nostrand.

Stton-Smith, B., Rosenberg, B. G., & Landy., F. (1968). Fatherabsence effects in families of different sibling compositions. Child Development, 39, 1213-1221.

Tauber, M. A. (1979). Sex differences in parent-child interactions styles during a free-play session. Child Development, 50,981-988.

Teathan, J. E. (1963). Parental attitudes and college success. Journal of Educational Psychology, 54, 104-109.

Wasserman, H. L. (1969). Father-absent and father-present lower-class Negro families : A comparative study of family functioning. Dissertation Abstracts, 29, (l2-A), 4569-4570).

Weinraub, M., & Frankel, J. (1977). Sex differences in parent-infant interaction during free-play departure and separation. Child Development, 48, 1240-1249.

Weiss, R.S. (1979). Growing up a little faster : The experience of growing up in a single-parent household. Journal of Social Issues, 35,97-111.

Wilson, R. S (1977). Twins and siblings :Concordance for school - age mental development. Child Development. 211-.216.

Wilson, R. S (1978). Synchronies in mental development : An epigenetic perspective Science. 202. 939-948.

Ziegler, M. E. (1979). The father's influence on his School-age child's academic performance and cognitive development. Doctoral dissertation. University of Michigan.

Zigler, E., & Child, 1. L. (1969). Socialization. in G. Lindzey, & E. Aronsen (Eds.), The handbook of social psychology, 2nd ed., vol 3. Reading, Mass. : Addison-Wesley.

❋ ❋ ❋

obeikandl.com

الفصل السابع

دور الأب فى نمو الدور الجنسى للطفل

هنرى بيلر

Henry Biller

obeikandl.com

obeikandl.com

يمثل تأثير الأب على نمو الدور الجنسى للأطفال وهويتهم الجنسية محورًا جوهريًا فى دراسة أثر الأب فى الأسرة بوجه عام . وتوضح البيانات التى تمت مراجعتها خلال هذا الفصل أن الأب القائم على رعاية أبنائه ، والذى يتسم بالكفاءة والمتواجد أمامهم بالمنزل لفترات تسمح لهم بالاستفادة منه يمثل عنصر إضافة هام لممارسة أولاده وبناته لأدوارهم الجنسية خلال مراحل نموهم المختلفة . ويقوم هذا الفصل فى المقام الأول على تلك المناقشات الموسعة التى أجريناها حول دور الأب فى نمو الطفل (Biller, 1971, 1974c, 1976b) .

ويجب أن نؤكد منذ البداية على أن هناك الكثير من الأمور الجدلية تتعلق بدراسة نمو الدور الجنسى كما يرى بيلر (١٩٨٠) Biller . فهناك العديد من الباحثين يفضلون أن تتحور التعريفات التى تتعلق بسلوك الدور الجنسى تحورًا جذريًا يبعدها عن المصطلحات التى تتعلق بالجانب الجنسى ، وأن يتم إقصاء مفاهيم الدور الجنسى كموضوعات للدراسة . وبالطبع فقد أصبحت التعريفات التقليدية للدور الجنسى محددة ومقيدة وصارمة ، وربما يرجع ذلك إلى الإدراك المتزايد بأن هناك توقعات معينة ترتبط بالدور الجنسى قد تكون معوقة . ولذا فقد اتضح وجود انخفاض واضح فى عدد البحوث التى تهدف إلى دراسة أثر الأب فى عملية نمو الدور الجنسى للأطفال خلال الفترة الماضية على الرغم من القيام بمحاولات عديدة لتصميم مقاييس للدور الجنسى أقل تحيزًا وتقوم على إثبات الدلائل السلبية للتعريفات التقليدية لسلوك الدور الجنسى (e.g. Bem, 1979; Spence & Helmreich, 1979) .

وعلى الرغم من اتفاقنا مع ما يثار من أوجه نقد عديدة حول الانحياز وعدم الكفاية فيما يتعلق بالأسس والدعائم المنهجية والمفاهيمية للدراسات السابقة حول الدور الجنسى ، فإننا نعتقد أنه بأمكاننا أن نتعلم الكثير عن الأبعاد الأساسية لتكوين الشخصية إذا ما حاولنا أن نفهم كيف تؤثر التفاعلات الأسرية على نمو الدور الجنسى للأطفال . وعلى أى حال فسوف تستمر الأدوار الجنسية تؤثر على نمو الشخصية . وبالطبع فقد يكون للأب أثر سلبى أو إيجابى على نمو الدور الجنسى للطفل . وقد تكون العلاقة بين الأب والطفل عاملاً هامًا فى تعلم أنماط الدور الجنسى المرغوبة اجتماعيًا والتى يمكنها أن تؤثر على الكثير من الأداء بين الشخصى والمعرفى والانفعالى للطفل .

وسوف نركز فى هذا الفصل بقدر الإمكان على الأبعاد التكيفية لممارسة الدور الجنسى . فقد تكون الذكورة التقليدية ليست هى الأفضل بالنسبة للذكور ، كما قد لا تكون الأنوثة التقليدية هى الأفضل بالنسبة للإناث ، ولكن الطفل الذى يقوم بتطوير توجه إيجابى للدور الجنسى وكفاءات أساسية ترتبط بجنسه البيولوجى من الأكثر احتمالاً أن ينمى ثقة بالنفس أكثر تحديدًا ، ومدى أوسع من السمات التكيفية تفوق أنماط الدور الجنسى المحددة على نطاق ضيق . فعلى سبيل المثال يستطيع كل من البنين والبنات أن يكونوا أكثر استقلالاً وتوكيدية وأكثر حساسية لمشاعر الآخرين ، كما يمكنهم تعلم أن يكونوا وسيليين بشكل مؤثر ويتسمون بالوضوح . ومن المحتمل أن ينحدر الأفراد الذين ينمون مثل هذا المدى من القدرات من أسر يتسم فيها كل من الأب والأم بالمشاركة الإيجابية الفعالة فى رعاية الأبناء وتأمين مطالب الحياة لهم (Biller, 1974c, 1976b) .

ويعرض القسم الأول من هذا الفصل للمفاهيم النظرية والدراسات التى تتناول علاقة الأب بالطفل ونمو الدور الجنسى للبنين ، ويركز القسم الثانى على الدراسات والآراء النظرية التى تقوم حول أثر علاقة الأب بابنته على نمو دورها الجنسى . ومن الجدير بالذكر أن تنوع أثر الأب لا ينشأ فى فراغ إذ يجب أن نضع فى اعتبارنا السمات التكوينية للطفل ، ووضعه النمائى ، ونوعية العلاقة بينه وبين أمه ، ونوعية العلاقة بين والديه ، والخلفية الاجتماعية الثقافية للأسرة ومدى توفر نماذج بديلة أمام الطفل .

النمو الذكرى :

أثارت الفروض التى تم اشتقاقها من نظريات التوحد معظم الدراسات التى نتناولها فى هذا القسم ، وتركز تلك الفروض على أهمية الأب من خلال أسلوبه الذى يتصرف به وإدراك الابن لذلك بطريقة معينة إذا كان للابن أن يتوحد مع أبيه ويصبح ذكرًا (Biller, 1974c) . فتركز نظرية فرويد Freud على أن التوحد يحدث نظرًا لإدراك الطفل للأب على أنه مصدر العقاب والتهديد (Fenichel, 1945) . أما نظرية حسد المكانة Status-envy فتركز على أنه يتم إدراك الأب على أنه مستنفذ أولى للمصادر المختلفة (Burton & Whiting, 1961) . فى حين تؤكد نظرية التعلم على أهمية الأب باعتباره مصدرًا للحب والود والإثابة (Sears, 1957) . أما نظرية الدور فتركز على أن الأب يجب أن يقوم أساسًا بالثواب والعقاب (Parsons, 1955) . فى حين ترى نظرية

التعلم الاجتماعى أن النموذج الذى يصبح تقليده من الأكثر احتمالاً هو ذلك الشخص الذى يتحكم فى المصادر ذات القيمة والتقدير (Mussen & Distler, 1959) .

ولم يقتصر منظرو التوحد ممن سبقت الإشارة إليهم على تناول نمو الدور الجنسى فحسب ، بل ركزوا أيضًا على نمو الضمير ، وضبط النفس ، ولعب دور الراشدين . إلا أننا سوف نركز فقط على ما يتعلق منها بنمو الدور الجنسى .

نظريات التوحد :

عند تناولنا لنظريات التوحد يجب أن نتناول وجهة نظر فرويد Freud حول دور الأب فى النمو الذكرى للأبناء أولاً حيث تعتبر فروض النظريات الأخرى للتوحد مشتقة منه ولو جزئيًا (Bronfenbrenner, 1960) . فيسلم فرويد بأن الولد يرغب فى إقامة علاقة ممنوعة مع أمه خلال المرحلة الأوديبية وذلك عندما يتراوح عمره بين ثلاث إلى خمس سنوات . ويعتقد فرويد أن الولد ينظر إلى أبيه على أنه منافس عدوانى بدرجة كبيرة له فى عاطفة أمه ويخشى منه أن يقوم بخصائه . ويحدث الحل الطبيعى لعقدة أوديب طبقًا لوجهة نظر فرويد عندما يقوم الولد كمسايرة من جانبه لخوفه من الخصاء بالتوحد مع أبيه الذى يراه عدوانيًا ، فيكبت رغبته تجاه أمه . وتعتبر الحفزات الذكرية القوية المتتابعة التى يتعرض لها الولد ورغبته فى أن يكون مثل أبيه نتاجًا للتوحد مع الأب . وفى تعليقه على اهتمام فرويد بدور الأب يرى بورلنجهام (١٩٧٣) Burrlingham أن فرويد يلمح أحيانًا إلى التعلق الذى يتسم بالود بين الطفل وأبيه خلال فترة النمو قبل الأوديبى . وعلى الرغم من ذلك فإن إدراك الأب فى نظرية فرويد على أنه مصدر للعقاب والتهديد وأنه مصدر لإحباطات الطفل خلال المرحلة الأوديبية يعتبر شرطًا أساسيًا للنمو الذكرى للولد (Fenichel, 1945) .

وتعتبر نظرية وايتنج Whiting عن حسد المكانة Status-envy فى التوحد امتدادًا لنظرية فرويد فى التوحد مع الأب العدوانى كما يراه الطفل (Burton & Whiting, 1961) . وفى حين يركز فرويد على رغبة الطفل فى أن يمتلك أمه لنفسه ، يركز وايتنج على رغبة الطفل فى أن يشارك فى العديد من الأنشطة التى يقوم بها ذلك الأب المحسود من جانبه . فيرى وايتنج على سبيل المثال أن الولد سوف يقوم بتوحد ذكرى إذا أدرك أن أبيه يحصل على امتيازات ، وأشياء شيقة ، وأنشطة أكثر مما تحصل عليه

أمه . ومن المفترض هنا أن يصبح الطفل مدفوعًا لتقليد سلوك أبيه المتلقى الأول للمصادر ذات القيمة والتقدير ، وأن يقوى توحده مع هذا الشخص أى أبيه كثيرًا عن طريق الإعادة الخيالية للسلوك موضوع الحسد . وطبقًا لهذا المفهوم فإن الولد الصغير سوف يقوم فقط بتطوير توحد ذكرى إذا كان أبوه أو بديله هو المستنفد الأولى للمصادر ذات القيمة والتقدير . وسوف تقوم البنت الصغيرة فى المقابل بالتوحد مع أمها حينما تدركها على أنها هى المستنفد الأولى لتلك المصادر ذات القيمة والتقدير .

وقد حاول ماورار (١٩٥٠) Mowrer أن يعيد صياغة نظرية فرويد فى ضوء مفاهيم نظرية التعلم ، فميز بالتالى بين التوحد الدفاعى Defennsive identification والتوحد النمائى developmental . ويعتبر التوحد الدفاعى مرادفًا للتوحد مع الشخص الذى يراه الطفل عدوانيًا ، بينما يعتبر التوحد النمائى مرادفًا للتوحد الجنسى المفرط . وقد استخدم فرويد مصطلح التوحد الجنسى المفرط ليفسر به لماذا تتوحد البنات مع أمهاتهن ويصبحن إناثًا ، وهو ما يبنى على الخوف من فقد الحب . وعلى الرغم من موافقة ماورار Mowrer على أن التوحد مع الشخص الذى يراه الطفل عدوانيًا قد يكون متضمنًا فى النمو الذكرى ، فإنه يركز على أهمية التوحد النمائى فى نمو الدور الجنسى لكل من البنين والبنات ، ويرى أن أساس التوحد النمائى يقوم على علاقة انفعالية عاطفية مع الوالد (الأب أو الأم) الذى يدفع الطفل إلى القيام ببعض الأدوار الصغيرة التى يقوم بها هذا الولد موضع الحسد حتى يتجنب الطفل الشعور بفقد الحب حينما يكف ذلك الوالد الذى يقيم علاقة رعاية مع الطفل فيصبح ذلك الطفل معتمدًا عليه بذلك فى الرعاية والحب . ومن ثم يكون التوحد الأولى للولد - كما فى نظرية فرويد - غير مرتبط بجنسه البيولوجى حيث يتوحد مع أمه . وعندما يصبح الأب مصدرًا للتعزيز بدرجة أكبر ويكون ذلك فى حوالى الرابعة من عمر الطفل تقريبًا يقوم الولد بتقليده ويصبح ذكرًا بالتدريج . هذا وقد قدم منظرون آخرون لنظريات التعلم آراء مشابهة لهذه الآراء ، ومن هؤلاء المنظرين نجد سيرز (١٩٧٠) Sears على سبيل المثال .

ومن ناحية أخرى حاول بعض علماء الاجتماع أمثال بارسونز (١٩٥٥) Parsons تطوير نظرة جديدة إلى التوحد وذلك بدمج افتراضات معينة من تلك التى قدمها فرويد مع افتراضات أخرى لنظرية التعلم . وطبقًا لنظرية الدور عند بارسونز فإن الولد

يتوحد مع الشخص الذى يرى أنه أكثر قدرة على أن يقوم بإثابته وعقابه . ويشير برونفينبرينر (١٩٦٠) Bronfenbrenner إلى أن المفهوم الجديد لنظرية الدور كما قام بارسونز بتمحيصه هو أن الطفل لا يتوحد مع الأب بكليته ولكن مع علاقة الدور التبادلى التى تصبح دالة للطفل فى فترة معينة . وتؤكد جونسون (١٩٦٣) Johnson على أهمية الأبوة وذلك فى تمحيصها لنظرية بارسونز فى التوحد ، فالأم تربطها علاقة أولية تعبيرية expressive واضحة بكل من الأولاد والبنات . وفى المقابل يثيب الأب أطفاله من البنين والبنات بطريقة مختلفة فيشجع السلوك الوسيلى من جانب ابنه والسلوك التعبيرى من جانب ابنته . ويؤدى التوحد مع الأب إلى استدخال علاقة الدور التبادلى التى تعتبر حاسمة فى نمو الدور الجنسى لكل من البنين والبنات ، فعلى سبيل المثال يلعب الأب مع ابنه بخشونة ويثير استجاباته العدوانية والتوكيدية فى حين نجده يداعب ابنته ويدللها ويشجعها على أن تكون ودودة ومطيعة .

وتؤكد نظريات التعلم الاجتماعى أيضًا على أن النموذج الذى يكون من الأكثر احتمالاً للطفل أن يقوم بتقليده هو ذلك الشخص الذى يتحكم فى المصادر ذات القيمة والتقدير (e.g. Bandura & Walters, 1963; Mussen & Distler, 1959) . وتختلف تلك النظريات إلى حد ما فى تناولها لذلك ، إلا أن هناك تركيزًا فى كل منها على مبادئ التعلم الرئيسية . ويزيد مدى رؤية الطفل لأبيه على أنه هو الذى يقوم باتخاذ القرارات فى الأسرة والذى بيده الامتيازات فيها من احتمال قيام هذا الطفل بتقليده .

وعلى الرغم من ذلك فهناك قصور عام فى نظرية التوحد يتمثل فى أن تلك الفروض لا تميز بين الجوانب المختلفة للأدوار الجنسية ، فتتعامل مع الذكورة بوجه عام على أنها مفهوم أحادى البعد ، كما تعتبر أن الولد يشرع فى أن يكون ذكرًا فى حوالى الثالثة أو الرابعة من عمره وذلك عندما ينتقل توحده مع أمه إلى أبيه . ومع ذلك فهذا لا يتفق مع تلك البيانات والنتائج التى تدل على وجود درجة ما من التنميط الجنسى الذكرى لدى الأطفال فى سن الثانية أو أقل ، والأهم من ذلك وجود تعلق قوى للطفل بأبيه فى العديد من الأسر (e.g. Biller, 1974c; Lamb, 1979; Pedersen, 1980) . ويتضح أيضًا فى العديد من الدراسات أن التفاعل بين الطفل وأبيه له أثره على ممارسة الطفل لدوره الجنسى . كما يتضح منها أيضًا أن غياب الأب خلال مرحلة المهد يربك نمو الدور الجنسى للطفل كثيرًا .

منظور متعدد الأبعاد :

من الجدير بالذكر أننا قد قمنا باتخاذ خطوات مبدئية لصياغة منظور متعدد الأبعاد لأثر الأب على نمو الدور الجنسى للأطفال . ويركز هذا الاتجاه على مدى تعقد العوامل المتضمنة فى عملية نمو الدور الجنسى . وتم من خلاله النظر إلى نوعية العلاقة بين الأب والطفل على أنها ذات درجة كبيرة جدًا من الأهمية . ومع ذلك فإن كلاً من الأب والطفل لا يعيشان فى عزلة عن الآخرين من أعضاء الأسرة ، ومن هنا فإن نوعية العلاقة بين الأم والطفل ، والعلاقة بين الأم والأب ، والنظام الأسرى برمته (التفاعلات بين الأب - الأم - الطفل - الأخوة والأخوات) ، إضافة إلى عوامل أخرى بيولوجية ، وأخرى اجتماعية ثقافية متنوعة تساهم جميعًا فى تأثير كل من الأب والطفل على بعضهما البعض .

ومما لا شك فيه أن الأب يلعب دورًا على درجة كبيرة من الأهمية فى نمو توجه الدور الجنسى للأطفال حتى خلال مرحلة المهد نفسها إذ يتضح على سبيل المثال أن كلاً من الطفل فى مرحلة المهد والأب يصبحان أكثر قربًا من بعضهما البعض ، وأن إدراك الطفل لذاته على أنه ذكر وأنه بذلك يشبه أباه بدرجة أكبر مما يشبه أمه تعتبر دافعًا له كى يقوم بمحاكاة أبيه . ويستطيع الوالدان بالطبع أن يقوما بتسهيل عملية الإدراك الذاتى التى يقوم بها الطفل وذلك عن طريق ما يقدمانه له من تلميحات سواء كانت لفظية أو سلوكية . كما يقوم الأطفال أيضًا بوجه عام بمحاكاة أنماط السلوك التى تصدر عن كلا الوالدين . ومن الممكن أن تتأثر درجة التشابه الفعلى بين الأب والابن بعوامل وراثية وأخرى تكوينية أو بأحدهما فقط حيث قد يشبه الطفل أحد والديه خاصة فيما يتعلق بالسمات المزاجية والجسمية . ومع ذلك فإن نوعية الأبوة كما يدركها الطفل تظل بوجه عام هى العامل الحاسم فى التطور الإيجابى لنظرته لذاته على أنه ذكر .

ومن الواضح أن هناك العديد من أوجه الشبه بين المفهوم النمائى المعرفى الذى قدمه كولبرج (١٩٦٦) Kohlberg عن نمو الدور الجنسى وبين هذا المنظور الذى قمنا بصياغته هنا . ومن بين أوجه الشبه هذه نلاحظ وجود عوامل أساسية مثل التعلم الأولى للتوجه ، وأهمية العوامل المعرفية ، والتأثير السابق للتوجه على النمو اللاحق للدور الجنسى ، وأهمية مفهوم الذات ، والدافع لتحقيق الكفاءة . ومع ذلك فإن المنظور متعدد الأبعاد الذى قمنا بصياغته يعتبر أكثر شمولاً حيث قدم كولبرج وصفًا محددًا ومقيدًا إلى حد ما عن نمو الدور الجنسى . وقام بتقليص أهمية العوامل الوالدية ، وافترض

أن المعرفة بمعايير الدور الجنسى تتماثل نسبيًا مع نمو الدور الجنسى . وعلى الرغم من أن القدرة على التمييز بين الأدوار والرموز والأنشطة الذكرية والأنثوية تعتبر عاملاً هامًا فى نمو الدور الجنسى فإنها لا تتضمن كل شئ عنه إذ أن هناك العديد من الأفراد الذين يعرفون معايير الدور الجنسى ولكنهم مع ذلك يفضلون أن يسلكوا بطريقة أكثر تمييزًا للجنس الآخر . فعلى سبيل المثال قد يكون هناك ولد على دراية بأنه ذكر ، ولديه المعرفة الكافية عن الألعاب المنمطة جنسيًا ، ومع ذلك يختار أن يلعب مع البنات وأن يشارك فى الأنشطة ذات النمط الجنسى الأنثوى .

ويتأثر تطور التفضيل المتعلق بالدور الجنسى للفرد ورغبته النسبية فى التمسك بالخطوط المميزة للدور الجنسى التى تم تحديدها ثقافيًا بتوجه الدور الجنسى . إلا أنه إذا كان ذلك التوجه يرتبط إلى درجة كبيرة بالتمييز بين نماذج محددة من الأدوار الجنسية لكل من الأب والأم ، فإن التفضيلات التى تصدر عن الطفل تتعلق بالتمييز بين الرموز والتمثيلات المتعلقة بالأدوار الجنسية والتى تعتبر أكثر عمومية إضافة إلى كونها محددة اجتماعيًا . ويتضمن توجه الدور الجنسى فى عملية التقييم الذاتى للفرد حيث ترتبط التفضيلات المتعلقة بالأدوار الجنسية بتقييم الفرد لبعض الفرص والأنشطة البيئية المعينة . وعند تطوير الولد لتفضيلات ترتبط بالدور الجنسى الذكرى فإنه يتعلم أن يقوم بتقييم ألعاب وأنشطة واهتمامات معينة . أما تعلم الخبرة فإنه يبنى على ما هو أكبر من العلاقات داخل الأسرة حيث يتضح هنا الأثر المتزايد لجماعات الأقران ووسائل الإعلام .

وبينما يرتبط توجه الدور الجنسى برؤية الفرد لنفسه فإن تبنى الدور الجنسى يرتبط بطريقة إدراك الأعضاء الآخرين فى المجتمع لذلك الفرد . ومن الجدير بالذكر أن متلازمات الدور الجنسى أى ما يتعلق به توجد حتى فى مرحلة المهد ، ويستمر تبنى الدور الجنسى فى التطور خلال مرحلتى المراهقة والرشد . ويمثل نمو المهارة بين الشخصية فى العلاقات الجنسية الغيرية خلال هذا الوقت أهمية خاصة . وغالبًا ما يرتبط تكون الدور الجنسى الذكرى وتبنيه خصوصًا خلال سنوات ما قبل المدرسة بمحاكاة الأب ، كما ترتبط ذكورة الولد إيجابًا بمدى تواجد الأب فى المنزل ومدى تصرفه (الأب) بطريقة ذكرية فى علاقاته داخل الأسرة . كذلك يؤثر كل من الأخوة والأقران بطبيعة الحال على نمو تبنى الطفل للدور الجنسى .

ومن ناحية أخرى ترتبط الذكورة الوالدية بما صنفه وايت (١٩٦٠) White تحت ما يسمى بالكفاءة . كما ترتبط رغبة الطفل فى محاكاة والده وفى أن يصبح ذكرًا برغبته فى السيطرة على البيئة إذ يمكن أن تتزايد قدرة الطفل على حل المشكلات وعلى القيام ببناء وإصلاح الأشياء المختلفة على سبيل المثال إذا ما كانت لديه فرص متتالية لملاحظة أبيه ومحاكاته .

كذلك فإن قيام الأب برعاية الأبناء يسهل من نمو الدور الجنسى الذكرى للولد وذلك عندما يتصرف الأب نسبيًا بطريقة ذكرية . فالأب الذى يعمل على رعاية أبنائه يثيب ابنه على استجاباته بدرجة أكبر من الأب الذى لا يعمل على ذلك ، وبهذا يوفر لابنه فرصًا أكثر كى يلاحظه ويقوم بمحاكاة سلوكه ، أى أن الأب الذى يقوم برعاية أبنائه يعتبر بمثابة نموذج متواجد بدرجة كبيرة أمام الطفل ، ويمكنه الاستفادة منه وذلك بدرجة أكبر من الأب الذى لا يقوم على رعايته . كما يرتبط سلوك الأب القائم على رعاية أبنائه بدرجة كبيرة بالعاطفة والمديح أو الثناء ، وبهذا يكتسب قيمة أكبر للإثابة . ومن هنا فإن الولد الذى يتصف أبوه بأنه قائم على الرعاية يكون لديه حافز على محاكاته بدرجة أكبر من قرينه الذى لا يتصف أبوه بذلك . وعلاوة على هذا فإنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأب الذى يوصف بأنه قائم على رعاية أبنائه أن يعزز من سلوك ابنه حينما يقوم ذلك الابن بمحاكاته .

ومن الجدير بالذكر أنه إذا كان الأب دائم المشاركة فى وضع الحدود لابنه ، فإن ذلك من شأنه أن يوجد للطفل فرصًا أخرى للمحاكاة . ومع هذا فإذا كان الأب يتصف بالعقاب أكثر فإن سلوكه لن يكون حافزًا كبيرًا للطفل كى يقوم بمحاكاته ، وسوف تنحصر بالتالى محاكاته لهذا السلوك فى نطاق ضيق . هذا ولا يمكن التنبؤ بوجود علاقة إيجابية بين قيام الأب بوضع الحدود لابنه وتبنى الابن للدور الجنسى الذكرى إذا لم يكن الأب يقوم نسبيًا على رعاية أبنائه حيث تضيف ذكورة الأب وقيامه على رعاية أبنائه وقيامه بوضع الحدود لهم الكثير إلى أهميته بالنسبة للأبناء إذ يؤثر إدراك الطفل لأبيه كثيرًا على حافزه للدور الذكرى وكل المظاهر المرتبطة بنمو دوره الجنسى .

وقد يكون لدى الوالد توجهًا وتفضيلاً ذكريان إلا إنه يكون محدودًا فى نمو تبنى الدور الذكرى وذلك بسبب وضعه الجسمى غير الملائم . فالولد القصير جدًا مثلاً

أو النحيف جدًا قد ينظر إلى ذلك الوضع الجسمى على أنه عيب وذلك إذا ما كان ينتمى إلى ثقافة فرعية تربط القوة الجسدية بشدة الذكورة . كما يرتبط أيضًا الطول والكتلة العضلية إيجابًا بتبنى الدور الجنسى الذكرى . وعلى الرغم من أن نمطًا معينًا لبنية الجسم قد لا يكون كافيًا للإتيان بالسلوك الذكرى ، فإن الولد الذى يكون طويلاً وعريض المنكبين أو عريض المنكبين وقصير يعتبر فى وضع أفضل يساعده على تحقيق النجاح فى كثير من الأنشطة الذكرية وذلك بدرجة أكبر من ولد آخر طويل ونحيف أو قصير ونحيف ، حيث يتوقع الآباء وغيرهم من الكبار فى المجتمع أنماطًا سلوكية ذكرية بدرجة أكبر من الأولاد الذين يتسمون بالطول وعرض المنكبين والأولاد ذوى النمط الجسمى الممتلئ (Biller, 1968a) .

وقد يؤثر الوضع الجسمى للولد على توجه الدور الجنسى لديه وعلى تفضيلاته المرتبطة بالأدوار الجنسية ، إضافة إلى تبنيه للدور الجنسى . فيتضح خلال مرحلة المراهقة على سبيل المثال أن الأولاد ذوى بنية الجسم غير الذكرية تتزعزع ثقتهم بأنفسهم ، ويكون من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهم أن تنخفض نسبة تبنيهم للدور الجنسى الذكرى ، ولكنهم مع ذلك قد يقوموا بالتعبير عن تفضيلات ترتبط بالدور الجنسى الذكرى فى محاولة منهم لإقناع أنفسهم وإقناع الآخرين بأنهم لا يزالون ذكورًا (Biller & Leibman, 1971) .

وتلعب الاستعدادات التكوينية لدى الأطفال دورًا كبيرًا فى نمو شخصياتهم وفى تحديد الطريقة التى يستجيب بها الآخرون لهم . فالولد الذى يعانى من إعاقة حسية حركية مثلاً أو يعانى من قصور عقلى قد يسبب الكثير من الإحباط لأبيه . وقد يجد الأب ذو العقلية الرياضية أنه من الصعب عليه أن يتفاعل مع ابن لا يبدى تعاونًا معه أو يتسم بالتعاون الضعيف للغاية ، كما قد يجد الأب المتوقد الذكاء أنه من غير المحبب بالنسبة له أن يقضى وقته مع ابن يبدى قدرة معرفية محدودة جدًا حيث سيعتبر ذلك مضيعة للوقت . ومع ذلك فمن الأكثر احتمالاً أن يتم إدراك الولد ذى النمط الجسمى الممتلئ الذى يبدى مستوى مرتفعًا من النشاط ، والمتوقد الذكاء ، والذى يبدى درجة كبيرة جيدة من التعاون على أنه ذكر وأنه يمكن أن يحقق النجاح فى العديد من الأنشطة الذكرية التقليدية حتى وإن كان محرومًا من أبيه (Biller, 1974c) .

أوجه القصور المنهجية فى الدراسات التى تناولت نمو الأدوار الجنسية للأطفال :

علينا أن ننظر إلى العديد من الدراسات التى تم عرضها خلال هذا الفصل ببعض الحذر حيث قام العديد من الباحثين باستخدام مقاييس للدور الجنسى مقيدة بدرجة كبيرة أو يكتنفها الغموض ، ومع ذلك قاموا بتعميم أثر متغير معين على النمو الكلى للدور الجنسى مع أنه يجب أن يحظى تعريف المظاهر المتعددة والأنماط المختلفة لممارسة الدور الجنسى وقياسها بكثير من الاهتمام . ففى الغالبية العظمى من هذه الدراسات لم يتم الالتفات إلى متغيرات معينة يمكن أن تؤثر على نمو الدور الجنسى غير العلاقة بين الأب والطفل ، فلم يوجه الاهتمام على سبيل المثال إلى الفروق الفردية بين الأطفال فى الذكاء ، والحالة المزاجية ، والمظهر الجنسى .

ويمكن توجيه النقد إلى جملة الباحثين الذى اقتصروا على دراسة العلاقة بين الأب والطفل ونمو الدور الجنسى لذلك الطفل بسبب القصور المنهجى واستخدامهم للعديد من المبادئ العامة المحدودة . ففى معظم هذه الدراسات لم يتم تقييم سلوك الأب بشكل مباشر ، بل تم استخدام التقارير التى تقدمها الأم أو الطفل عن سلوك الأب بدلاً من ذلك . كما لم تكن مصادر الأهمية المتعلقة بسلوك الأب وسلوك الطفل مستقلة فى كثير من هذه الدراسات ، بل إنها فى الواقع تؤدى إلى العديد من المشاكل التى تتعلق بالتفسير . فكان يتم على سبيل المثال توجيه الأسئلة للأطفال لوصف سلوكهم وسلوك والديهم . ولذلك يصبح لزامًا علينا أن نهتم بإجراء العديد من الدراسات التى تتضمن تقييمًا لثبات تقدير الملاحظ للعلاقات الأسرية وإدراك كل من الآباء والأطفال للعلاقات بين بعضهم البعض . كما يجب أيضًا إجراء المقارنة بين تلك الدراسات التى تتضمن إجراءات تسمح للملاحظين والآباء والأطفال أن يقوموا بتقييم كل عضو من أعضاء الأسرة على حدة وبين تلك الدراسات التى تتطلب تقديرات مقارنة لأعضاء الأسرة على أن يكون أحد أهداف تلك الدراسات هو اختبار واختيار أى نوع من المقاييس يرتبط بدرجة أكبر بأبعاد معينة للأداء المرتبط بشخصيات الأطفال .

ومن ناحية أخرى فإن معظم الدراسات التى تناولت العلاقة بين الأب والطفل ونمو الشخصية هى دراسات ارتباطية فى طبيعتها ، وغالبًا ما يكون إدراك الطفل أو تقريره عن سلوك الأب مرتبطًا بمقياس ما لنمو شخصية الطفل . فعلى سبيل المثال

عندما توجد ارتباطات دالة بين درجة إدراك الطفل لأبيه على أنه يقوم برعايته وبين ذكورة هذا الطفل فعادة ما يتم افتراض أن قيام الأب برعاية الطفل يسبق النمو الذكرى للطفل ويعتبر شرطًا له . إلا أن الأب قد يكون قائمًا على رعاية الأبناء ، ويكون متقبلاً إذا كان ابنه يتسم بالذكورة ، ويكون رافضًا إذا لم يكن ابنه كذلك . ومن هنا تتضح أهمية الدراسات الطولية فى تحديد مدى السبق لأنماط معينة من السلوك الوالدى أو مدى تحديد تلك الأنماط لأبعاد معينة من سلوك الطفل . كما يتضح أيضًا أهمية الملاحظات المقننة التى يتم إجراؤها بعناية على أسر مختلفة فى بيئات مختلفة .

مدى ذكورة الأب :

هناك بيانات ونتائج تؤكد أن نوعية العلاقة بين الأب والابن لها أثر أكثر أهمية من كم الوقت الذى يقضيه الأب بالمنزل وذلك على النمو الذكرى للابن (Biller, 1968a, 1971) . وتمثل درجة إتيان الأب بالسلوك الذكرى فى علاقاته داخل الأسرة العامل الحاسم فى هذا الصدد . كما تدعم المحاكاة المباشرة لسلوك الأب النمو الذكرى للطفل وذلك إذا ما أتى الأب بأنماط سلوك ذكرية فى وجود الابن .

وحينما يتبنى الأب دور الأم بشكل ثابت يصبح من المحتمل أن تنخفض درجة ذكورة ابنه نسبيًا إذ وجد برونفينبرينز (١٩٥٨) Bronfenbrenner عند إعادته لتحليل البيانات التى جمعها فى الأصل لانسكى (١٩٥٦) Lansky أن الأولاد المراهقين ذوى درجة الاهتمامات الذكرية المنخفضة غالبًا ما ينحدرون من أسر يلعب فيها الأب دورًا أنثويًا تقليديًا ، فيقوم آباء هؤلاء الأولاد مثلاً بأنشطة معينة كالطهى ورعاية الأطفال ولا يشاركون بوجه عام فى اتخاذ القرارات الخاصة بالأسرة أو فى وضع الحدود لأعضائها . وعند تناوله لتلك النتائج التى توصل إليها ألتوشير (١٩٥٧) Altucher وجد برونفينبرينر Bronfenbrenner أيضًا أن البنين المراهقين ذوى الاهتمامات الذكرية المنخفضة من المحتمل أن ينحدروا من أسر لا تميز بين الأدوار إلا قليلاً جدًا وذلك فيما يتعلق بالأنشطة المنزلية ، كما يكون للأم فى تلك الأسر وليس للأب السيطرة والسيادة فى عملية وضع الحدود للطفل . وانتهى بذلك إلى أن ما يعوق النمو الذكرى للابن ليس مشاركة الأب فى بعض الأنشطة الأنثوية التقليدية داخل المنزل فى حد ذاته كالمساعدة فى الأعمال المنزلية مثلاً ولكن السلبية العامة للأب فى التفاعلات الأسرية وفى اتخاذ القرارات هى التى تؤدى إلى ذلك .

هذا وقد وجدنا نحن أيضًا علاقة ارتباطية قوية بين مدى ذكورة البنين فى سن الروضة وبين درجة إدراكهم لآبائهم على أنهم يقومون بعملية اتخاذ القرارات الخاصة بالأسرة . وعند قياس توجه الدور الجنسى (ذكورة أو أنوثة مفهوم الذات) والتفضيلات المرتبطة بالأدوار الجنسية (ذكورة أو أنوثة الميول والاتجاهات) وتبنى الدور الجنسى (ذكورة أو أنوثة التفاعلات البيئية والاجتماعية) اتضح أن المستوى المرتفع لإدراك قيام الأب باتخاذ القرارات يرتبط بدرجة كبيرة بأنماط السلوك الذكرى . كذلك فإدراك الأولاد لدور الأب فى اتخاذ القرارات يرتبط بدرجة عالية بتوجه الدور الجنسى لديهم وذلك على الرغم من ارتباطه الدال بتفضيلاتهم المرتبطة بالأدوار الجنسية ، وتبنيهم للدور الجنسى (Biller, 1969a) . كما توصلت أيضًا دراسات أخرى إلى وجود علاقة إيجابية بين ذكورة الابن وإدراكه لذكورة الأب ، ومن بينها دراسات كاجان (١٩٥٨) Kagan وهيلبرون (١٩٧٤) Heilbrun على سبيل المثال . وعلى الرغم من أن تلك الدراسات توضح وبشكل ثابت أن ذكورة الابن ترتبط بذكورة الأب ، فإنها تشترك فى خطأ منهجى عام حيث استقت تقديراتها لذكورة الأب وذكورة الابن من استجابات الابن رغم أن ذكورة كل منهما ليست مستقلة . ومن هنا يبدو أن ذلك الدليل لا يمكن اعتباره أساسًا كافيًا كى نتوصل من خلاله إلى وجود علاقة بين ذكورة كل من الأب والابن حيث نجد أن هناك على سبيل المثال تفسيرًا بديلاً لذلك يتمثل فى أن الأولاد الذين يوصفون بالذكورة يميلون إلى رؤية آبائهم على أنهم ذكور بدرجة مرتفعة بغض النظر عن مدى الذكورة الحقيقية للأب حيث قد يبدو الولد شبيهًا بأبيه ، كما يكون قد تعلم أن يأتى بأنماط السلوك الذكرية ، ولكنه لم يتعلمها من أبيه بل تعلمها من جماعة الأقران على سبيل المثال . وهذا يتفق بطبيعة الحال مع ما يقرره برونفينبرينز (١٩٥٨) Bronfenbrenner من أنه ليس من الضرورى أن يكون ما يدركه الولد من شبهه بأبيه مقياسًا لتوحده معه إذ قد يكون تشابه الولد مع أبيه مجرد إنعكاس لتعرضهما لبيئة اجتماعيًا مشتركة .

وفى دراسة على درجة عالية من المنهجية الجيدة قامت هيذرنجتون (١٩٦٥) Hetherington بتقييم السيطرة النسبية وذلك بوضع الآباء والأولاد فى موقف فعلى لاتخاذ القرارات ، ووجدت أن ذكورة السلوك الإسقاطى للدور الجنسى للأولاد فى سن ما قبل المدرسة وفى مرحلة ما قبل المراهقة ترتبط إيجابًا بسيطرة أبيهم على الأسرة .

وعلاوة على ذلك فقد اكتشفت اتجاهًا عامًا للتشابه بين الأب والابن ، وأن درجة محاكاة الابن لأبيه ترتفع فى الأسر التى يسيطر عليها الأب وذلك بدرجة أعلى من حدوثها فى تلك الأسر التى تسيطر عليها الأم (e.g. Hetherington & Frankie, 1967) .

وباستخدام نفس إجراء التفاعل الوالدى كما فعلت هيذرنجتون Hetherington وجدنا عند تقييم التفاعل بين الأب والأم أن السيطرة الوالدية ترتبط إيجابًا بذكورة توجه الدور الجنسى والتفضيلات المرتبطة بالأدوار الجنسية ، وتبنى الدور الجنسى وذلك عند البنين فى سن الروضة (Biller, 1969a) . ومع ذلك فإن سيطرة الأب كما تتضح فى التفاعلات الوالدية توضح ارتباطات بنمو الدور الجنسى أضعف مما يوضحها إدراك الابن لسيطرة أبيه . ويبدو أن الإدراك الخاص من جانب الطفل للتفاعلات الأسرية يحدد سلوكه بدرجة كبيرة ، وقد تكون نظرته لأبيه هى المقياس الأكثر أهمية فى هذا الصدد . ومن جانب آخر فقد يتأثر بسلوك أمه حيث تقوم بعض الأمهات فى علاقات التفاعل بينهن وبين أزواجهن بتشجيع هؤلاء الأزواج على اتخاذ القرارات ، كما قد تقوم غيرهن بمنع الأزواج من أن يكونوا نماذج ملائمة وذلك بمنافستهم دومًا فى اتخاذ القرارات .

وتوضح تحليلات أخرى لهذه البيانات تلك التأثيرات المعقدة للتفاعلات الأسرية على نمو الدور الجنسى للبنين . فالعديد من الأولاد ذوى درجة الذكورة المنخفضة يتميز آباؤهم بالسيطرة فى مواقف التفاعل مع الزوجات ، كما يتسمون بالذكورة بشكل عام ، ومع ذلك فقد يبدو هؤلاء الآباء مسيطرين على سلوك الابن ومقيدين له . فقد نجد مثلاً هذا النمط للأب المسيطر يعاقب ابنه إذا ما اختلف معه . ومن الجدير بالذكر أنه إذا كان الأب نموذجًا كفء للذكورة ، ويسمح لابنه بأن يكون مسيطرًا ويشجعه على ذلك فإن هذا من شأنه أن يشجع على النمو الذكرى ويسهله . ويعتبر مثل هذا السلوك من جانب الأب على درجة كبيرة وخاصة من الأهمية بالنسبة لنمو تبنى الدور الجنسى من جانب الابن . أما فى الأسر التى يتنافس فيها كل من الأب والأم على اتخاذ القرارات فغالبًا ما يكون الأولاد مقيدين . ويبدو أنه فى بعض الأسر حينما لا تسمح الأم لزوجها أن يقوم باتخاذ القرارات الأسرية فإنه يحاول أن يسيطر على ابنه بطريقة تتسم بالتحكم والتقييد .

ومن جانب آخر يبدو أن تبنى الأب للدور الجنسى فى تفاعلاته الأسرية وليس درجة السلوك الذكرى الذى يبديه خارج المنزل هو الأمر الحاسم فى هذا الصدد . فالعديد

من الآباء لديهم ميول ذكرية ويبدون الذكورة فى علاقاتهم بالأقران وفى علاقات العمل ، إلا أنهم يكونون غير فعالين أو مؤثرين فى علاقاتهم بزوجاتهم وأطفالهم . كما يمكننا أيضًا أن نصف العديد من الآباء فى إطار نمط الأب الذى يعمل بجد واجتهاد ومثابرة ويتسم بالذكورة ، إلا أن نشاطه الأساسى فى المنزل ينحصر فى النوم على الأريكة ومشاهدة التليفزيون أو ينحصر فى النوم . ونظرًا لأنه إذا لم يكن الأب منغمسًا وبشكل ثابت فى الممارسات المختلفة داخل الأسرة فسوف يكون من الصعب على ابنه أن يتعلم إظهار الكفاءة والاستقلال والتوكيدية . وبالتالى فإن الأبوة النشطة والفعالة تؤثر إيجابًا على نمو الدور الجنسى للأب ذاته وعلى إحساسه بالنضج الشخصى (Heath, 1978, Russel, 1978; Biller & Meredith, 1974) .

مدى اهتمام الأب بالأبناء ورعايته لهم :

يشير مصطلح الرعاية الأبوية Paternal Nurturance بوجه عام إلى التشجيع الودود واللطيف من جانب الأب لطفله . وقد يظهر مثل هذا السلوك وقد لا يظهر أنشطة الرعاية والحماية التى تتبدى عادة حينما نتناول الاهتمام بالطفل من جانب الأم . ويمكننا أن نتنبأ إذا ما أخذنا الأمر من وجهة نظر نظرية التعلم بأن النمو الذكرى يرتبط إيجابًا بدرجة الدفء والعاطفة التى يوليها الأب لابنه ، بمعنى أنه كلما زاد حب واحترام الولد لأبيه أصبحت موافقة أبيه أكثر تعزيزًا بالنسبة له .

ويرى برونسون (١٩٥٩) Bronson من دراسته على عينة من تلاميذ المرحلة الابتدائية أننا يجب أن ننظر بعين الاعتبار إلى كل من ذكورة الأب ونوعية علاقته بابنه . فقام بتقييم سلوك الأب والعلاقة بينه وبين ابنه من خلال مقابلات تم إجراؤها مع آباء الأطفال ، ومن خلال البيانات الخاصة بالتاريخ الأسرى أيضًا . واتضح أن ذكورة التفضيلات التى أبداها البنون ذوو العلاقات المتوترة مع آبائهم للألعاب ترتبط سلبًا بذكورة الأب ، وأن البنين الذين يتميز آباؤهم بأنهم لا يعبرون عن عواطفهم علنًا ، وأنهم يسببون لهم الإحباط ، ودائمًا ما يوجهون لهم النقد يرفضونهم كنماذج . وفى المقابل إذا كانت علاقة الأب بابنه لا تتسم بالتوتر بل يسودها الدفء والمحبة والمساندة من جانب الأب فإن ذكورة التفضيلات التى يبديها البنون للألعاب ترتبط إيجابًا بذكورة الأب . وبالتالى يتضح أنه إذا كان الأب يتسم بالذكورة والاهتمام بالأبناء فإن ذلك يساعد على حدوث النمو الذكرى لابنه ويسهله .

وهناك دليل آخر على أن دفء العلاقة بين الأب والابن واتسامها بالود والمحبة من شأنه أن يقوى النمو الذكرى للابن وذلك من خلال ما كشفت عنه الدراسة التى أجراها سيرز (١٩٥٣) Sears على البنين فى مرحلة ما قبل المدرسة والذين سلموا بأهمية دور الأب وذلك فى الأنشطة التى طلب منهم القيام بها أثناء اللعب بالدمى حيث استخدموا الدمية التى تمثل الأب بشكل أكثر تكرارًا من غيرها ، كما وجد أن آباءهم يميلون إلى أن يتسموا بالدفء والمودة فى علاقاتهم بهم . وعندما قام مسن ودستلر (١٩٥٩) Mussen & Distler بدراسة اللعب بالدمى لدى البنين بالروضة اوضحت النتائج التى توصلا إليها أن البنين الذين حصلوا على درجات مرتفعة فى الذكورة وذلك من خلال استجاباتهم الإسقاطية المتعلقة بالدور الجنسى كانوا يدركون آباءهم على أنهم أكثر دفئًا واهتمامًا بهم وذلك قياسًا بأقرانهم الذين حصلوا على درجات منخفضة . وباستخدام نفس المنهج توصل مسن وروزارفورد Mussen & Rutherford إلى نتائج مشابهة عند دراستهما للبنين بالصف الأول الابتدائى . وفى دراستنا لأطفال الروضة وجدنا أن الاهتمام بالأبناء من جانب الأب كما يدركه هؤلاء الأبناء يرتبط بتوجه الدور الجنسى للأبناء وذلك عند قياسه عن طريق بعض الألعاب الخيالية (Biller, 1969a) .

وطبقًا للبيانات التى قام بجمعها مسن ودستلر (١٩٦٠) Mussen & Distler من خلال مقابلاتهما مع أمهات البنين الذين أجريت عليهم دراستهما السابقة (١٩٥٩) اتضح أن البنين الذين اتسموا بدرجة مرتفعة من الذكورة كانت علاقاتهم بآبائهم تتسم بالود والمحبة وذلك بشكل أكثر من أقرانهم الأقل ذكورة . كما أوضحت مقابلاتهما مع أمهات هؤلاء الأطفال البنين اتجاهًا لدى الآباء الذين يتسمون بدرجة مرتفعة من الذكورة يقوم على العناية بهؤلاء الأولاد كثيرًا ، إضافة إلى تحمل الآباء قدرًا أكبر من المسئولية فى الأساليب التى تتبعها الأسرة فى تربية الأولاد . وقد توصل العديد من الباحثين إلى أن اهتمام الأب بأولاده ورعايته لهم يرتبط بذكورة البنين الأكبر سنًا ومدى تشابههم مع آبائهم (e.g. Distler, 1964) .

وإلى جانب ذلك هناك بيانات تدل على أن اهتمام الأب بأولاده يرتبط إيجابًا بنجاح هؤلاء الأولاد فى علاقاتهم بأقرانهم . وقد لوحظ بالنسبة للأولاد أن وجود أب يتسم بالذكورة والاهتمام بهم والإتيان بأنماط السلوك الذى يتفق مع جنسهم بوجه عام ،

وتحقيق الشعبية بين الأقران ترتبط بقوة ببعضها البعض (Biller, 1974c, 1976b) . كما لوحظ أيضًا أن اهتمام الأب بأولاده ورعايته لهم يمكن أن تكون عاملاً إيجابيًا فى العديد من الجوانب الأخرى لنمو الفرد ، ويتضمن ذلك بطبيعة الحال القدرات العقلية المعرفية المختلفة والتوافق المهنى (Biller, 1974c, 1976) .

قيام الأب بوضع الحدود لأبنائه :

تشير النتائج التى توصل إليها العديد من الباحثين إلى وجود علاقة بين قيام الأب بوضع الحدود Limit-Setting لأبنائه وبين نموهم الذكرى . فقد أوضحت التحليلات التى قام بها ليفكاوتز (١٩٦٢) Lefkowitz أن البنين بالصفين الثالث والرابع الابتدائى الذين قاموا باختيار بعض الألعاب الأنثوية كان آباؤهم قليلى المشاركة فى وضع الحدود لهم وذلك عند مقارنتهم بأقرانهم الذين اختاروا ألعابًا ذكرية بشكل كلى . وفى دراسة ألتوشير (١٩٥٧) Altucher قرر معظم البنين الذين حصلوا على درجات مرتفعة فى الميول والاهتمامات الذكرية أن آباءهم يقومون بوضع الحدود لهم . ووجد مولتون وآخرون Multon, et al. ارتباطًا مشابهًا بين البنين من طلاب الجامعة ، إلا أن دستلر (١٩٦٤) Distler لم يتوصل إلى نتائج تربط النظام الذى يفرضه الأب داخل المنزل بأشكال مختلفة للسلوك العدوانى بين البنين .

وتدل هذه النتائج إجمالاً على أن البنين غالبًا ما يتعلمون السلوك العدوانى والذكورة باتخاذ آبائهم كنماذج لهم وذلك من خلال النظام الذى يفرضونه عليهم . وهناك عوامل أخرى لها دورها فى إيجاد علاقة بين قيام الأب بوضع الحدود لأبنائه والسلوك العدوانى لدى الولد . ومن جانب آخر قد يصبح الأولاد عدوانيين كدالة للإحباط الذى يسببه العقاب الشديد من جانب الأب . وعلاوة على ذلك يجب النظر بحذر إلى التقديرات الكلية للعدوان وبعض السمات المعقدة للشخصية إذ نجد على سبيل المثال أن كل أشكال العدوان لا يمكن قبولها ثقافيًا على أنها تناسب البنين ، فى حين يبدو أن التوكيدية فى اللعب والوضع الجسمى النشيط فى التفاعل مع الأقران يتناسب مع البنين ، أما الثرثرة والنميمة على الأطفال الآخرين ، والشجار مع الأطفال الأصغر سنًا فلا يبدو مناسبًا لهم (e.g. Shortell & Biller, 1970) .

وعلى أى حال فإن النتائج الخاصة بقيام الأب بوضع الحدود لأبنائه تبدو متناقضة . ففى دراسة مسن ودستلر (١٩٥٩) Mussen & Distler أدرك البنون من أطفال الروضة الذين أبدوا درجة عالية من الذكورة من خلال استجاباتهم الإسقاطية قياسًا بأقرانهم ذوى الدرجة المنخفضة من الذكورة أدركوا آباءهم على أنهم أكثر استخدامًا للعقاب والتهديد وذلك فى المواقف المنظمة للعب بالدمى . ووجد مسن وروزارفورد (١٩٦٣) Mussen & Rutherford ميلاً مشابهًا لدى أطفال الصف الأول الابتدائى . وقد أظهرت الدراستان أن الاهتمام بالأطفال من جانب الأب كما يدركه الأطفال يرتبط تمامًا بارتفاع درجة التفضيلات الذكرية . ولم يجد مسن ودستلر (١٩٦٠) Mussen & Distler دليلاً على أن آباء البنين ذوى درجة الذكورة المرتفعة يعاقبونهم بدرجة أكبر من آباء البنين الأقل منهم ذكورة . وفى دراستنا التى أجريناها على البنين بمرحلة الروضة اتضح أن قيام الأب بوضع الحدود لأبنائه يرتبط ارتباطًا ضئيلاً بدرجة الأطفال على مقياس توجه الدور الجنسى ، ولكنها لا ترتبط بدرجاتهم على مقاييس التفضيلات المرتبطة بالأدوار الجنسية أو تبنى الدور الجنسى (Biller, 1969a) . ولم يتوصل سيرز وآخرون (١٩٦٥) .Sears, et al إلى نتائج متسقة بين المقاييس المستخدمة فى المقابلات التى أجروها وذلك بين قيام الأب بوضع الحدود لأبنائه وبين ذكورة هؤلاء الأبناء .

وقد وصف المراهقون ذوو الاهتمامات الذكرية المرتفعة فى الدراسة التى أجراها مسن (١٩٦١) Mussen آباءهم بأنهم لا يستخدمون العقاب وغير مقيدين لهم وذلك فى استجاباتهم لصور اختبار تفهم الموضوع TAT . وربما يرجع التناقض بين نتائج هذه الدراسة ونتائج دراسات مسن ودستلر (١٩٥٩) Mussen & Distler و مسن ودستلر (١٩٦٣) Mussen & Distler إلى الاختلاف فى أعمار أفراد عيناتها إذ على سبيل المثال قد يصبح الأب الذى كان ابنه فى صغره يدركه على أنه مصدر تهديد من جراء ما يسببه له من رعب ورهبة قد يصبح أقل تهديدًا عندما يكبر ذلك الابن ويصبح مراهقًا ويشبه أباه فى حجمه وقوته ، فيصبح من الأقل احتمالاً فى هذه المرحلة من حياة الابن أن يستخدم الأب وسائل العقاب البدنى ولكن يكون من الأكثر احتمالاً أن يقوم بوضع الحدود له . كذلك يجب ألا يغيب عن أذهاننا أنه ليس من الضرورى أن يتم تنفيذ ما يضعه الأب من حدود فى سياق عقابى إذ يمكن تنفيذ تلك الحدود فى سياق آخر .

وعندما يقوم الأب بدور هام فى وضع الحدود فإن تعلق الابن بأبيه والنمو الذكرى لهذا الابن يتم تسهيله فقط إذا كانت هناك علاقة قائمة بالفعل بينه وبين أبيه يسودها المودة والحب . أما إذا لم يبد الأب الاهتمام الكافى بابنه وكان عقابيًا يصبح من المحتمل بالنسبة للولد أن يبدى مستوى منخفضًا من محاكاته لأبيه .

وفى هذا الإطار وجد باندورا وولترز (١٩٥٩) Bandura & Walters أن المراهقين البنين الذين يتسم آباؤهم بالعقابية وممن لا يبدون اهتمامًا بهم ولا يستخدمون الإثابة قد أبدو تفضيلاً منخفضًا نسبيًا لآبائهم وإدراكًا أقل لأنفسهم على أنهم يتصرفون ويفكرون بنفس الطريقة التى يفكر بها آباؤهم ويسلكون .

ومن هنا يجب أن يرتكز محور الاهتمام فى البحوث المستقبلية حول جمع البيانات عن مشاركة الأب فى وضع الحدود للأبناء ، والتوقعات التى ترتبط بهذا الموضوع بدلاً من ارتكازه حول الوقت النسبى الذى يرى فيه الابن أن أباه يعتبر مصدرًا للعقاب بالنسبة له إذ يرتبط الحزم والاتساق فى وضع الحدود بتوقعات واضحة عن الطفل من جانب أبيه وبما تسميه بومريند (١٩٦٧) Baumrind بالأساليب التسلطية فى تنشئة الطفل . ومن الجدير بالذكر فى هذا السياق أن كوبر سميث (١٩٦٧) Coopersmith يرى أن تلاميذ المرحلة الابتدائية ذوى تقدير الذات المرتفع يتسم آباؤهم بأنهم أكثر فاعلية فى وضع الحدود لهم قياسًا بآباء التلاميذ ذوى التقدير المنخفض للذات .

مدى سلطة الأب وقوته :

وجد مسن ودستلر (١٩٥٩) Mussen & Distler أن البنين ذوى الدرجة المرتفعة من السلوك الإسقاطى للدور الجنسى الذكرى كانوا يدركون آباءهم على أنهم أقوى مما كان البنون ذوو الدرجة المنخفضة يدركون آباءهم . وعند ضم درجاتهم فى الاهتمام الوالدى المدرك والعقاب الوالدى المدرك أيضًا كانت الفروق بين البنين الذكريين وغير الذكريين واضحة تمامًا . وقد توصل مسن وروزارفورد (١٩٦٣) Mussen & Rutherford إلى نتائج مشابهة بالنسبة للبنين بالصف الأول الابتدائى ، إلا أن العلاقة التى توصلا إليها لم تكن قوية . ويرى فريدهيم (١٩٦٠) Freedheim أن أهمية الأب الكلية بالنسبة للطفل وانغماسه الكامل فى اتخاذ القرارات المتعلقة بالأسرة تعتبر أفضل وسيلة للتنبؤ بذكورة البنين من أطفال المدرسة الابتدائية (Freedheim & Borstelmann, 1963) .

وفى دراستنا للبنين من أطفال الروضة كان التأثير المدرك للأب أكثر أهمية من إدراكه على أنه يسيطر أو يهيمن على جانب معين من حياة الأسرة أو من علاقته بالطفل (Biller, 1969a) .

وفى الدراسة التى أجرتها هيذرنجتون وكوكس وكوكس (١٩٧٨) Hetherington, Cox & Cox والتى تضمنت أسلوب التحليل العاملى لنمو الدور الجنسى لأطفال الروضة كان استخدامهن للمقاييس للتعامل مع المظاهر المختلفة لممارسة الدور الجنسى علامة مميزة فى تلك الدراسة . وقد وجدن بوجه عام أن أهمية دور الأب تفوق أهمية دور الأم فى عملية التنميط الجنسى للأطفال . فبالنسبة للبنين لوحظ أن درجات الذكورة على مقاييس توجه الدور الجنسى ، والتفضيلات المرتبطة بالأدوار الجنسية ، وتبنى الدور الجنسى ترتبط بالدفء من جانب الأب وبالمتطلبات الأبوية اللازمة للنضج ، وسيطرة الأب على الأسرة ، ومشاركته فى اتخاذ القرارات المتعلقة بها . وكان آباء البنين الذين أبدوا مقدرة واضحة على الجمع بين أنماط إيجابية للذكورة وأخرى للخنوثة السيكلوجية فى تفاعلاتهم الاجتماعية يتميزون بالدفء والفاعلية فى اتخاذ القرارات ورعاية الأبناء كما كان لهم تأثير انفعالى فى أبنائهم إضافة إلى مساندتهم التى يبدونها فى إقامة العلاقات بين الطفل وأمه . أما أنماط السلوك التى تأتى بها الأم فقد كانت بوجه عام أكثر تأثيرًا على ممارسة الدور الجنسى للبنين فى حالات الطلاق بين الوالدين وعندما يعيش هؤلاء الأولاد مع أمهاتهم .

وتدل نتائج الدراسات التى أجريت على طلاب الجامعة حول نفس الموضوع على اتفاقها مع الصياغات النظرية التى تؤكد على أهمية العلاقة بين الأب والابن حيث وجد دستلر (١٩٦٤) Distler أن البنين من طلاب الجامعة الذين يصفون أنفسهم بالذكورة القوية وذلك على مقياس قائمة الصفات Adjective Checklist ينظرون إلى آبائهم على أنهم يهتمون بهم بدرجة كبيرة ويقومون بوضع الحدود لهم ، ويتمتعون بدرجة عالية من الكفاءة ، بمعنى آخر أنهم يتمتعون بدرجة عالية جدًا من القوة . وفى الدراسة التى أجراها مولتون وآخرون (١٩٦٦) .Moulton, et al أدرك البنون من طلاب الجامعة الذين أبدوا درجة مرتفعة من التفضيلات المرتبطة بالدور الجنسى الذكرى وذلك على الصورة المعدلة من مقياس الأنوثة الذى أعده جف Gough أن آباءهم كانوا يبدون درجة عالية من المودة والحب لهم كما كانوا هم المسيطرين على الأسرة .

ومن ناحية أخرى وجد برونفينبرينر (١٩٦١) Bronfenbrenner أن نمو القيادة أو الزعامة ، والمسئولية ، والنضج الاجتماعى لدى البنين المراهقين يرتبط تمامًا بالعلاقة بين الابن والأب والتى لا تتضمن الاهتمام بالأبناء فحسب ، بل تتضمن أيضًا مكونًا قويًا يتمثل فى قيام الأب بوضع الحدود لأبنائه . ويؤكد كل من رويتر وبيلر (١٩٧٣) Reuter & Biller أيضًا على أهمية تقييم كم وكيف السلوك الذى يصدر عن الأب حيث وجدا أن ضم المعدل المتوسط على الأقل لمدى تواجد الأب بالمنزل مع الاهتمام المتوسط - على الأقل - بالأبناء من جانب الأب يرتبط إيجابًا بالتوافق الشخصى للبنين من طلاب الجامعة .

وبوجه عام فإنه يمكن من خلال معرفة العلاقة الكلية للطفل بأبيه متضمنة مدى تواجد الأب بالمنزل availability واهتمامه بالأبناء ورعايته لهم وقيامه بوضع الحدود لهم وكفاءته ، وذكورته التنبؤ إلى درجة كبيرة بنمو الدور الجنسى للطفل ونمو شخصيته وذلك بشكل أفضل من الحصول على المعلومات التى تتعلق ببعد محدد واحد من علاقة الأب بابنه .

أنماط التفاعلات الأسرية :

أوضحت بعض الدراسات الشيقة التى تتميز بمنهجيتها الجيدة ملاحظات قيمة عن الأداء الأسرى فى مواقف مقننة لحل المشكلات ، فيرى ميشلر وواكسلر (١٩٦٨) Mishler & Waxler وسكوهام (١٩٧٠) Schuham إن اشتراك الأب بدرجة كبيرة فى اتخاذ القرارات غير شائع فى الأسر التى بها طفل مشكل أو مضطرب ، أما فى الأسر التى ليس لها أطفالاً مشكلين أو مضطربين فيصبح الأب هو الشخصية السائدة أو البارزة وتكون القرارات المتبادلة هى الشائعة .

ويوضح أولكاير (١٩٧٠) Alkire من خلال ملاحظاته المقننة لبعض الأسر أن الأب يكون عادة هو المسيطر أو المهيمن على الأسرة وذلك فى الأسر التى يكون بها مراهقون عاديون . ويرى ماكفيرسون (١٩٧٠) Mc Pherson أن التفاعلات داخل الأسر المضطربة تتسم بوجود العديد من الأنماط الفرعية للأبوة غير المناسبة حيث عدوانية الأب تجاه الطفل والأم والافتقار إلى المناقشات الصريحة والاتصال الواضح بين أعضاء الأسرة أو بين الأسر وبعضها البعض كان شائعًا بدرجة كبيرة . كذلك يرى

لايتون وآخرون (١٩٧١) Leighton, et al. أن السيطرة ذات الاحتمال الأكبر والتى تكون متقبلة فى الأسر ذوى الأطفال العاديين تكون من جانب الأب ، بينما تكون فى المقابل سيطرة الأم هى السائدة فى الأسر التى بها أطفال مضطربون .

ومن الجدير بالذكر أن العديد من المشكلات السيكوباثولوجية وخاصة بين البنين ترتبط بسيطرة الأم على الأسرة ومع ذلك يرى العديد من الباحثين أن الآباء الذين يتميزون بسيطرتهم على أسرهم يمكن أن يكون لهم تأثير سلبى على نمو أطفالهم تمامًا كالأم التى تسيطر على الأسرة . ويعطى الباحثون العديد من البيانات التى تربط التوكيد العفوى للقوة من جانب الأب وسيطرته الزائدة بسوء التوافق والمشكلات السيكوباثولوجية بين الأطفال (Biller, 1974c) .

وليس من الضرورى أن تكون درجة سيطرة أو هيمنة الزوج على الأسرة فى مقابل سيطرة أو هيمنة الزوجة عليها مؤشرا جيدًا لدرجة تجريد الأب من تلك السيطرة باستثناء الحالات المفرطة لسيطرة الأم . ومن ناحية أخرى فإن السيطرة المفرطة من جانب الأب تخمد نمو الاستقلال والكفاءة لدى الطفل ، وهو ما تؤدى إليه أيضًا السيطرة المفرطة من جانب الأم .

ويبدو أن النمو الصحيح للشخصية يتم رعايته فى الأسر التى يمثل فيها الأب بوضوح دورًا ذكريًا إيجابيًا وتقوم الأم بدور أنثوى إيجابى إذ توصل كايتون وبيلر (١٩٧١) Kayton & Biller من دراستهما لمجموعات متجانسة من البنين غير المضطربين قد أدركوا آباءهم على أنهم يسلكون أنماط السلوك المناسبة لجنسهم البيولوجى بدرجة أكبر مما أدركه آباؤهم على أنهم يتمتعون بسمات ذكرية وسيلية ، ورأى القليل من هؤلاء الأفراد وخصوصًا بين مجموعات الفصامين أن أمهاتهم تتمتعن بسمات أنثوية واضحة . ومن ناحية أخرى يتضح أن السلوك المضطرب اضطرابًا حادًا غالبًا ما يرتبط بالمشكلات والشذوذ فى نمو الدور الجنسى (Biller, 1973; Heilbrun, 1974) . وقد كشفت الدراسات الطولية التى أجرتها بلوك وآخرون (١٩٧٣) Block, et al. أيضًا عن تلك الارتباطات بين سلوك الأب والنمو اللاحق لشخصية الطفل . ومن المعلوم أن هؤلاء الباحثين قد قاموا بدراسة عينة من البنين الراشدين وأخرى من البنات الراشدات من تلك التى أجريت عليها دراسة بيركلى Berkeley الطولية . وتم تحديد الدور الجنسى

وأنماط التنشئة الاجتماعية لأفراد العينة من خلال درجاتهم على مقاييس الأنوثة والتنشئة الاجتماعية وذلك من مقياس كاليفورنيا النفسى Colifornia Psychological Inventory وتم فصل البنين والبنات فى ضوء أنماط التنشئة الاجتماعية والدور الجنسى .

هذا وقد تمت مقارنة سمات الشخصية للمجموعات المختلفة فى ضوء ما أسفر عنه تحليل البيانات التى تم جمعها من خلال المقابلات التى أجريت مع أفراد العينة . كما تم أيضًا إجراء المقارنة بينهم فى ضوء التقديرات التى تم الحصول عليها من خلال الملاحظة والمقابلات التى أجريت معهم وذلك فيما يتعلق بالخلفية الأسرية اعتمادًا على البيانات التى جمعت خلال مرحلة الطفولة ، ولذا فقد كانت هناك أحكام متعاصرة للقائم بالمقابلة اعتمادًا على الأحداث التى يسترجعها المفحوص عن بيئته المنزلية . ودلت النتائج على أن البنين ذوى الدرجة المرتفعة من الذكورة ومن أنماط التنشئة الاجتماعية قد أدركوا أنفسهم على أنهم واثقون من أنفسهم وأكفاء ومتفائلون ومفعمون بالعاطفة . وأوضحت نتائج تحليل خلفياتهم الأسرية أن آباءهم كانوا يقيمون علاقات منسجمة معهم ، كما كان الأب هو أهم شخص مؤثر فى نمو شخصياتهم . كذلك فإن آباءهم قد منحوهم الاستقلال ، وكانوا متقبلين من جانب أبنائهم . أما البنون الأقل فى درجة الذكورة وكانت درجاتهم فى الوقت ذاته مرتفعة فى أنماط التنشئة الاجتماعية فقد أدركوا أنفسهم على أنهم كان مسيطرًا عليهم بدرجة كبيرة ، وكانوا تقليديين ، وذوى ضمير حى ، كما أنهم لم يكونوا عدوانيين ، وكانوا ناجحين ، ومتحملين للمسئولية بدرجة كبيرة . وقد أدركوا آباءهم على أنهم نماذج على درجة كبيرة جدًا من الإيجابية وذلك فيما يتعلق بالنجاح والطموح والتوافق والعلاقات بين الشخصية. ويؤكد الباحثون على أن قدرة الآباء على تأجيل الإشباع والالتزام أو التعهد طويل المدى تبدو واضحة بدرجة كبيرة فى تلك المجموعة . كما كانت أمهات أفرادها على درجة كبيرة من الجمال والجاذبية وكانت العلاقة بين أمهاتهم وآبائهم يسودها الانسجام.

ومن جانب آخر اتسم البنون ذوو الدرجة المرتفعة فى الذكورة والدرجة المنخفضة فى أنماط التنشئة الاجتماعية بالذكورة المبالغ فيها وذلك بطريقة تعويضية ، وبدت عليهم مجموعة من السمات تتضمن الغرور والأنانية ونقص التحكم فى الدوافع والبواعث . وقد دلت البيانات المتعلقة بخلفياتهم الأسرية أن آباءهم كانوا يتسمون بالضعف والعصابية

والرفض . كما كانت العلاقة بين آبائهم وأمهاتهم سيئة جدًا ، وكانت أمهاتهم تبدو مستاءات وغير راضيات عن أزواجهن . وبوجه عام كان الآباء يمثلون نماذج سيئة للغاية .

كذلك فقد اتسم البنون ذوو الدرجة المنخفضة فى الذكورة والدرجة المنخفضة فى أنماط التنشئة الاجتماعية بالإذعان أو الخضوع ، والشك فى الذات ، وسرعة التأثر بالنقد أو الإغراء ، ونقد الآخرين كميكانيزم دفاعى . ولم يكن آباؤهم منغمسين فى حياة الأسرة ومع ذلك كانوا يسببون الصراعات داخلها . كما كانت أمهاتهم غير مناسبات كأمهات إذ كن يتصفن بأنهن عصابيات ، وتفتقدن إلى الطاقة والحيوية ، ورافضات لدورهن كأمهات . كما كانت هناك أدلة تؤكد أن كلا الوالدين وخصوصًا الآباء قد عانوا من صعوبات فى إقامة علاقات زواجية ناجحة .

وتؤكد هذه النتائج بطبيعة الحال على تعقد آثار التفاعلات الأسرية على نمو الطفل . ويبدو أننا نحتاج كما يرى بلسكى (١٩٨١) Belsky وبيدرسين (١٩٨٠) Pedersen إلى أن نقوم بدمج استراتيجيات البحث التى من شأنها أن تساعدنا على فهم ديناميات الأسرة والأثر المتبادل للعلاقات الزواجية ونمو الطفل .

العلاقات الجنسية :

تساعد العلاقة الإيجابية بين الأب وابنه فى شعور الابن بالكفاءة فى علاقاته وتفاعلاته مع الإناث . فالولد الذى يطور صورة ذكرية إيجابية للذات تصبح لديه ثقة أكبر فى العلاقات الجنسية الغيرية التى يقيمها . وهناك نتائج تم الحصول عليها من دراسات طولية تؤكد أن الولد الذى يطور شعورًا أو إحساسًا قويًا بالذكورة فى طفولته من المحتمل جدًا أن ينجح فى علاقاته الجنسية الغيرية التى يقيمها فى مرحلة الرشد (Biller, 1974c; Kagan & Moss, 1962) . كما أن هناك أدلة تؤكد على أن التوافق الزواجى للبنين يرتبط بعلاقتهم مع آبائهم والعلاقات الزواجية التى يقيمها هؤلاء الآباء (Biller, 1974c; Cross & Aron, 1971) . وتؤكد نتائج العديد من الدراسات أن الصعوبات التى يواجهها البنون فى تكوين علاقات ناجحة للجنسية الغيرية ترتبط بقيام الأم بتجريد الأب من سيطرته على الأسرة .

وتبدو العلاقة غير الملائمة بين الأب والابن عاملاً هامًا فى نمو الجنسية المثلية بين البنين . فيرى وست (١٩٦٧) West عند مراجعته للتراث السيكلوجى الذى يتعلق بالأحداث السابقة للجنسية المثلية بين البنين أن مثل هؤلاء البنين قد تعرضوا فى طفولتهم لأب غير مؤثر أو غائب عن الأسرة مما حدا بأمهاتهم أن تفرضن عليهم علاقات محكمة تمامًا وتعوقهم عن الحركة فأصبحوا ميالين إلى تطوير نمط سلوكى للجنسية المثلية . وتبدو مثل هذه العلاقة مع الأم أكثر شيوعًا فى الأسر التى لا ينغمس الأب نسبيًا فى حياتها ، وقد يؤدى بسبب عدد من العوامل المرتبطة بذلك إلى الإقلال من احتمال دخول الابن فى علاقات جنسية غيرية ذات معنى . ومن الشائع جدًا أن نجد أن البنين الذين يمارسون الجنسية المثلية قد قامت أمهاتهم فى طفولتهم بتثبيطهم من الاشتراك فى أنشطة ذكرية ، وغالبًا ما يكون قد تم تعزيز السلوك الأنثوى الذى كان ولا يزال يصدر عنهم (e.g. Bieber, et. al., 1962; Gundlach, 1969) .

ووجد كل من بايبر وآخرين (١٩٦٢) Bieber, et al. وإيفانز (١٩٦٩) Evans أن آباء البنين الذين يمارسون الجنسية المثلية قياسًا بآباء البنين الذين يمارسون الجنسية الغيرية كانوا يتصفون بالانحلال والعدوانية ، أما أمهاتهم فقد كن مرتبطات تمامًا بهؤلاء الأبناء وغير منغمسات نسبيًا مع أزواجهن . ويرى بينى (١٩٦٥) Bene أن العديد من البنين الجنسيين المثليين قد أدركوا آباءهم على أنهم ضعفاء ، كما كان هؤلاء الآباء عدوانيين تجاههم . وقد أظهرت العديد من الدراسات المشابهة ومن بينها تلك التى أجراها أبيرسون وماك آدو (١٩٦٨) Apperson & Mc Adoo وساجير وروبنز (١٩٧٣) Saghir & Robbins نمطًا لآباء البنين الذين يمارسون الجنسية المثلية يتسم بإقامة علاقات سلبية للغاية بين هؤلاء الآباء وأبنائهم خلال طفولة الأولاد .

ومن ناحية أخرى فقد أظهرت نتائج الدراسة التى أجراها طومسون وآخرون (١٩٧٣) Thompson, et al. عن الخلفية الأسرية والأنشطة التى مورست فى الطفولة من قبل مجموعة من طلاب الجامعة من البنين الذين يمارسون الجنسية المثلية أنه قد اتضح عند مقارنتهم بمجموعة ضابطة أن تفاعلهم مع آبائهم كان ضئيلاً للغاية ، وكانوا يفتقرون إلى القبول النسبى من جانب آبائهم وذلك خلال طفولتهم . كما أنهم قد أدركوا آباءهم على أنهم ضعفاء ، وعدوانيين ، ورافضين . وبوجه عام فقد كشف هؤلاء الباحثون

عن النمط التقليدى للبنين الجنسيين المثليين والذى يتسم بقيام الأم بتجريد الأب من سيطرته على الأسرة وإقامة علاقة قوية بين الأم والطفل ، إضافة إلى تجنيب الابن مبكرًا فى حياته من القيام بالأنشطة الذكرية .

ويقرر البنون الجنسيون المثليون وحتى أولئك الجنسيون الغيريون الذين تم تجنيبهم فى طفولتهم من القيام بالأنشطة الذكرية أن هناك فجوة كبيرة بينهم وبين آبائهم تمنعهم من القيام بالأنشطة الذكرية ، وأن هذه الفجوة توجد بينهم وبين آبائهم وبينهم وبين الرجال بوجه عام . ويبدو أن الفرق الجوهرى بين هؤلاء الجنسيين المثليين وأقرانهم الجنسيين الغيريين يكمن فى خبراتهم الجنسية خلال مرحلة المراهقة إذ قد تكون فرص العلاقات الجنسية الغيرية الإيجابية على سبيل المثال متاحة لبعض البنين ، فى حين يصف عدد من الجنسيين المثليين يفوق بكثير عدد الجنسيين الغيريين بأنهم كانوا ضعفاء يسهل انقيادهم نحو الإثم كما كانوا غير بارعين فى طفولتهم . وبالتالى نؤكد من جديد على أنه قد يكون هناك عوامل تكوينية تؤثر على نمو بعض حالات الجنسية المثلية . وتتفق بذلك النتائج التى تم الحصول عليها مع الفرض القائل بأن تجريد الأب من سيطرته الأسرية خلال المراحل المبكرة من عمر الابن يجعل ذلك الابن أكثر عرضة لتأثيرات معينة فى نموه اللاحق . ويتميز الشكل الخاص بالتوافق بالنسبة للابن الذى تم تجريد أبيه من سيطرته الأسرية بالتفاعل المعقد بين عدد من العوامل (Biller, 1974c) .

ويصف ستولر (١٩٦٨) Stoller تاريخ حالة عدد من البنين الذين شعروا بأنهم كانوا إناثًا فى الواقع ، فيرى أنهم كانوا يمثلون حالات متطرفة فيما يتعلق بعمومية أنوثتهم ، ولذا فهو يشير إليهم على أنهم مخنثين . كما كانت لهؤلاءالبنين علاقات مادية حميمة وغير عادية بأمهاتهم إذ كان التصاقهم بأجسام أمهاتهم خلال مرحلة المهد قويًا . وهناك دلائل تشير إلى أن هؤلاء الأمهات قد قمن بتعزيز العديد من أشكال السلوك الأنثوى لديهم . ولم يبد فى حالة أى منهم أن الأب كان يقوم بالدور الجنسى الذكرى أو كان منغمسًا فى حياة ابنه . ويؤكد ستولر Stoller أن النمو المضطرب للدور الجنسى لدى البنين يرتبط بوجود علاقة بينهم وبين أمهاتهم تتسم بالقوة وبأنها مقصورة عليهم نسبيًا دون غيرهم .

وتوصل جرين (١٩٧٤) Green من دراسته للبنين الذين يمثلون حالات أنثوية متطرفة ، ويتمنون لو أنهم كانوا إناثًا فى الواقع ، ويفضلون ارتداء ملابس الإناث إلى وجود معدل مرتفع من حالات تجريد الأب من سلطته الأسرية فى وقت مبكر من حياة هؤلاء البنين . ويرى أن هؤلاء الأولاد قد قاموا بالتوحد مع أمهاتهم بدرجة قوية ، وكانوا إناثًا فى توجهاتهم للدور الجنسى ، وتفضيلاتهم المرتبطة بالأدوار الجنسية ، وفى تبنيهم للدور الجنسى . وقد أظهروا بوجه عام أنماطًا سلوكية مخنثة . ومن الجدير بالذكر أنه كان من بين أفراد العينة التى أجرى عليها دراسته والتى يبلغ عدد أفرادها ثمانية وثلاثين ولدًا كان من بينهم ثلاثة عشر ولدًا غاب عنهم آباؤهم قبل بلوغهم الرابعة من أعمارهم ، أما باقى أفراد العينة فكان آباؤهم موجودين بينهم ولكن علاقتهم بهم بدت محدودة للغاية ومتنافرة . وفى المقابل كانت الأم متعلقة بهم بشكل مفرط ، ولم يكن من السهل على الأمهات أن يدركن وجود انحراف فى سلوك أبنائهن . وعلى الرغم من انزعاج العديد من آباء هؤلاء الأولاد من استمرارهم فى السلوك بطريقة أنثوية عندما كانوا فى الرابعة أو الخامسة من أعمارهم فقد تساهلوا معهم بل إنهم قاموا بشكل غير مباشر بتعزيز السلوك الأنثوى الصادر عن أولادهم خلال تلك المرحلة من حياتهم . وتؤكد تلك النتائج على أن هؤلاء الآباء يختلفون كثيرًا عن غالبية الآباء الذين يبدون القلق وعدم الارتياح عندما يقوم أولادهم وخصوصًا الذكور منهم بأنماط سلوكية لا تتفق مع الدور الجنسى المتوقع منهم فى ضوء الثقافة التى ينتمون إليها (Biller, 1971) .

وتعتبر تلك الدراسة التى أجراها جرين Green على درجة كبيرة من الأهمية وذلك لأنه حاول تتبع التفاعلات المعقدة لمختلف العوامل فى نمو البنين مفرطى الأنوثة . كما ناقش كيف تقوم التفاعلات بين الأخوة وجماعة الرفاق ، بالإضافة إلى سلوك الأب فى بعض الحالات بتعزيز سلوك الدور الجنسى غير الملائم . وربما يعتبر أهم جزء فى دراسته هذه هو تناوله للأساليب التى يمكن بها لسمات شخصية الطفل أن تؤثر فى سلوك الأب . فعلى سبيل المثال يزداد تجريد الأب من سيطرته الأسرية فى بعض الحالات نظرًا لكراهية الولد الصغير للمشاركة فى الأنشطة الذكرية وعجزه الواضح عن الارتباط بأبيه .

ومن المهم جدًا أن نؤكد على أن الاستعدادات التكوينية بالإضافة إلى التأثير المباشر للأب غالبًا ما تلعب دورًا فى تطوير الأطفال لأنماط السلوك المختثة ، فالبنون الذين يصبحون مختثين غالبًا ما يكونون على درجة كبيرة من الجمال ، ويتميزون بالرقة ورشاقة القوام ، ويشبهون أمهاتهم فى مظهرهم الخارجى بدرجة أكبر مما يشبهون آباءهم . وليس معنى ذلك أن العوامل البيولوجية هى التى تجعل هؤلاء الأطفال مختثين ، ولكن الاستعدادات التكوينية قد تزيد من احتمال قيام بعض الأطفال بتطوير أنماط سلوك أنثوية . وتتأثر توقعات الآباء كثيرًا بمظهر أطفالهم وأنماط سلوكهم (Bell & Harper, 1977) . وعلاوة على ذلك فهناك بعض الحالات التى يكون للعوامل البيولوجية فيها كشذوذ الجينات مثلاً أثر مباشر على نمو الخنوثة أو بعض أشكال أخرى لنمو الدور الجنسى غير السوى (Green, 1974; Money & Ehrhardt, 1972) .

النمو الأنثوى :

لسوء الحظ ساهمت المفاهيم السلبية للسلوك الأنثوى فى تشويه ما تمت صياغته نظريًا حول علاقة الأب بابنته . وفى مقدمة تلك الأطر النظرية تأتى نظرية فرويد Freud عن التوحد بالنسبة للبنات ، ويركز فرويد من خلالها على عقدة أوديب إذ عندما تكتشف البنت عدم وجود قضيب لها كأخيها ، فإنها تلقى اللوم بالتالى على أمها ، وتلجأ إلى أبيها كمحاولة انتقامية من أمها . وبسبب رغبتها فى أن تحل محل أمها فإنها تصبح خائفة من أن تعانى من رفض أمها لها . وفى محاولة منها لتفادى الخوف من فقد الحب فإنها تتوحد مع أمها. ومع ذلك فطبقًا لوجهة نظر فرويد فإن الخوف من فقد الحب لا يكون بنفس قوة الخوف من الخصاء ، وبالتالى لا يكون توحدها مع أمها بالشكل الذى يكفيها لتحل عقدة أوديب بشكل كامل (Fenichel, 1945) .

وتصف دويتش (١٩٤٤) Deutsch وجهة النظر التقليدية للتحليل النفسى فى مناقشتها لمفهوم فرويد عن عملية النمو الأنثوى . وطبقًا لما تراه دويتش فإن الأب يلعب دورًا هامًا فى جعل ابنته تتبنى أسلوبًا سلبيًا مثيرًا جنسيًا فى تفاعلها مع الذكور . ويغمرها بالحب والرقة حينما تأخذ الدور السلبى فى سلوكها ، وتكون فى حاجة إلى المساعدة ، وتتصرف بطريقة أنثوية يميزها الإغراء فى الوقت الذى يقوم فيه بكف وإثباط دفعاتها الذكرية العدوانية التى قد تصدر عنها .

وتركز ليونارد (١٩٦٦) Leonard على أهمية قيام البنت بحل عقدة أوديب بنجاح ، فترى أنها تكون فى حاجة إلى إقامة علاقة غير جنسية بموضوع ما وذلك مع أبيها لكى تصبح قادرة فيما بعد على تقبل دورها الأنثوى دون أن تشعر بالذنب أو القلق ، وأن تمنح الحب لشاب فى جماعة الرفاق الخاصة بها . وتعتبر الأبوة الناجحة مطلبًا أو شرطًا أساسيًا لتخطى البنت هذا الطور من النمو النفس جنسى بنجاح . وبدون مشاركة الأب فإن البنت قد تجعل من أبيها مثلاً أعلى ، ثم تبحث فيما بعد وذلك خلال مرحلة المراهقة عن موضوع للحب شبيه بهذا المثل الأعلى أو تبقى على الاتجاه النرجسى قبل الأوديبى . وتصف ليونارد مثل هذه الفتاة المراهقة بأنها غير قادرة على أن تمنح الحب ، ولكنها بدلاً من ذلك تبحث عن الإشباع النرجسى فى أن تصبح محبوبة . ومن هنا ترى ليونارد أن الأب الذى يتجاهل أو يرفض ابنته قد يساهم فى أن تظل تلك الابنة فى المرحلة القضيبية من النمو والتى تتوحد خلالها مع الذكور لأن البنت بهذه الطريقة تأمل فى أن تحصل على الحب من كلا الوالدين ، فتحصل على حب أمها لأنها تشبه أباها الذى تحبه أمها ، وتحصل على حب أبيها لأنها تشبهه حينما كان طفلاً أو لأنها أصبحت بمثابة الولد الذى كان يتمناه .

ويؤكد بعض علماء التحليل النفسى أن نمو الدور الجنسى يبدأ قبل المرحلة الأوديبية ، ويشيرون فى ذلك إلى ظهور الأنماط السلوكية الأنثوية لدى البنت فى الثانية أو الثالثة من عمرها (e.g. Machtlinger, 1976) . وفى الواقع يؤكد كليمان (١٩٧١ - أ،ب) Kleeman وجرين (١٩٧٤) Green على أن ديناميات العلاقة بين الأب وابنته يمكن أن تثير أو تعطل النمو الأنثوى للبنت حتى خلال العام الأول من عمرها .

أما العلماء من أصحاب نظريات التعلم أمثال ماورار (١٩٥٠) Mowrer وسيرز (١٩٥٧) Sears فيؤكدون على أهمية قيام الأب بإثابة ابنته على أنماط سلوكها التى تتناسب مع جنسها البيولوجى . وفى نفس الوقت يفترضون أن البنت تصبح معتمدة بشدة على والديها فى رعايتها والاهتمام بها ، وتتعلم أن تأتى بتلك الأنماط السلوكية التى يثيبها عليها والدها . ولا يولى أصحاب نظريات التعلم بوجه عام أهمية خاصة لعلاقة الأب بابنته ، ومع ذلك فعند الوصول إلى حد قدرة الأب على إثابة البنت على أنماط سلوكية معينة يمكن القول بأن الأب يصبح له أثر فعال على نمو شخصية ابنته . ويعتبر تعزيز الأب لمحاولات ابنته محاكاة سلوك أمها ، وموافقة الأب عامة على سلوكيات الأم أمرًا على درجة كبيرة وخاصة من الأهمية فى هذا الصدد .

ويؤكد بارسونز (١٩٥٥، ١٩٥٨) Parsons على دور الأب فى النمو الأنثوى . ويرى أن للأم مع ذلك أثرًا كبيرًا على نمو شخصية البنت بوجه عام ، إلا أن أهمية دورها لا تصل إلى أهمية دور الأب فى ممارسة البنت لدورها الجنسى ، فالأم لا تغير دورها كدالة لجنس الطفل كما يفعل الأب إذ يعتبر الأب هو الناقل الرئيسى لمفاهيم الذكورة والأنوثة التى تقوم على أساس ثقافى . وفى الوقت ذاته تؤكد جونسون (١٩٦٣) Johnson على وجود علاقة أولية صريحة وتعبيرية بين الأم وأولادها من الجنسين ، فى حين يقوم الأب بإثابة البنين والبنات بشكل مختلف فيشجع السلوك الوسيلى لدى الولد ويشجع السلوك التعبيرى الصريح لدى البنت . ومن المتوقع بناء على ذلك إذا ما أخذنا سلوك الأب تجاه ابنته كمثال أن تؤدى مداعبته لها وتدليلها إلى إثارة العاطفة والطاعة لديها .

وهناك اتجاه واضح فى التراث السيكلوجى يتم تعريف الأنوثة فى ضوئه فى إطار سلبى وعلى أنها عكس الذكورة ، ومن هنا يكون التركيز على السلبية والاعتمادية (Biller, 1971) . وغالبًا ما ترتبط الأنوثة التقليدية سلبًا بالتوافق كما يرى باردويك (١٩٧١) Bardwick وجونسون (١٩٦٣) Johnson . ونظرًا لأن محور اهتمامنا هنا ينصب على الأساليب التى يستطيع الأب بموجبها أن يقوم برعاية نمو الدور الجنسى للبنت يصبح من المناسب أن نقوم بتحليل عناصر الأنوثة التى ترتبط بالتوافق النفسى بدلاً من تلك التى ترتبط بسوء التوافق . ومن الأفضل أن نعرف السلوك الأنثوى فى إطار إيجابى بدلاً من ذلك الإطار السلبى السائد إذ يمكن للأنوثة على سبيل المثال فيما يتعلق بالتفاعل الاجتماعى أن ترتبط بالمهارة فى التواصل بين الشخصى ، والتعبيرية ، والدفء ، والحساسية لحاجات الآخرين (Biller, 1971; Biller & Weiss, 1970) .

وطبقًا للتعريف الحالى تقوم الأنوثة على شعور إيجابى بكون البنت أنثى . كما تقوم أيضًا على تنميط خاص للسلوك بين الشخصى . وسواء كانت المرأة تقوم بعملها فى المنزل أو اختارت لنفسها مهنة معينة فإن ذلك لن يستخدم على أنه المحك الأساسى فى تقييم أنوثتها . ومن الجدير بالذكر أن السيدات اللائى تتسمن بسمات أنثوية إيجابية وأخرى ذكرية إيجابية أيضًا ، ويتميزن بتوجهات متحررة للدور الجنسى يصبح بمقدورهن توظيف ذلك من أجل أن تصبح تلك الطاقة الكامنة لديهن حقيقة واقعة ، أما السيدات اللائى يفتخرن بأنوثتهن وتتسمن بالاعتمادية والتوكيدية ، إضافة إلى الحساسية

والاهتمام بالأطفال ورعايتهم يصبح من المحتمل بالنسبة لهن أن تحققن الإبداع فى سلوكهن بين الشخصى كما يرى بيلر (١٩٧١، ١٩٧٤ - ج) Biller وبيلر وميريديث (١٩٧٤) Biller & Meredith .

تمايز سلوك الأب :

يتأثر النمو الأنثوى للبنت إلى درجة كبيرة بالكيفية التى يختلف بها الدور الذكرى للأب عن دورها الأنثوى ، وبأى أنماط السلوك هى التى يعتبرها الأب أكثر مناسبة لابنته . فوجد مسن وروزارفورد (١٩٦٣) Mussen & Rutherford أن آباء البنات اللائى تتسمن بدرجة مرتفعة من الأنوثة يقومون بتشجيع بناتهم على الإتيان بالأنماط السلوكية المنمطة جنسيًا وذلك بدرجة أكبر من آباء البنات اللائى تتسمن بدرجة منخفضة من الأنوثة . ويريان أيضًا أن الآباء ذوى الأدوار الجنسية الذكرية الذين يشجعون بناتهم على أن تتصفن بالأنوثة سيكلوجيًا ويستحسنوا ذلك فيهن يثيرون نمو الدور الجنسى ويسهلونه لدى هؤلاء البنات . ووجد سيرز وآخرون (١٩٦٥) Sears, et al. فى دراستهم على أطفال الحضانة علاقة دالة بين الأنوثة السيكلوجية للبنات وبين توقعات آبائهن عن مشاركتهن فى أنشطة أنثوية .

وفى دراسة تمحيصية للأحداث الأسرية السابقة لسلوك الدور الجنسى يرى هيلبرون (١٩٦٥ - ب) Heilbrun أن الآباء يصبحون أكثر براعة من الأمهات فى التمييز بين أولادهم وبناتهم . ويؤكد على استطاعة الآباء بدرجة تفوق الأمهات على الاستجابة التعبيرية لهم وذلك بشكل وسيلى ، وأن الآباء أيضًا يغيرون بانتظام من دورهم الجنسى عندما يتعاملون مع أبنائهم من البنين والبنات . ويرى أيضًا أن البنات اللائى أدركن أنفسهن على أنهن إناث والأولاد الذين أدركوا أنفسهم على أنهم ذكور من المحتمل أن يدركوا آباءهم على أنهم ذكور سيكلوجيًا .

وتدعم نتائج دراسة جود إنف (١٩٥٧) Goodenough الرأى القائل بأن أثر الآباء على نمو الدور الجنسى لأطفالهم يفوق أثر الأمهات إذ وجدت من خلال تركيزها على أثر الأب فى تحديد الاهتمامات الاجتماعية لأطفال الحضانة أن اهتمام الأب بالفروق بين الجنسين يفوق اهتمام الأم ، وبالتالى يظهر الأب أثرًا أكبر فى التنميط الجنسى بوجه عام ،

فيقوم على سبيل المثال بتشجيع البنت على أن تطور مهارات التفاعل الاجتماعى . وقد لاحظ أبيرل ونايجل (١٩٥٢) Aberle & Naegele أيضًا وجود إصرار من جانب الأب على التمييز بين الأدوار الجنسية للأطفال من الجنسين إذ يريان أن التفاعل بين الأب والطفل يعتبر دالة لجنس الطفل إضافة إلى جنس الوالد أيضًا .

ومن ناحية أخرى يرى لانجلويس وداونز (١٩٨٠) Langlois & Downs أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء أن يقوموا بشكل ثابت بإثابة أبنائهم من البنين والبنات على قيام كل منهم باللعب بالألعاب التى تخص جنسه البيولوجى ، بالإضافة إلى عقابهم على قيامهم بالألعاب التى تستخدم للجنس المغاير لكل منهما وذلك بشكل يفوق ما تفعله الأمهات . وفى تلك الدراسة التجريبية التى أجرياها على أطفال الروضة أبدى الآباء بوجه عام ضغوطًا بشكل أكثر ثباتًا وصراحة أو بشكل غير واضح تتعلق بأنماط السلوك المنمطة جنسيًا والتى تصدر عن أبنائهم أثناء اللعب وذلك بشكل يفوق الأمهات والأقران كل على حدة . وكما يريان فإن الدراسات السابقة التى تتناول العلاقة بين الأب والطفل كما يتم ملاحظتها بشكل مباشر لم تقدم دليلاً قاطعًا على اختلاف الوالدين فى موقفيهما تجاه الأنماط السلوكية المنمطة جنسيًا والتى تصدر عن أطفالهما من الجنسين (e.g. Fagot, 1978; Tauber, 1979)

وحتى مع الأطفال فى مرحلة المهد يبدو الآباء أكثر تأثرًا بجنس الطفل من الأمهات فيميلون إلى اللعب مع البنين أكثر من البنات خصوصًا بعد عيد ميلادهم الأول (Lamb, 1977) . وبينما يسود بينهم العناق الرقيق للبنات ، تسود الأنشطة الخشنة والعنيفة مع البنين (Biller, 1974c; Lamb, 1976) . وتدل بعض البيانات والنتائج على أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء أن يتقبلوا الابن الذى يتمرد على القواعد والقيود العادية فى حين يميلون إلى عدم تقبل الأمر برمته من البنت التى تأتى بأنماط سلوكية مشابهة (Rendina & Dickerchield, 1976) . كما أن هناك أدلة أخرى تؤكد أنه من الأكثر احتمالاً أيضًا بالنسبة للآباء أن يبدو الرأفة والشفقة مع أبنائهم البنين الذين يتميزون بالنشاط الزائد أثناء المرحلة الابتدائية وما قبلها وذلك أكثر مما يبدونه مع بناتهم اللائى تتسمن بنشاطهن الزائد (Buss, 1981) .

وفى مقابلاته التى أجراها مع آباء الأولاد والبنات للتعرف على مفاهيمهم تجاه دور الأب يوضح تاسك (١٩٥٢، ١٩٥٥) Tasch أن سلوك الأب يتمايز طبقًا لجنس الطفل ، ففى حين كان يصف هؤلاء الآباء بناتهم على أنهن أكثر رقة وحساسية من البنين ، كانوا يستخدمون العقاب البدنى مع البنين أكثر مما يستخدمونه مع البنات ، وكانوا يميلون بالتالى إلى تعريف المهام التى يتطلبها عمل المنزل فى حدود ملاءمتها لجنس الطفل ، فكانوا يتوقعون من بناتهم على سبيل المثال أن يقمن بغسيل الملابس وكيها والعناية بأخوتهن الأطفال خلال وجود الوالدين خارج المنزل لفترة قصيرة ، فى حين كانوا يتوقعون من البنين أن يقوموا بإخراج أكياس القمامة من المنزل ، ومساعدة آبائهم فى الأنشطة التى تتطلب القوة الجسدية والمهارة الميكانيكية . ومع ذلك فغالبًا ما يظهر الآباء أنماط سلوكية صارمة تتعلق بالدور الجنسى ، وفى غمرة حماسهم لتأنيث بناتهم سيكلوجيًا يقومون بصفة مستمرة بتثبيط نمو القوة الجسدية والكفاءة العقلية لديهن (Biller & Meredith, 1974) .

كذلك ترى هيذرنجتون وكوكس وكوكس (١٩٧٨) Hetherington, Cox & Cox أن الأب فى الأسرة العادية التى لا يغيب عنها يلعب دورًا هامًا فى نمو الأنوثة لدى بناته الصغار وذلك أكثر من الأم إذ وجدن على سبيل المثال أن آباء البنات الصغيرات اللائى يتراوح عمرهن الزمنى بين أربع إلى ست سنوات ، ويتميزن بأنوثتهن المفرطة كانوا يتميزون هم أنفسهم بالذكورة المرتفعة فى تفضيلاتهم المرتبطة بالدور الجنسى ، وكانوا يحبون النساء ، ويقومون بتعزيز أنماط السلوك الأنثوية لدى بناتهم . كما كانوا مع ذلك مقيدين لهن ومسيطرين عليهن إلى حد ما . وعلى النقيض من ذلك لم يكن من بين المتغيرات المتعلقة بالأم ما يرتبط بأنوثة البنت سوى الدفء الذى تقدمه لها ، أما المتغيرات الأخرى فلم يبد أن لها أى تأثير مباشر على التنميط الجنسى للبنات .

ومن الجدير بالذكر أن البنات اللائى تبدين الخنوثة فى سلوكهن المنمط جنسيًا يتأثرن بسلوك كلا الوالدين ، وفى حين يغمرهن آباؤهن بالدفء ، وتتصف آراؤهم تجاه الإناث بالإيجابية ، ويشجعونهن دومًا على الاستقلال والإنجاز ، يكون من المحتمل بالنسبة لأمهاتهن أن تكن من النساء العاملات ، وأن يقمن بتشجيعهن أيضًا على الاستقلال . ويعتبر تشجيع الأب للبنت على الاستقلال والإنجاز مع قلة التقييد الصارم لها من جانبه ذات أهمية خاصة بالنسبة لها كى تطور الكفاءة العقلية والقوة الجسدية (Biller, 1974c; Biller & Mededith, 1974) .

وعلى الرغم من ذلك لا يكون الطفل متلقيًا سلبيًا للتأثيرات الأسرية والتأثيرات الاجتماعية الثقافية إذ كما أوضحنا سابقًا فى هذا الفصل تلعب الاستعدادات التكوينية للطفل دورًا هامًا جدًا فى التأثير على أنماط التفاعل بينه وبين الأب ، وبينه وبين البيئة . فعلى سبيل المثال نجد أن البنت الصغيرة التى تتسم بالحساسية المزاجية للتفاعلات الاجتماعية والتى تتسم أيضًا بالجاذبية قد تجعل من السهل على أبيها أن يشجعها على تحقيق النمو الإيجابى لأنوثتها . وإذا كان وجه البنت وقوامها يشبهان الأم التى تعتبر على درجة عالية من الأنوثة يصبح من المحتمل بالنسبة للأب أن يعامل هذه البنت كأنثى . أما البنت التى تتسم بالبدانة وعدم الجاذبية فقد يدركها الأب على أنها ليست أنثى ، كما قد يبدى الأب الرفض لابنته إذا لم تكن متلائمة مع مفهومه عن الخصائص الجسمية للأنثى . وإذا لم يكن لذلك الأب ولد وكانت ابنته تتسم بالنشاط والقوة والتعاون فإنه قد يميل إلى أن يعاملها كما لو كانت ولدًا (Biller, 1971, 1974c) .

التوافق الشخصى والاجتماعى :

عندما لا يكون الأب منغمسًا فى حياة الأسرة يصبح من المحتمل أن تواجه ابنته عدة مشاكل فى نمو دورها الجنسى وفى نمو شخصيتها إذ يرى هوفمان (١٩٦١) Hoffman أن البنات اللائى تنحدرن من أسر تسيطر عليها الأم تواجهن مشاكل ترتبط بالذكور وبالتالى يصبحن مكروهات من البنين . ومع ذلك لم تتوصل هيذرنجتون (١٩٦٥) Hetherington إلى دليل قاطع فيما يتعلق بالارتباط بين سيطرة الأب على الأسرة وممارسة البنت لدورها الجنسى الأنثوى على الرغم من إنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للبنات اللائى يسيطر آباؤهن على الأسرة أن تحاكين آباءهن ، وأن يكن أكثر شبهًا بهم من البنات اللائى تسيطر أمهاتهن على الأسرة . هذا فى الوقت الذى يرى فيه آخرون أن سيطرة الأب على الأسرة تعتبر أقل تأثيرًا على البنات منها على البنين (Biller, 1969b; Hetherington & Frankie, 1967) .

وتؤكد الدراسات التى قمنا بإجرائها أنه تتم إثارة النمو الأنثوى إذا كانت الأم تقوم بالسيطرة على المصادر الأسرية المختلفة التى تؤثر عليه (Biller, 1969b) . كما أن البنات فى سن الروضة قد أدركن آباءهن على أنهم أكثر قوة وكفاءة ، وأنهم يقومون باتخاذ القرارات التى تتعلق بالأسرة ، فى حين أدركت هؤلاء البنات كلا الوالدين على أنهما

متشابهان فى قيامهما برعايتهن والاهتمام بهن . ومع ذلك فقد وجدنا هناك إحدى المجموعات الفرعية حصلت البنات فيها على درجات منخفضة فى الأنوثة ، وأدركن أمهاتهن على أنهن تتخذن القرارات بدرجة أكبر ويقمن بوضع الحدود لهن ، إلا أنهن مع ذلك لم يكن يقمن برعايتهن والاهتمام بهن ، كما لم يكن قويات أو تتسمن بالكفاءة . ويبدو فى جميع الحالات أن المستوى المتوسط على الأقل من قيام الأب باتخاذ القرارات التى تتعلق بالأسرة يعتبر مهمًا للنمو الأنثوى للبنات .

ويرى زونج وبيلر (١٩٧٢) Zung & Biller أن السيطرة القوية للأم على الأسرة تعوق نمو الشخصية لكل من البنين والبنات على حد سواء . كما لوحظ أيضًا أن سيطرة الأم بدرجة كبيرة وإقحام نفسها فى ذلك يرتبط بصراع الدور الجنسى والقلق بين تلميذات المرحلة الابتدائية إذ وجد هذان الباحثان أن سيطرة الأب على الأسرة بالنسبة لهؤلاء البنات لم تصل إلى المستوى المتوسط مما أفسح المجال للأم كى تقوم هى بذلك ولكن فى سياق عام من انغماسه فى حياة الأسرة .

ويرى فيش وبيلر (١٩٧٣) Fish & Biller أن الأب يلعب دورًا هامًا فى التوافق الشخصى للبنات وذلك إثر قيامهما بتقييم إدراك طالبات الجامعة للعلاقة التى ربطت بينهن وبين آبائهن خلال طفولتهن وذلك من خلال استبيان عن الخلفية الأسرية قامت هؤلاء البنات بملأ بياناته . كما حصلت البنات اللائى أدركن آباءهن على أنهم كثيرو الاهتمام بهن والرعاية لهن ، واللائى أظهرن اهتمامًا إيجابيًا بآبائهن على درجات مرتفعة على مقياس قائمة السمات الخاصة بالتوافق الشخصى Adjective Check List Personal Adjusment Scale. وفى المقابل حصلت البنات اللائى أدركن آباءهن على أنهم يتسمون بالرفض لهن على درجات منخفضة على مقياس التوافق الشخصى . كما أوضحت النتائج التى توصلت إليها دراسات أخرى وجود أثر كبير للمشاركة الإيجابية من جانب الأب لابنته على توافقها بين الشخصى (e.g. Baumrind & Black, 1967; Torgoff & Dreyer, 1961) .

وتؤكد التحليلات التى أجرتها بلوك (١٩٧١) Block للبنات والتى اشتقتها من دراسة بيركلى الطولية على أهمية كلا النوعين من العلاقات ، تلك التى تنشأ بين الأب وابنته ، وتلك التى تنشأ بين الأب والأم على نوعية وظائف الشخصية لدى البنت . فعلى

سبيل المثال يتضح أن النساء اللائى كن حسنات التوافق وهن راشدات قد نمين وترعرعن فى أسر يشارك فيها الوالدان معًا بإيجابية فى حياة أفرادها ، وكانت أمهاتهن تتسمن بالود والمحبة والجاذبية وسعة الحيلة ، أما آباؤهن فكانوا يتسمون بدفء العواطف والكفاءة والحسم . بينما كانت تنحدر مجموعة ثانية من النساء حسنات التوافق نسبيًا من أسر تتصف فيها الأم بالذكاء والمقدرة والطموح فى حين كان آباؤهن سلبيين على الرغم من كونهم يتسمون بدفء العواطف . وفى المقابل كان من المحتمل بالنسبة للنساء سيئات التوافق أن يكون قد تمت تنشئتهن فى أسر لم يظهر أى من الوالدين فيها أو كلاهما القدر المناسب من الأبوة أو الأمومة الجيدة ، ومع ذلك فقد أظهرت هؤلاء السيدات العديد من أساليب التوافق الشخصى . كذلك فمن المحتمل بالنسبة لهؤلاء السيدات أن تكن منحدرات من أسر تقل فيها فرص إقامة علاقات إيجابية بين الأب والأم .

ومن ناحية أخرى فإن الدراسة التى أجرتها بلوك وآخرون (١٩٧٣) Block, et al. تساهم أيضًا فى توضيح تعقد الارتباطات بين السلوك الوالدى والأداء اللاحق لوظائف الشخصية من جانب الأبناء حيث تمت دراسة مجموعات من الأفراد يختلفون فيما بينهم فى درجات الأنوثة وأساليب التنشئة الاجتماعية وذلك على مقياس كاليفورنيا النفسى . فكانت النساء اللائى حصلن على درجات مرتفعة فى الأنوثة وعلى درجات مرتفعة فى أساليب التنشئة الاجتماعية يتصفن بأنهن يقمن بالتلاءم بشكل جيد مع الدور المتوقع من الإناث وذلك بحسب الثقافة التى ينتمين إليها ، ولذا كن يتصفن بأنهن محافظات ، وتقليديات ، واعتماديات ، ومطيعات ، ومع ذلك لم تكن تلك الصورة التى رسمت لهن تتسم بالهدوء التام حيث كان يلاحظ الباحثون دومًا أثناء إجرائهم للمقابلات مع أفراد العينة شدة الحساسية والحيرة والتردد وعدم الرضا الشخصى باديًا عليهن . ويبدو أن هؤلاء النسوة ينحدرن من بيئات تحتل الأسرة فيها مركزًا محوريًا ، وأنهن تقمن بالتالى علاقات حميمة ودافئة عاطفيًا مع أمهاتهن ، وأن هذه العلاقات مع أمهاتهن تقوم على أساس من المشاركة . كما كانت تقوم أمهاتهن بتمثيل التوافق الإيجابى لهن من خلال الدور الأنثوى التقليدى . أما فيما يتعلق بالأب فلم يحدد أفراد هذه المجموعة أى صورة واضحة له . ونود أن نقرر هنا أن الأب السلبى نسبيًا الذى يقوم بتعزيز السلوك الأنثوى النمطى أو التقليدى الذى تأتى به بناته يساهم بطبيعة الحال فى استمرار هذا السلوك العلنى المطابق.

وعلى الجانب الآخر فقد أظهرت النساء ذوات الدرجات المرتفعة فى الأنوثة والدرجات المنخفضة فى أساليب التنشئة الاجتماعية تشابهًا كبيرًا مع البنين مرتفعى الذكورة من ذوى الدرجات المنخفضة فى أساليب التنشئة الاجتماعية إذ كن نرجسيات وكن يبحثن عن اللذة والسعادة . كما كن غير قادرات على إقامة علاقات زواجية مستقرة مثل أمهاتهن حيث كانت أمهاتهن مثالاً للأمومة غير الملائمة أو الجيدة ، وكن تتصفن بالرفض على الرغم من أنهن قد أقمن علاقات قوية مع أزواجهن ، ولكن مظهرن - أى الأمهات - كإناث كان يدل على الإغراء والإغواء . ولذا من الممكن أن يكون ذلك قد ألقى بظلاله على النساء المكونات لهذه المجموعة فجعلهن تقمن علاقات جنسية قبل الزواج . ونود أن نؤكد هنا على أن مظهر البنات قد يؤثر تأثيرًا قويًا على والديهن ، فالبنت التى تكون على درجة كبيرة من الجاذبية على سبيل المثال يمكن أن تثير قلق الأم المتزعزعة على نفسها ، كما أنها فى الوقت ذاته قد تزيد من احتمال قيام الأب بالسلوك الإغرائى ، ويجب ألا يفهم من ذلك أن الأب قد يوجه سلوكه الإغرائى هذا إلى ابنته التى تبدو جذابة وعلى درجة كبيرة من الجمال ، ولكن هذا لا يمنع من قيامه على مسمع منها بالتغزل فيها .

وفى ذات الوقت كان مظهر النساء ذوات الدرجة المنخفضة فى الأنوثة والدرجة المرتفعة فى أساليب التنشئة الاجتماعية يتسم بالهدوء والاسترخاء ، والاتزان ، والانبساط . كما كن بوجه عام أفضل المجموعات توافقًا . وقد تم إدراكهن على أنهن محافظات أما آباؤهن فقد كانوا يتسمون بالدفء العاطفى والقبول ، فى حين كانت تبدى أمهاتهن توجهًا نحو العقلانية والإنجاز الشخصى والتفوق العقلى .

أما أولئك اللائى حصلن على درجات منخفضة فى الأنوثة ودرجات منخفضة فى أساليب التنشئة الاجتماعية فقد بدين توكيديات وناقدات ومتمردات . وكن يشبهن قريناتهن اللائى حصلن على درجات مرتفة فى الأنوثة ودرجات منخفضة فى أساليب التنشئة الاجتماعية فى أنهن كن تبدو تعيسات فى حياتهن ، إلا أنهن قد عبرن عن عدم سعادتهن بطريقة مختلفة تمامًا . كما كن مصرات على استقلالهن ، وكن يتصفن بالحسم ، وبالمقدرة أو الكفاءة بطريقة عدوانية . ومن المؤكد أن هؤلاء النسوة ينحدرن من خلفيات أسرية غير ملائمة ويسودها الصراع ، فقد كانت أمهاتهن عصابيات ، وشديدات

الحساسية ، وغير سعيدات ، وليس لديهن الكفاءة المطلوبة لإقامة علاقات بين شخصية جيدة . أما آباؤهن فكانوا شديدى الاندفاع والنشاط ، وكان لديهم توجه نحو المركز أو المكانة ، ولم ينغمسوا فى حياة أسرهم ، كما كانوا أكثر ميلاً إلى رفض بناتهم .

ومن الجدير بالذكر أن أفضل مجموعات النساء وأكثرها توافقًا فى الدراسة الطولية التى أجرتها بلوك وآخرون (١٩٧٣) .Block, et al كن منحدرات من أسر ينغمس فيها كلا الوالدين بإيجابية فى حياة أفرادها . وكان آباؤهم يتصفون بالدفء العاطفى والتقبل ، أما أمهاتهن فكن يتصفن بتوجههن نحو العقلانية ، والإنجاز الشخصى ، والتفوق العقلى . ومن ناحية أخرى فقد ظهرت مجموعة من الأنماط الأسرية المعقدة بين النساء الأقل توافقًا ، إلا أنه كان واضحًا أن القليل منهن فقط كانت تتسم خلفياتهن الأسرية بعلاقات منسجمة بين كل من الأب والأم ، وبوجود أب ينغمس بإيجابية فى حياة أفراد أسرته .

وعند مقارنة البنات اللائى يغيب عنهن آباؤهن مع قريناتهن اللائى يتواجد آباؤهن معهن اتضح أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهن أن تواجههن مشكلات مختلفة فى علاقاتهن مع الذكور وفى تكوين علاقات جنسية غيرية إيجابية طويلة المدى (e.g. Biller, 1974c, Hetherington, 1972) . وقد تمت مراجعة البيانات والنتائج التى تتعلق بالعلاقات الاجتماعية والجنسية للبنات اللائى تنحدرن من أسر يغيب عنها الأب من قبل فى هذا الكتاب .

العلاقات الزواجية والجنسية :

تفضل نساء كثيرات أن تعمل بمهنة معينة بدلاً من أن تتزوج وذلك بسبب عدد من العوامل التى تبدو واقعية من وجهة نظرهن ومن بينها تحقيق الذات والحاجة الاقتصادية . وقد يكون السبب فى بعض الأحيان هو الخوف من الزواج . وغالبًا ما تعانى المرأة التى تعمل ولم تتزوج من صراع الدور الجنسى (Levin, 1966) . ويرى روشنج (١٩٦٤) Rushing أن البنات المراهقات اللائى كن يقمن علاقات طيبة ومشبعة من آبائهن كان من الأقل احتمالاً بالنسبة لهن أن يعطين الأولوية لمهنة ما على الزواج وذلك عند مقارنتهن بقريناتهن اللائى لم يقمن مثل تلك العلاقات مع آبائهن إذ عندما تتعرض البنت للإحباط المستمر فى علاقاتها مع أبيها فمن المحتمل أن تطور اتجاهًا سلبيًا نحو الزواج ونحو إقامة

علاقات حميمة مع الرجال . ويؤكد وايت (١٩٥٩) White عند مقارنته لمفهوم الذات والخلفية الأسرية لدى النساء اللائى يتركز اهتمامهن على الزواج وتربية الأطفال وأولئك اللائى يتركز اهتمامهن على العمل بمهنة ما أن العديد من النساء اللائى تبدين اهتمامًا بالزواج قد أقمن علاقات حميمة مع كلا الوالدين ، كما كان مفهومهن للذات إيجابيًا ، فى حين كان العديد من النساء اللائى تبدين اهتمامًا بالعمل دون الزواج تنحدرن من أسر قد مات عنها الأب أو من أسر تسود فيها علاقات ليست طيبة بين الأب وابنته .

وبطبيعة الحال فإن عدم تضمن مثل هذه الدراسات لمجموعة من النساء تبدين اهتمامًا بالاثنين معًا ، أى بالعمل وبالزواج وتربية الأطفال يعتبر نقطة ضعف ووجه من أوجه القصور فيها . ومن الأكثر احتمالاً بالنسبة لأولئك النسوة اللائى تستطعن أن تتابعن ميولهن المهنية وأن تطورن من قدراتهن العقلية ، بالإضافة إلى قدرتهن على أن تصبحن زوجات وأمهات ناجحات أن ينحدرن من أسر تتميز بانغماس كلا الوالدين بإيجابية فى حياة أطفالها ومشاركتهما لهم .

وتوضح نتائج الدراسة التى أجرتها لوزوف (١٩٧٤) Lozoff على عينة من أفراد الشريحة العليا من الطبقة المتوسطة أن العلاقة بين الأب وابنته تعتبر متغيرًا جوهريًا فى نمو النساء الناجحات فى كل من علاقتهن الجنسية الغيرية ومحاولاتهن المهنية الخلاقة . ويتميز آباء هؤلاء النسوة بالذكاء المرتفع ، والثقة بالنفس ، والحيوية ، والتوجه نحو الإنجاز الشخصى . كما أنهم يعاملونهن بكثير من الاحترام ، ويقدرون أنوثتهن ، ولكنهن فى نفس الوقت يشجعونهن ويتوقعون منهن أن يطورن قدراتهن دون أى انتهاك لأنماط الدور الجنسى المتوقع منهن . أضف إلى ذلك أن العلاقة بين آبائهن وأمهاتهن تتميز بدرجة عالية من الاتزان والانسجام ، وأن هؤلاء النسوة قد استطعن أن يتوحدن بإيجابية مع كلا الوالدين وأن يطورن توجهًا مناسبًا للدور الجنسى الأنثوى . وتوضح بيانات ونتائج أخرى أن النساء اللائى استطعن أن يحققن النجاح فى مختلف محاولاتهن المهنية والعقلية من المحتمل جدًا بالنسبة لهن أن يكنَّ قد أقمن علاقات قوية مع أبنائهن الذين تقبلوا أنوثتهن ولكن توقعوا منهن أن يتميزن بالمثابرة والمقدرة أو الكفاءة (Biller, 1974c) .

وكانت المجموعة الثانية من النساء اللائى وصفتهن لوزوف Lozoff تتميزن بالاستقلالية ، إلا أنهن كن تعانين بدرجة كبيرة من الصراع الشخصى ، وكان آباؤهن يتسمون بالتحفظ أى عدم إبداء الاهتمام أو العطف ، وبالنزعة إلى الكمال ، والترتيب أو النظام الذاتى . وكانت لديهم توقعات كبيرة لبناتهم ، إلا أنهم لم يقدموا المساندة الانفعالية الكافية لهن لتطوير ثقة ثابتة بأنفسهن . أما النسوة اللائى كن تشكلن المجموعة الثالثة فكن يتصفن بالانخفاض الشديد فى درجة الاستقلالية ، وكانت أسرهن تتمتع بمستوى اقتصادى مرتفع وكانت تعمل على توفير المواقف الأسرية اللازمة لتنميطهن جنسيًا ، وكان الأب لا يشجع بناته على التفوق العقلى إلا قليلاً مع ترك أمر تنشئتهن اجتماعيًا بصفة أساسية إلى الزوجة .

وترى بلوك وآخرون (١٩٧٣) .Block, et al أنه من الصعب على البنت أن تحصل على المساندة الأسرية اللازمة لتصبح راشدة تقترب من الكمال وتتصف بالكفاءة والثقة بالنفس . ومن المذهل أن نسبة قليلة فقط من الآباء هم الذين يميلون إلى الانغماس فى حياة بناتهم ومشاركتهن وتشجيعهن على تطوير مفهوم أنثوى إيجابى للذات ، وتطوير الكفاءة أو المقدرة الوسيلية . وترتبط العديد من المشاكل التى عرضنا لها بالتنميط الجنسى الصارم والتعريف أو التحديد السالب للسلوك الأنثوى ، إلا أن المرونة المتزايدة فى الأدوار الجنسية سوف تؤدى بالتدريج إلى زيادة عدد النسوة اللائى يصبح لديهن مفهوم ذات أنثوى إيجابى ، إضافة إلى مدى متسع من القدرات ومهنة تؤديها بنجاح (Biller & Meredith, 1974) .

وهناك بيانات ونتائج أخرى تكشف عن الآثار بعيدة المدى التى يمكن أن تحدثها علاقة الأب بابنته على توافقها الزواجى عندما تكبر وتتزوج ، فتوضح ونش (١٩٤٩، ١٩٥٠) Winch أن طالبات الجامعة اللائى كانت لهن علاقات رومانسية كانت علاقاتهن بآبائهن أوثق من علاقة زميلاتهن اللائى لم تكن لهن مثل هذه العلاقات . ويرى لوكى (١٩٦٠) Luckey أن النساء اللائى كن راضيات عن زواجهن قد أدركن أزواجهن على أنهم أكثر شبهًا بآبائهن وذلك بشكل يفوق أولئك اللائى كن غير راضيات عن زواجهن إذ أن قدرة البنت على إقامة علاقات زواجية ناجحة تزداد حينما تخبر علاقة تتسم بالدفء العاطفى والمودة مع أب يشجعها على النمو الأنثوى الإيجابى .

كما أننا وجدنا أيضًا فى دراستنا التى أجريناها على بعض الطالبات حينما كنا نقوم بإعداد استبيان بهذا الخصوص علاقة قوية بين نوعية العلاقات المدركة من جانب هؤلاء الطالبات مع آبائهن خلال طفولتهن وبين توافقهن الزواجى . كما كان يسود الطلاق والانفصال والزواج التعيس بين أولئك اللائى كان يغيب عنهن آباؤهن أو كانت علاقاتهن بهم سيئة (Biller, 1974c) .

ومن ناحية أخرى يرى فيشر (١٩٧٣) Fisher أن الحرمان من الأب فى الطفولة المبكرة يرتبط بندرة الإشباع الجنسى بين النساء المتزوجات وذلك عند دراسته هو ومعاونوه للمشاعر الجنسية والخيال الجنسى لدى ثلاثمائة من السيدات المتزوجات اللائى تنتمين إلى الطبقة المتوسطة واللائى كن جميعًا من خريجات الجامعة اللائى تزوجن فى أوائل أو منتصف العشرينات من أعمارهن بأزواج من خريجى الجامعة أيضًا . وباستخدام أساليب متعددة للتقييم والقياس شملت المقابلات والاستبيانات والأساليب الإسقاطية ، وبتطبيق تلك الأدوات على أفراد العينة ، كانت النتائج التى تم التوصل إليها تتفق مع نتائج الدراسات الأخرى التى تتناول أثر الأب بوجه عام على النمو الجنسى للبنات .

ومن الجدير بالذكر أن هناك نتائج تؤكد على أن النساء ذوات الدرجة المنخفضة من الإشباع الجنسى خلال عمليات الاتصال الجنسى كن تفتقرن إلى العلاقات الحميمة مع آبائهن . وهناك من الأدلة ما يؤكد على غياب آبائهن عن المنزل أو انفصالهم المستمر عن الأسرة خلال طفولة هؤلاء النسوة مما جعلهن تنشغلن بالخوف من فقد السيطرة وذلك بدرجة أكبر من قريناتهن ذوات الدرجة المرتفعة من الإشباع الجنسى خلال عمليات الاتصال الجنسى ، كما كان هذا الأمر يرتبط بافتقارهن إلى الأمن والثقة فى آبائهن خلال طفولتهن .

وتشير بيانات ونتائج أخرى إلى أنه كلما كانت المرأة أقل قدرة على الوصول إلى حالة الإشباع الجنسى خلال عمليات الاتصال الجنسى كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة لها أن تدرك أباها على أنه كان يعاملها بأسلوب يتصف بالبعد عنها وعدم التدخل فى شئونها ، فكان لا ينغمس معها فى حياتها ولا يشاركها فيها ، ولم تكن لديه توقعات محددة لها أو قواعد محددة تسير فى ضوئها . أضف إلى ذلك أنه كان دائم الغياب عنها خلال طفولتها سواء كان هذا الغياب بدنيًا أو سيكلوجيًا . وفى المقابل كلما كانت المرأة تصل إلى

حالة الإشباع الجنسى خلال عمليات الاتصال الجنسى كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة لها أن تدرك أباها على أنه كانت لديه توقعات محددة لها واهتمام بها . ومن هنا يؤكد فيشر Fisher على أن للأب دورًا أهم من الأم فى نمو قدرة البنت على الوصول - عندما تتزوج - إلى الإشباع الجنسى خلال عمليات الاتصال الجنسى .

أما الأبوة غير الجيدة على الجانب الآخر فتعتبر عاملاً أساسيًا فى نمو الجنسية المثلية بين الإناث (السحاق) ، إضافة إلى كونها تؤدى بطبيعة الحال نفس الدور بالنسبة للذكور . فيرى بينى (١٩٦٥) Bene أن البنات اللائى تمارسن الجنسية المثلية أى السحاقيات تشعرن بأن آباءهن كانوا ضعفاء وغير أكفاء كآباء . كما تعتبرن أكثر عدوانية تجاه آبائهن وأكثر خوفًا منهم وذلك عند مقارنتهن بقريناتهن اللائى لا تمارسن الجنسية المثلية أو ممن تمارسن الجنسية الغيرية أى من غير السحاقيات . واكتشف كاى وآخرون (١٩٦٧) Kaye, et al. عند استخدامهم للتحليل النفسى فى تحليل خلفيات عينة من السحاقيات أن آباءهن مقارنة بآباء مجموعة ضابطة من غير السحاقيات كانوا متزمتين واستغلاليين ، وكانوا مصدر خوف لهن ، إضافة إلى أنهم كانوا يتصفون بحبهم للملكية ، كما كانوا طفوليين فى تصرفاتهم أى يتصرفون كالأطفال . ويؤكد هؤلاء الباحثون أيضًا أن مثل هؤلاء النسوة السحاقيات قد ارتبطن مبكرًا فى حياتهن برفض الأنوثة . وقد وصفت النساء السحاقيات آباءهن فى دراسة أخرى بأنهم كانوا أقل انغماسًا فى حياتهن ومشاركة لهن ، وكانوا أقل مودة لهن من آباء النساء غير السحاقيات (Gundlach & Reiss, 1968) .

وبوجه عام فقد قامت السحاقيات Lesbians بتصوير آبائهن على أنهم كانوا يتعاملون معهن كالغرباء إذ يؤكد باحثون آخرون على أن النساء اللائى تشعرن بالرفض وبالتقليل من قيمتهن من جانب آبائهن يكون من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهن أن تصبحن سحاقيات وذلك بشكل يفوق قريناتهن اللائى تربطهن بآبائهن علاقات يسودها الدفء العاطفى إضافة إلى تقبل هؤلاء الآباء لهن (West, 1967) .

ويرى طومسون وآخرون (١٩٧٣) Thompson, et al. أن السحاقيات من طالبات الجامعة ترين أنهن كن أقل تقبلاً من جانب آبائهن خلال طفولتهن . كما أدركن آباءهن أيضًا على أنهم كانوا منعزلين عنهن ، وضعفاء ، وعدوانيين تجاههن . وبصفة عامة فإن نتائج الدراسات المتاحة تؤكد على أن الأبوة غير الجيدة تمثل عاملاً له أهميته فى نمو

الجنسية المثلية بين الإناث (السحاق) Lesbianism وذلك بشكل يفوق أثر الأمومة غير الجيدة . كذلك فهناك تشابه بين ما يقرره البنون والبنات ممن يمارسون الجنسية المثلية على وجود علاقة سالبة بينهم وبين آبائهم عندما كان هؤلاء البنون والبنات أطفالاً .

وتعمل الأبوة غير الجيدة على جعل الطفل أكثر حساسية للمشكلات التى تواجهه فى دوره الجنسى وفى نموه الجنسى ، إلا أنها فى النهاية لا تمثل سوى واحدًا فقط من العوامل التى تحدد نوعية توافق الفرد . وهناك مظاهر أسرية أخرى إضافة إلى الخلفية الاجتماعية الثقافية والتكوينية للطفل يجب أن توضع فى الاعتبار إذا ما أردنا أن نصل إلى فهم أفضل لأثر العلاقة التى تنشأ بين كل من الأب والطفل على عملية نمو الدور الجنسى لذلك الطفل .

ولا يؤيد جرين (١٩٧٨) Green فكرة أن الآباء المخنثين أو حتى الأمهات المخنثات أو الآباء والأمهات الذين يمارسون الجنسية المثلية يقوم أطفالهم باتخاذ سلوكهم نموذج لهم . فالطفل الذى يتصف أحد والديه مثلاً بالجنسية المثلية لا يحتمل بالضرورة أن يصبح مثله أى يمارس الجنسية المثلية هو الآخر . ومع ذلك فقد أوضحت البيانات المستقاة من الدراسات الطولية أن الأطفال الذين يتصف آباؤهم بالجنسية المثلية يصبح من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهم وذلك بدرجة أكبر من الأطفال الذين لا يتصف آباؤهم بالشئ نفسه أن تواجههم مشكلات معينة فى أدوارهم الجنسية وفى ممارساتهم الجنسية أيضًا .

وعلى أى حال فمن الجدير بالذكر أن معظم الجنسيين المثليين ينحدرون فى الواقع من آباء وأمهات لا يتصفون بذلك . كما أن الميول الجنسية والممارسات الجنسية لوالديهم فى حد ذاتها لا تبدو بالنسبة لنمو الدور الجنسى للطفل بنفس أهمية نوعية العلاقة بين الوالدين ، والعلاقة بين كل منهما وبين الطفل .

ملخص :

توضح نتائج الدراسات الحديثة مدى الحاجة إلى تعديل الآراء التقليدية التى ترى أن الطفل عادة ما يتعلق فى الأساس بأمه وذلك على وجه الحصر ، أما الأب فلا يصبح له دور هام فى عملية التنشئة الاجتماعية إلا بعد أن يتجاوز الطفل مرحلة المهد . وتبدو الأهمية الجلية للمنظور متعدد الأبعاد فى هذا الصدد وذلك لفهم الأساليب التى يؤثر بها كل من سلوك الأب ، إضافة إلى عوامل أسرية ، وتكوينية ، واجتماعية ثقافية أخرى على عملية نمو الدور الجنسى للطفل .

ومن المهم أن نؤكد على أن دور الأب فى نمو الدور الجنسى للطفل قد لا يرتبط بشكل مباشر بفهم الفروق الفردية فى مختلف جوانب ذكورة الأطفال أو أنوثتهم فى حد ذاتها فحسب ، بل يرتبط أيضًا بتحليل الأبعاد العديدة للأداء المعرفى ، والانفعالى ، والاجتماعى . فتأثير الأب على توجه الدور الجنسى للطفل ، وعلى تفضيلاته المرتبطة بالأدوار الجنسية ، وعلى تبنى الطفل لدور جنسى معين على سبيل المثال قد يؤثر على إدراك ذلك الطفل ولدًا كان أم بنتًا لمختلف أنماط المهام المعرفية والمواقف الاجتماعية . وبالتالى تصبح ممارسة الدور الجنسى بمثابة متغيرًا وسيطًا بالنسبة لسلوك الفرد فى العديد من التفاعلات الاجتماعية والبيئية المختلفة مما يجعل دور الأب كممثل للواقع الاجتماعى وكحكم على مدى ملاءمة سلوك الطفل لجنسه البيولوجى ، إضافة إلى كونه رفيقًا للطفل وزميل لعب له يمكن أن يكون له آثار بعيدة المدى على نمو الطفل .

كذلك فهناك بيانات تؤكد على أن مدى ذكورة الأب ومدى اهتمامه برعاية الأطفال Nurturance وقيامه بوضح الحدود لهم تعتبر عوامل هامة فى عملية نمو الذكورة عند أطفاله البنين . ومع ذلك فلو أخذنا أيًا من هذه العوامل بمعزل عن غيره من العوامل فسوف نجد أنه لن يكون كافيًا لضمان أن الولد سوف يصبح ذكرًا من الناحية السيكلوجية . فقد يكون للولد أب يتصف بالذكورة ولكنه - أى الأب - لا ينغمس فى حياة أفراد أسرته ولا يشاركهم فيها . وقد يكون أيضًا مهتمًا برعاية أبنائه ولكنه مع ذلك قد لا يكون نموذجًا مؤثرًا جدًا أو يتسم بالكفاءة . ومن جانب آخر قد يتصف الأب بدرجة عالية من الذكورة ويقوم بوضع الحدود لأبنائه ولكن لا تربطه بابنه علاقة تتسم بالود والمحبة .

وتمثل العلاقة الدافئة مع أب يثق هو نفسه فى ذكورته عاملاً مهمًا فى نمو ذكورة الابن . وبوجه عام فإن البنين الذين يتصف آباؤهم بأنهم عقابيين ، أو رافضين لهم ، أو سلبيين وغير فعالين تكون أدوارهم الجنسية أقل ملاءمة لجنسهم البيولوجى من أقرانهم الذين يتصف آباؤهم بالاهتمام بهم ورعايتهم والذين يتصفون أيضًا إلى جانب ذلك بأنهم يلعبون دورًا هامًا وحاسمًا فى التفاعلات الأسرية .

كذلك فإن الآباء يقومون بشكل أكثر من الأمهات بتغيير سلوكهم كدالة لجنس الطفل، ويلعب الأب أيضًا دورًا هامًا وذا دلالة فى تشجيع ابنته على تحقيق النمو الأنثوى، فتقبله لابنته وتشجيعه لها على تحقيق الأنوثة الإيجابية يسهل من نمو مفهومها لذاتها ويدعمه، إلا أن النظرة الصارمة والسلبية للأنوثة من جانبه تعوق النمو الجنسى والاجتماعى لابنته.

ومن جانب آخر يعمل تفاعل البنت مع أب يتسم بالذكورة والكفاءة على توفير الخبرات الأساسية لها التى يمكن أن تعممها فى علاقتها مع الآخرين من الذكور. ويصبح من الأكثر احتمالاً بالنسبة للبنات اللائى تربطهن بآبائهن علاقة إيجابية أن تحصلن على الإشباع فى علاقاتهن الجنسية الغيرية عندما تكبرن وتتزوجن، كما يصبح من الأكثر احتمالاً أيضًا بالنسبة لهن أن يحققن السعادة فى علاقاتهن الجنسية والاجتماعية إضافة إلى توافقهن المهنى مع مهنة ما. وإذا ما أردنا أن نصل إلى فهم دقيق للدور الذى تلعبه علاقة الأب بطفله على نمو الطفل يصبح لزامًا علينا أن نضع فى اعتبارنا مظاهر أخرى للأداء الأسرى، وخلفية الطفل التكوينية والاجتماعية الثقافية. كما تلعب علاقة الأب بالأم أيضًا دورًا هامًا فى نمو شخصية الطفل. أما الصراعات الزواجية المستمرة والعلاقة غير الجيدة بين الأب والأم فتشوه من رؤية الطفل للعلاقات الجنسية الغيرية بدرجة كبيرة. فقد تتعلم البنت على سبيل المثال أنماطًا غير مشبعة أو مرضية فى تفاعلها مع الذكور، أو قد تتجنب إقامة علاقات حميمة معهم. أما إذا كان يسود بين الأب والأم احترام وتقدير متبادل لبعضهما البعض، ويحصل كل منهما على الإشباع اللازم من الطرف الآخر يصبح الطفل قادرًا بدرجة أفضل على أن يتعلم مهارات التفاعل بين الشخصى الفعالة.

ويعتبر الوضع الأمثل بالنسبة للطفل هو ذلك الوضع الذى يتمثل فى وجود أب وأم ينغمسان فى حياته ويشاركانه فيها حيث يتعرض الطفل فى هذه الحالة لقدر أكبر من السمات التكيفية، ويصبح من المحتمل بالنسبة له أن يطور مفهومًا إيجابيًا للذات، وأن يتوافق مع جنسه البيولوجى، فيشعر بالزهو لكونه ولدًا أو تشعر بذلك لكونها بنتًا، كما يشعر بالفخر أيضًا من توجهه للدور الجنسى مما يساعده على تحقيق التوافق مع نفسه ومع جنسه فيصبح بالتالى قادرًا على تحقيق المرونة النسبية فى اهتماماته واستجابته للآخرين. كما أن الثقة فى تطور الدور الجنسى توفر للطفل فرصًا أكثر تساعد على نمو دوره الجنسى

بطريقة واقعية . وفى المقابل يصبح من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأطفال الذين يحرمون من آبائهم أن يقوموا بأحد أمرين ؛ إما أن يأخذوا وضعًا دفاعيًا يتميز بالتمسك الصارم بالمعايير الثقافية للدور الجنسى ، أو أن يتجنبوا القيام بأنماط السلوك المتوقعة منهم استنادًا إلى جنسهم البيولوجى .

وربما يمثل أكثر العوامل أهمية وحسمًا بالنسبة للطفل فى الأسر العادية أو المتماسكة intact وهى تلك الأسر التى لا يغيب عنها الأب فى ذلك الأثر الواضح لنموذج العلاقة بين الأب والأم حيث يكون لنوعية التفاعل والاحترام والتعاون فيما بينهما أثر قوى على نمو مفاهيم الطفل عن العلاقة بين الذكور والإناث وما يجب أن تكون عليه وما تتسم به ، وكذلك على نوعية الأداء المتعلق بدوره الجنسى .

وإذا ما أردنا أن نفهم تأثير الأب على الطفل بشكل أفضل فإن علينا أن نضع فى اعتبارنا تلك النوعيات النسبية للآباء والأمهات فى مواجهة بعضهم البعض ، وعلينا أيضًا أن نتمسك بكلية الأداء بين الأب والأم كما يبدو للطفل . أما إذا ما حاولنا دراسة العلاقة بين الأب والطفل فى غير مواقف التفاعل فإن ذلك لن يعطينا سوى رؤية مشوهة عن أثر أساليب الأبوة المختلفة على نمو شخصية الطفل . وعلاوة على ذلك فإنه يجب علينا أن نضع أيضًا فى اعتبارنا أثر العلاقات الدينامية المختلفة والأبعاد الأخرى للأداء الأسرى ، وهو الأمر الذى يرتبط بذلك التساؤل التالى : **كيف ترتبط نوعية العلاقة بين الأب والأم والعلاقة بين الأب والطفل بالتغيرات التى تنتاب العلاقة بين الأم والطفل ؟** ، وبطبيعة الحال يعتبر من المهم بالنسبة لنا فى هذا الصدد أن نقوم بتحليل العلاقات بين الأب والأم والطفل والأخوة أى ما يمكن أن ينشأ بينهم وبين بعضهم البعض من علاقات إذ يتأثر الأطفال على سبيل المثال بإدراكهم لاختلاف المعاملة الوالدية لإخوانهم وأخواتهم وهو ما يعتبر مثالاً واحدًا فقط لذلك .

ومن الجدير بالذكر أن عدم استقلالية مصادر البيانات فى معظم الدراسات التى تمت مناقشتها فى هذا الفصل تمثل نقطة ضعف فيها إذ تم فى غالبية هذه الدراسات تقييم كل من العلاقة بين الأب والطفل ، والدور الجنسى للابن أو البنت من خلال استجابات الطفل . وتم فى دراسات أخرى جمع البيانات عن علاقة الأب بالطفل من خلال التقارير التى أوردتها الأمهات ، فى حين كان من الضرورى فى الواقع أن يتم اشتمال الأب فى تقييم البيانات .

ومن ناحية أخرى يتضح لنا أنه إذا ما أردنا أن نفهم أثر الأب على نمو الطفل بشكل أفضل فيجب أن تكون هناك ملاحظة مباشرة لذلك التفاعل الذى ينشأ بين كل من الأب والأم والطفل . وبصفة خاصة يجب أن يضع الباحثون خصائص الطفل فى اعتبارهم وذلك عند تحليلهم للتفاعل الأسرى وأداء الدور الجنسى ، وتشمل تلك الخصائص مظهره ومزاجه ومستواه المعرفى . وإذا ما تم تناول أثر الأشكال المختلفة لاتحاد بعض العوامل معًا فى مراحل مختلفة من حياة الطفل وذلك فى دراسات طولية فإن هذا الأمر سوف يساعدنا كثيرًا فى فهم نمو الدور الجنسى للطفل ونمو شخصيته .

* * *

obeikandl.com

مراجع الفصل السابع

Abrele. D. F. , & Naegele, F. D. (1952). Middle-class father's occupational role and attitude toward children. American Journal of Orthopsychiatry. 22, 366-378.

Alkire, A. A. (1969). Social power and communication within families of disturbed and no disturbed preadolescents. Journal of Personality and Social Psychology, 13, 335-349.

Altucher, N. (1957). Conflict in sex identification in boys. Unpublished doctoral dissertation, University of Michigan.

Apperson, L. B., & McAdoo, W.G. Jr. (1968). Parental factors in the childhood of homosexuals. Journal of Abnormal Psychology, 73, 201-206.

Bandura A. (1969). Principles of behavior modification. New York : Holt, Rinehart, & Winston.

Bandura, A. , & Walters, R. H. (1959). Adolescent aggression : A study of the influence of child-rearing practices and family interrelationships. New York: Ronald Press.

Bardwick J. M. (1971). Psychology of women. New York: Harper and Row.

Barry, W. A. (1970). Marriage research and conflict : An integrative review. Psychological Bulletin, 73, 41-55.

Baumrind, D. (1967). Child rearing practices anteceding three patterns of preschool behavior. Genetic Psychology Monographs, 78, 43-88.

Baumrind, D., & Black A. E. (1967). Socialization practices associated with dimensions of competence in preschool boys and girls. Child Development, 38, 291-327.

Bell, R. Q., & Harper, L. V (1977). Child effects on adults. Hillsdale. N. J. : Erlbaum.

Belsky. J. (1981). Early human experiences A family perspective Developmental Psychology. 17. 3-23.

Hem, S. L. (1979). Theory and measurement of androgyny : A reply to the Pedhazur Tetenbaum and Locksley-Colton critiques Journal of Personality and Social Psychology, 37,1047-1054.

Bene, E. (1965). On the genesis of female homosexuality. British Journal of Psychaitry, 3, 815-821.

Benson., L. (1968). Fatherhood: A sociological perspective. New York : Random Hosue.

Bieber, I., et a1. (1962). Homosexuality: A psychoanalytic study. New York: Basic Books.

Biller, H. B. (1968a). A multiaspect investigation of masculine development in kindergarten boys. Genetic Psychology Monographs. 1, 87-94.

Biller, H. B. (1969a). Father dominance and sexrole development in kindergarten-age boys. Developmental Psychbology, 1, 87-94.

Biller, H. B. (1969b). Maternal salience and feminine development in young girls. Proceedings of the 77the Annual Convention of the American Psychological Association, 4, 259-260.

Biller H. B. (1971). Father, child and sex role. Lexington, Mass. : Heath.

Biller, H. B. (1973). Sex role uncertainty and psychopathology. Journal of Individual Psychology, 29,24-25.

Biller, H. B. (1974). Paternal and sex role factors in cognitive and academic functioning. In J. K. Cole, & R. Dienstbier (Eds.), Nebraska Symposium on Motivation, 1973, Lincoln: University of Nebraska Press.

Biller, H. B. (1974). Paternal deprivation, cognitive ftmctioning and the feminized classroom. In A. Davids (Ed.) , Child personality and psychopathology : Current Topics. vol I. New York: Wiley.

Biller, H. B. (1974c). Paternal deprivation, Lexington, Mass. : Heath.

Biller, H. B. (1976a). The fahter - child relationship: some crucial issues In V. Vaughn, & B. Braselton (Eds.), The Family - Can it be saved? Year book Medical Publishers. pp. 69-76.

Biller, H. B. (1976). The father and personality development: Paternal deprivation and sex role development. In M. E. Lamb (ed.)., The role of the father in child development New York: Wiley.

Biller, H. B. (1977). Sex role learning : Some comments and complexities from a multidimensional perspective. In S. Cohen, & T. 1. Comiskey (Eds.) Child development: A study of growth processes. Ithaca, III. : Peacock.

Biller, H. B. (1980). Discussion of methodologic problems in research on psycho-sexual differentiation. In R. Green, & J. Weiner (Eds.) Methodology in Sex Research. Rock Ville, Md: NIMH.

Biller, H. B. & Barry, W. (1971). Sex-role patterns, paternal similarity and personality adjustment in College males. Developmental Psychology, 4, 107.

Biller, H. B., & Borstelmann, L. J. (1967). Masculine development: An integrative review. Merrill-Palmer Quarterly, 13, 253-294.

Biller, H. B. & Liebman, D. A. (1971). Body build sex-role preference, and sex-role adoption in junior high school boys. Journal of Genetic Psychology, 118, 81-86.

Biller, H. B., & Meredith, D. L. (1972). The invisible American father. Sexual Behavior, 2 (7), 16-22.

Biller, H. B., & Meredith, D. L. (1974). Father power. New York: David McKay.

Biller. H.. S., & Poey, K. (1969). An exploratory comparison of sex-role related behavior in schizophrenics and no schizophrenics. Developmental Psychology. 1. 629.

Biller, H. B., & Weiss. S. (1970). The father-daughter relationship and the personality development of the female. Journal of Genetic Psychology, 114, 79-93.

Biller, H. B., & Zung, B. (1972). Perceived maternal control, anxiety, and opposite sex role preference among elementary school girls. Journal of Psychology, 81,85-88.

Block, J. (1971). Lives through time Berkeley: Bancroft Books.

Block, J. Von der Lippe, A., & Block, J. H. (1973). Sex role and socializat.ion : Some personality concomitants and environmental antecedents. Journal of Consulting and Clincial Psychology, 41, 321-341.

Bronfenbrenner, U. (1958). The study of identification through interpersonal perception. In R. Tagiuri & L. Petrullo (Eds.), Peron perception and interersonal ,behavior. Stanford : Stanford University Press.

Bronfenbrenner, U. (1960). Freudian theories of identification and their derivatives. Child Development, 31, 15-40.

Bronfenbrenner, U. (1961). Some familial antecedents of responsibility and leadership in adolescents. In L. Petrullo & B. M. Bass (Eds:) Leadership and interpersonal beavhior. New York : Holt, Rinehart, & Winston.

Bronson, W. C. (1959). Dimensions of ego and infantile identification. Journal of Personality. 27, 532-545.

Burton. R. V.. &. Whitng, .J. W. M. (1961). The absent father and cross-sex Identity. Merrill-palmer Quarterly. 7, 85-95.

Buss. D. M. (1981). Predicting parent-child interactions from children's activity level. Developmental Psychology, 17,59-65.

Chang, J.. & Block 1. (1960). A study of identification in male homosexuals. Journal of Consulting Psychology, 24, 307-310.

Coopersmith, S. (1967). The antecedents of slef-esteem. San Francisco : Freeman.

Distler, L. S. (1964). Patterns of parental identification : An examination of three theories. Unpublished doctoral dissertation, University of California, Berkeley.

Eron, L. D., Walder, L. 0., Toigo, R., & Lefkowitz, M. M. (1963). Social class, parental punishment for aggression, and child aggression. Child Development, 34, 849-867.

Evans, R. B. (1969). Childhood parental relationships of homosexual men. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 33, 129-135.

Fagot, B. 1. (1974). Sex differences in toddlers' and parental reactions. Developmental Psychology, 10, 554-558.

Fagto, B. 1. (1979). The influence of sex of child on parental reactions to toddler chidren. Child Development, 49,459-465.

Fenichel, O. (1945). The psychoanalytic theory of neurosis. New York: Norton.

Ferreira, A. J., Winter, W. D., & Poindexter. E. J. (1966). Some interactional variables in normal and abnormal families. Family Process, 5, 60-75.

Fish, K. D., & Biller, H. B. (1973). Perceived childhood paternal relationships and college females' personal Adjustment. dolescence, 8,415-420.

Fisher. S. F. (1973). The female orgasm : Psychology, physiology, fantasy. New York: Basic Books.

Freedheim, D, K., & Borstelmann. L. J. (1963). An investigation of masculinity and parental role-patterns. American Psychologist, 15, 339 (Abstract).

Gassner S., & Murray. L J. (1969). Dominance and conflict in the interactions between parents of normal and neurotic children. Journal of Abnormal Psychology, 74. 33-41.

Goodenough, E. W. (1957). Interest in persons as an aspect of sex differences in the early years. Genetic Psychology Monographs, 55, 287-323.

Gray, S. W. (1959). Perceived similarity to parents and adjustment. Child Development, 30, 91-107.

Green. R. (1974). Sexual idenity conflict in children and adults. New York : Basic Books.

Green, R. (1978). Seuxal identity of 37 children raised by homosexual or transsexual parents. American Journal or Psychiatry, 6,692-697.

Gundlach, R. H. (1969). Childhood parental relationships and the establishment of gender roles of homosexuals. Journal of Consulting and Clincial Psychology, 33, 136-139.

Gundlach, R. H., & Reiss, B. F. (1968). Self and sexual identity in the female : A study of female homosexuals. In1 B. F. Reiss (Ed.), New directions in mental health. New York: Grone and Stratton.

Hamilton, C.V. (1929). A research in marriage. New York: Boni.

Heath, D. (1978). What meaning and what effects does fatherhood have on the maturing of professional men? Merrill-Palmer Quarterly, 24, 265-278.

Heilburn, A. B. (1962). Parental identification and college adjustment. Psychological Reports, 10, 853-854.

Heilburn, A. B. (1965a). The measurement of identification. Child Development, 36, 111-127.

Heilburn. A. B. (1965b). An empirical test of the modeling theory of sex-role learning. Child Development. 36. 789- 799.

Heilbur. A. B. (1974). Parent identification and filial sex-role behavior. The importance of biological context. In J. C. Cole, & R. Dienstbier (Eds.) Nebraska Symposium on Motivation,. 197.1. Lincoln : University of Nebraska Prss.

Heilburn, A. B., & Fromme, D. K. (1965). Parental identification of late adolescents and level of adjustment : The importance of parent-model attributes, ordinal position, and sex of child. Journal of Genetic Psychology, 107, 45-59.

Helper, M. M. (1955). Learning theory and the self-concept. Journal of Abnormal and Social Psychology, 51, 184-194.

Hetherington, E. M. (1965). A developmental study of the effects of sex of the dominant parent on sex-role preference, identification, and inlltation in children. Journal of Personality and Social Psychology, 2, 188-194.

Hetherington, E. M. (1972). Effects of father - absence on personality development in adolescent daughters. Developmental Psychology, 7,313-329.

Hetherington, E. M. & Brackbill, Y. (1963). Etiology and covariation of obstinacy , orderliness, and parsimony in young children. Child Development, 34,919-943.

Hetherngton, E. M., Cox, M, & Cox, R. (1978). Family interaction and the social, emotional and cognitive development of children following divorce. Paper presented at the Johnson and Johnson Conference on the Family, Washington, D. C., May.

Hetherington. E. M., & Frankie. G. (1967). Effects of parental dominance. Warmth. and conflict on imitation in children Journal of Personality and Social Psychology. 6. 119-125.

Hoffman. L, W. (1961). The father's role in the family and the child's peer-group adjustment. Mernll-Palmer Quartlerly, 7,91-105.

Johnson, M. M. (1963). Sex-role learning in the nuclear family. Child Development, 34, 319-333.

Kagan, J. (1953). Socialization of aggression and the perception of parents in fantasy. Child Development, 29, 311-320.

Kaye, H.E. et al. (1967). Homosexuality in women. Archives of General Psychiatry, 17, 626-634.

Kayton, R., & Biller, H. B. (1971). Sex-role development and psychopathology in adult males. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 36, 235-257.

Kelly, J. A., & Worrell, J. (1977). New formulations of sex roles and androgyny: A critical review. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 45, 1101-1115.

Kohlberg, L. (1966). A cognitive-developmental analysis of children's sex-role concepts and attitudes. In E. Maccoby (Ed.) The development of sex differeces. Stanford Cal. : Stanformd University Press.

Lamb, M. E. (Ed.) (1976). The role of the father in child development. New York: Wiley.

Lamb, M. E. (1977). The development of parental preferences in the first two years of life. Sex Roles, 3, 495-497.

Lamb, M. E. (1979). Paternal influences and the father's role : A personal perspective. American Psychologist, 34, 938-943.

Lamb. M. E., & Lamb. J. E. (1976). The nature and importance of the rather-child relationship. Family Coorinator. 25. 370-386.

Langlois. ,J H., & Downs. A. C. (1980). Mothers. fathers. and peers as socialization agents of sex-typed play behaviors in young children. Child Development. 51, 1237-1247.

Lansky, L M. (1956). Patterns of defense against conflict. Unpublished doctoral dissertation, University of Michigan.

Lazowick. L. M. (1955). On the nature of identification. Journal of Abnormal and Social Psychology, 51, 175-183.

Lefkowitz, M. M. (1962). Some relationships between sex-role preference of children and other parent and child variables. psychological Reports, 10, 43-53.

Leighton, L. A. Stollak, G. E., & Ferguson, L. R. (1971). Patterns of communication in normal and clinic families. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 36, 252-256.

Leonard, M. R. (1966). Father and daughters. International Journal of Psychoanalysis, 47, 325-333.

Levin, H., & Sears, R. R. (1956). Identification with parents as a determinant of doll play aggression. Child Development, 37, 135-153.

Levin, R. B. (1966). An empirical test of the female castration complex. Journal of Abnormal Psychology, 71, 181-188.

Locksley, A., & Colton, M. E. (1979). Psychological androgyny: A case of mistaken identity? Journal of Personality and Social Psychology, 37, 1017-1031.

Lozoff. M. M. (1974). Fathers and autonomy in women In R. B. Knudsen (Ed.). Women and success. New York . Morrow.

Luckey. E. B. (1960). Marital satisfaction and parental concept. Journal of Consulting Psychology, 24. 195-204.

Lynn. D. B. (1969). Parental and sex-role identification. Berkeley : McCutchan.

Lynn. D. B. (1974). The father : His role in child development. Belmont, Calif. : Brooks/Cole.

Mächtlinger, V. (1976). Psychoanalytic theory . Proeedipal and oedipal phases with speical reference to the father. In M. E. Lamb (Ed.) , The role of the father in child development. New York :Wiley.

McClelland, D. C., & Watt, N. F. (1968). Sex-role alienation in schizophrenia. Journal of Abnormal Psychology, 73, 226-239.

Margolin, G., & Patterson, G. R. (1975). The differential consequences provided by mothers and fathers for their sons and daughters. Developmental Psychology, 11, 537-538.

Mishler, E. G., & Waxler, N. E. (1968). Interaction in families. New York: Wiley.

Money, J., & Ehrhardt, A. (1972). Man and woman :Boy and girl. Baltimore : Johns Hopkins University Press.

Mowror, O. H. (1950). Identification : A link between learning theory and psychotherapy. In O. H. Mowrer (Ed.), Learning theory and personality dynamics. New York :Ronald Press.

Moulton, P. W., Bwnstein, E., Liberty, D., & Altucher, N. (1966). The patterning of parental affection and dominance as a determint of guilt and sex-typing. Journal of Personality and Social Psychology, 4,363-365.

Mussen. P. H. (1961). Some antecedents and consequences of masculine sex-typing in adolescent boys. Psychological Monographs. 75. Whole No. 506.

Mussen. P. H., & Distler, L. (1959). Masculinity. identification, and father -son relationships. Journal of Abnormal and Social Psychology, 59, 350-356.

Mussen, P. H., & Distler, L. (1960). Child-rearing antecedents of masculine identification in kindergarten boys. Child Development, 31, 89-100.

Mussen, P. H., & Rutherford, E. E. (1963). Parent -child reiationships and parental personality in relation to young children's sex role preferences. Child Development, 34, 589-607.

Nash, J. (1965). The father in contemporary culture and current psychological literature. Child Development, 36,261-297.

Nash, J., & Hayes, T. (1965). The parental relationships of male homosexuals :Some theoretical issues and a pilot study. Australian Journal of Psychology, 17, 35-43.

Parke, R. D. (1979). Perspectives on father-infant interaction. In J. D. Osofsky (Ed.) The handbook of infant development: New York :Wiley.

Parsons, T. (1955). Family structure and the socialization of the child. In T. Parsons, & R. F. Bales (Eds.), Family, socialization and interaction process, Glencoe, III.: Free Press.

Pedersen F. A. (Ed.) (1980). The father - infant relationship : Observational studies in the family setting. New York: Praeger.

Payne, D. E., & Mussen, P. H. (1956). Parent-child relations and father - identification among adolescent boys. Journal of Abnormal and Social Psychology, 52, 358-362.

Rendina. I.. & Dickerscheid. J. D. (1976). Father involvement with first bam infants. Family Coordinator, 25,373-379.

Reuter M. W.. &. Biller. H. B (1973). Perceived paternal nurturance-availability and personality adjustment among college males. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 40, 339-342.

Rohterbart, M. K., &. Maccoby, E.E. (1966). Parent's differential reactions to sons and daughters. Journal of personality and social psychology, 4, 237-243.

Rushing, W. A. (1964). Adolescent - parent relationships and mobility aspirations. Social Forces, 43, 157-166.

Russell, G. (1978). The father role and its relation to masculinity, femininity, and androgyny· Child Development, 49,1174-1181.

Rychlak, J. &. Légerski, A. (1967). Asociocultural theory of appropriate sexual role identificauoriandlevel of personality adjustment. Journal of Personality, 35, 31-49.

saghir, M. T., &. Robbins, F. (1973). Male and female homosexuality· Baltimore :Williams and Wilkins.

Schuham. A. I. (1970). Power relations in emotionally disturbed and normal family triads. Journal of Abnormal Psychology, 75, 30-37.

Sears, P. S. (1953). Child rearing factors related to playing of sex-typed roles. American psychologist, 8, 431 (Abstract).

Sears, R. R. (1970). Relation of early socialization experiences to self-concept and gender- role in middle childhood. Child Development, 41, 267-289.

Sears, R. R., Ran, L., &. Alpert, R. (1965). Identification and child rearing. Standford : Stanford University Press.

Shortell. J. R., & Biller. H. B. (1970). Aggression in children as a function of sex of subject and sex of opponent. Developmental Psychology, 3, 143-144.

Slater. P. E. (1962). Parental behavior and the personality of the child. Journal of Genetic Psychology, 101 53-68.

Smith, P. K., & Deglish, L. (1977). Sex differences in parent and infant behavior in the home. Child Development, 48, 1250-1254.

Spence, J., & HelmReich, R. L. (1979). The many faces of androgyny: A reply to Locksley and Colton . Journal of Personality and Social Psychology, 37, 1032-1046.

Stoller, R. J. (1968). Sex and gender. New York : Science House.

Tasch, R. J. (1952). The role of the father in the family. Journal of Experimental Education, 20, 319-361.

Tasch, R. J. (1955). Interpersonal perceptions of fathers and mothers. Journal of Genetic Psychology, 87, 59-65.

Tauber, M. A. (1979). Sex differences in parent-child interaction styles during a free-play session. Child Development, 50, 981-988.

Thompson, N. L., Schwartz, D. M., McCandless, B. R., & Edwards, D. A. (1973). Parent-child relationships and sexual identity in male and female homosexuals and heterosexuals. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 41, 120-127.

Torgoff, I., & Dreyer, A. S. (1961). Achievement inducing and independence granting synergistic parental role components : Relation to daughter's parental role orientation . and level of aspiration. American Psychologist, 16, 345 (Abstract).

Walters, 1. (Ed.), (1976). Special issue :Fatherhood. Family Coordinator, 25, 335-520.

West. D. J. (1959). Parental relationships in male homosexuality. International Journal of social Psychiatry, 5, 85-97.

West, D. J. (1967). Homosexuality. Chicago : Aldine.

White, B. (1959). The relationship of self concept and parental identification to women's vocational interests. Journal of Consulting Psychology.

White, k. W. (1959). Competence and the Psychosexual stages of development. In M. R. Jones (Ed.), Nebraska symposium on motivation, Lincoln: University of Nebraska Press.

Winch, R. F. (1949). The relation between loss of a parent and progress in courtship. Journal of Social Psychology, 29, 51-56.

Winch, R. F. (1950). Some data bearing on the Oedipus hypothesis. Journal of Abnormal and Social Psychology, 45, 481-489.

Wright, B., & Tuska, S. (1966). The nature and origin of feeling feminine. British Journal of Social Psychology, 5, 140-149.

* * *

obeikandl.com

الفصل الثامن

غياب الأب والطلاق وأثر كل منهما على نمو شخصية الطفل

هنرى بيلر

Henry Biller

obeikandl.com

obeikandl.com

يعود القدر الأكبر من الاهتمام الحالى بأهمية دور الأب إلى الوعى المتزايد بزيادة عدد الأسر التى يغيب عنها الأب ، وما يواجه تلك الأسر من مشكلات اجتماعية واقتصادية ونفسية . وقد أصبحت الأسرة التى يغيب عنها الأب مصدرًا للاهتمام المتزايد فى العديد من الدول الصناعية ، إذ يعيش أكثر من ٢٠ ٪ من الأطفال فى الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال فى أسر يغيب عنها الأب ، ويبلغ مجموعهم حوالى عشرة ملايين طفلاً بالتقريب . ويزداد عدد مثل هذه الأسر بين أفراد الطبقة الدنيا من السود ، وتتعدى نسبتها ٥٠ ٪ فى بعض المناطق (Biller, 1974c)

وعلى الرغم من تعدد السياقات التى يغيب فيها الأب عن الأسرة فإن الطلاق يكون فى الغالب هو السبب . وبسبب المعدل الحالى المرتفع للطلاق فقد تم تقدير أن ما بين ٤٠ - ٥٠ ٪ من الأطفال الذين ولدوا فى عقد السبعينات سوف يقضون جزءًا كبيرًا من طفولتهم على الأقل فى أسر تضم أحد الوالدين فقط . ويعيش فى الوقت الحالى حوالى ١٠٪ فقط من الأطفال الذين ينتمون إلى مثل هذه الأسر مع الأب على الرغم من أن مثل هذه النسبة تعتبر فى زيادة مستمرة (Glick & Norton, 1978; Hetherington, 1979) .

ويرتبط غياب الأب أو على الأقل انخفاض معدل تواجده بالمنزل availability بالطلاق . وهناك قدر كبير من التناقض حول الآثار المترتبة على كل من الطلاق وغياب الأب وذلك على نمو الطفل . فمن ناحية نجد أولئك الباحثين الذين يرون أن كل الآثار غير المرغوب فيها والتى تظهر فى الأسر التى يغيب عنها الأب ترجع إلى غياب الأب ، ومن ناحية أخرى يرى آخرون أن الدعم المالى والانفعالى المناسب من قبل الأمهات اللائى يعشن بدون أزواجهن سوف يقلل مما يسمى بالآثار الحاسمة على الأطفال والناتجة عن غياب الأب والطلاق . وتوضح الدراسات التى تم الرجوع إليها فى هذا الفصل أن فهم تأثير غياب الأب والطلاق على نمو الطفل يتطلب منا أن نضع فى اعتبارنا العديد من العوامل المختلفة والمعقدة التى ترتبط به .

وهناك الكثير من التراث السيكلوجى عن الآثار المزعومة لغياب الأب . ويعتبر هذا الفصل محاولة فى سبيل تقديم رؤية للقارئ عما يتضمنه هذا التراث السيكلوجى والذى غالبًا ما يبدو مجزءًا ومتفاوتًا ، كما أنه يوضح تلك المحاولات المنهجية والمثيرة التى قام بها جمع من الباحثين .

ويتضمن القسم الأول من هذا الفصل ملخصًا للدراسات التى تتناول غياب الأب وأثره على النمو الذكرى للطفل . كما يتم أيضًا فى هذا القسم تناول المراحل النمائية المرتبطة بذلك ، والجوانب المختلفة لنمو الدور الجنسى ، والنماذج البديلة surrogate . أما القسم الثانى فيركز على غياب الأب وأثره على النمو الأنثوى مع تركيز خاص على العوامل الاجتماعية وممارسة الجنسية الغيرية . بينما يتم فى القسم الثالث تحليل البيانات والنتائج المرتبطة بغياب الأب وأثره على الأداء المعرفى للطفل مع وضع عدد من الأمور والمسائل ذات الصلة بالنجاح الأكاديمى (الدراسى) ومختلف جوانب القدرة العقلية فى الاعتبار . ويتناول القسم الرابع الدراسات التى تتعلق بغياب الأب وأثره على التوافق الشخصى والاجتماعى . وتتضمن الموضوعات التى يتم تناولها فى هذا القسم القلق ، وضبط النفس، والنمو الخلقى ، والسلوك الجانح ، والأمراض النفسية . فى حين يتناول القسم الخامس البيانات والنتائج التى تتعلق بتأثير الفروق الفردية فى الأمومة على نمو الطفل الذى يغيب عنه أبوه . كما يتعرض بالمناقشة لتلك الأسر التى تتمحور حول الأم ، matrifocal والحماية الزائدة من جانب الأم ، والسياق الاجتماعى الثقافى للأسرة وأثره على نمو الطفل ، وأنماط الأمومة الفعالة . ويقدم القسم الأخير ملخصًا مختصرا لبعض الأساليب الوقائية والعلاجية التى ترتبط بمواجهة تلك المشكلات التى تنجم عن غياب الأب .

بعض الأمور المنهجية المتعلقة بالدراسات التى تم إجراؤها فى هذا الجانب :

من الأهمية بمكان أن نؤكد أن غياب الأب فى حد ذاته لا يؤدى بالضرورة إلى أوجه قصور نمائية ، أو يجعل الطفل الذى يغيب عنه أبوه أقل فى أدائه النفسى من قرينه الذى لا يغيب عنه أبوه . ولا يمكن اعتبار الأطفال ذوى الأب الغائب مجموعة متجانسة إذ من الممكن تحديد عدد من الأنماط التى يتخذها غياب الأب . كما أن هناك عددًا من العوامل يجب وضعها فى الاعتبار عند تقييم موقف الأب الغائب وهى مدة الانفصال عن الأب ، وشكل الانفصال سواء كان الطلاق ، أو وفاة الأب ، أو غير ذلك من الأساليب ، وعمر الطفل عند حدوث الانفصال ، وجنس الطفل ، وخصائصه التكوينية ، ورد فعل الأم لغياب الأب ، ونوع العلاقة بين الأم والطفل ، والوضع الاقتصادى الاجتماعى للأسرة ، ومدى توفر نماذج بديلة للأب . وقد لا يمكن اعتبار الطفل الذى يغيب عنه أبوه محرومًا منه إذا ما توفرت له نماذج مناسبة بديلة للأب ، أو قد تجعله هذه النماذج محرومًا من أبيه إلى حد ما ، بمعنى أنها قد تخفف بدرجة كبيرة من حدة تلك الآثار التى يخلفها غياب الأب على الطفل .

ومن الجدير بالذكر أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للطفل الذى يعيش مع كلا والديه اللذين ينغمسان فى حياته ويشاركانه إياها ويتميزان بالكفاءة كآباء أن يكون أداؤه النفسى ملائمًا . كما يكون من الأقل احتمالاً بالنسبة لـه أن يعـانى مـن أوجـه قصـور نمائيـة ومـن الأمراض النفسية وذلك إذا ما قورن بقرينه الذى تمت تنشئته فى أسـرة ذات والـد واحـد فقط سواء كان أبـًا أو أمـًا . ومع ذلك فـإن مثـل هـذا التعمـيم لا يمكـن اعتبـاره مثـل الافتراض القائل بأن كل الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم سوف يصادفهم العديد مـن المشكلات التى تعترض نموهم وذلك بشكل يفوق أقرانهم الذين يعيشون مـع والـديهم الاثنين معًا ، إذ هناك على سبيل المثال ما يؤكد أن الأطفال الذين تتميز أمهـاتهم بالكفـاءة كأم يكون من الأقل احتمالاً بالنسبة لهم أن يتعرضـوا لأنـواع معينـة مـن أوجـه القصـور النمائية وذلك إذا ما قورنوا بالأطفال الذين تتميز أمهاتهم بأنهن مسيطرات على أسـرهن ، ويتميز آباؤهم بالسلبية وعدم التأثير . ومن ناحية أخرى فإن الطفل الذى يغيب عنه أبـوه قد يطور صورة أكثر مرونة للراشدين من الرجال ، وقد يبحث عن نمـط بـديل لـلأب ، فى حين نجد أن الطفل الذى يتسم أبوه بالسلبية وعدم التأثير والرفض قـد تتكـون لديـه صورة سالبة بدرجة كبيرة للراشدين من الرجال ، كما يحاول أن يتجنـب التفاعـل معهـم . (Biller, 1971a, 1974c)

وبالإضافة إلى الإطار النظرى والتطبيقى المرتبط بدراسـة آثـار غيـاب الأب فهنـاك تبرير منهجى محتمل يتمثل فى أن غياب الأب يعتبر تغيـرًا طبيعيـًا . ويمكـن القـول بـأن غياب الأب يعتبر سابقًا وليس لاحقًا لأنماط سلوكية معينة لدى الأطفال . وبطبيعة الحال قد تكون إعاقة الطفل أو شذوذه فى بعض الحالات سببًا فى حدوث الطلاق وما يتبعه من غياب لاحق .

وهناك مشكلة عامة فى الدراسات التى تقوم على المقارنـة بـين الأطفـال ذوى الأب الغائـب وأقـرانهم الـذين يعـيش آبـاؤهم معهـم تتمثـل فى تنـاول البـاحثين كـلاً مـنهما كمجموعتين على أنهما يمثلان مجموعتين متجانستين . ومن ناحيـة أخـرى فهنـاك نقـص فى الاهتمام بمدلول غياب الأب ووجوده إذ كانت هناك على سبيل المثال محاولات عديدة قامت على المقارنة بين مجموعة من البنين الذين يغيب عنهم آباؤهم بصفة مسـتمرة وبـين مجموعة أخرى من البنين يتواجد معهم آبـاؤهم عـلى الـدوام ويتعـاملون معهـم بفاعليـة مما يجعل فرصة هؤلاء البنين فى الاستفادة من آبائهم كبيرة (Biller, 1971a, 1974c) .

ويتناول العديد من الباحثين مسألة غياب الأب بشئ من البساطة ، فقد خلت بعض الدراسات من متغيرات على درجة كبيرة من الأهمية مثل شكل أو نمط الغياب ، ومدته ، وعمر الطفل عندما حدث ذلك الغياب . كما كانت هناك متغيرات هامة أخرى لم توضع فى الاعتبار سواء عند المقارنة بين أفراد المجموعات أو عند تحليل البيانات مثل جنس الطفل ، ونسبة ذكائه ، وخصائصه التكوينية ، وترتيبه الميلادى ، وعلاقته مع الأم ، والخلفية الاجتماعية الثقافية للأسرة ، بالإضافة إلى إمكانية استفادة الطفل من نماذج بديلة للأب . ولكن بطبيعة الحال حينما يتبع الباحث إجراءات للمجانسة بين المجموعات تتسم بالحرص من جانبه فإن النتائج التى سوف يحصل عليها ستكون بلا شك نتائج حاسمة كما يرى بيلر (Biller (١٩٧١ - أ) وهيذرنجتون وآخرون (Hetherington, et al. (١٩٧٨) .

وعلى الرغم من أن الأطفال الذين يعيشون مع أمهاتهم عقب الطلاق يمكن اعتبارهم من الناحية الفنية أطفالاً يغيب عنهم آباؤهم فإنه يوجد اختلاف كبير فى مقدار اتصالهم بآبائهم واحتكاكهم بهم (Biller & Meredith, 1974; Keshet & Rosenthal, 1978) . ففى حين لا يرى بعض الأطفال فى بعض الأسر آباءهم إطلاقًا بعد حدوث الطلاق فإن أطفالاً آخرين فى أسر أخرى قد يكون لهم اتصال يومى بآبائهم ، كما قد يقضون معهم وقتًا أطول مما كانوا يقضونه معهم قبل الطلاق . ومن ناحية أخرى فإن العديد من الأطفال الذين لا يعيش آباؤهم معهم يقضون مع آبائهم وقتًا أطول مما يقضيه الكثير من الأطفال فى ما يسمى بالأسر التى يوجد فيها الأب أى الأسر العادية أو المتماسكة .

وتوضح الدراسات الحديثة نسبيًا كدراسات بيلر وميريديث (Biller & Meredith (١٩٧٤ وهيذرنجتون وكوكس وكوكس (Hetherington, Cox & Cox (١٩٧٨ وجريف (Grief (١٩٧٩ وأباربانيل (Abarbanel (١٩٧٩ وولرشتاين وكيلى (Wallerstein & Kelly (١٩٨٠ - أ) المزايا التى يحصل عليها الأطفال من جراء المستوى المرتفع من تفاعلهم مع آبائهم حتى عندما يكون الوالدان مطلقين . وبهذا نكون قد تناولنا بعض الأمور أو المسائل المنهجية التى ترتبط بالطلاق وغياب الأب والتى نرى أنها على درجة كبيرة من الأهمية ويجب أن توضع دومًا فى الاعتبار عندما نتناول هذا الموضوع .

النمو النكرى :

يرى العديد من الباحثين أن الآثار الأولية لغياب الأب تتضح فى أوجه القصور أو الشذوذ فى نمو الدور الجنسى للولد . وسوف نناقش فى هذا القسم من الفصل الحالى نتائج الأبحاث التى تتناول العلاقة بين غياب الأب ونمو الدور الجنسى للولد ، علمًا بأنه قد تم فى الفصل السابع تناول تلك النتائج التى تتعلق بنمط الأبوة وعلاقتها بنمو الدور الجنسى . وتوضح نتائج المقارنات بين نمو الدور الجنسى للأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم وأقرانهم الذين لا يغيب عنهم الأب بعض الأساليب التى يؤثر بها الحرمان من الأب على نمو شخصية الطفل .

وقد أجرى سيرز وسيرز Sears & Sears دراسة رائدة عن آثار غياب الأب على الأطفال البنين ممن تتراوح أعمارهم بين ثلاث إلى خمس سنوات ، وكان سبب غياب الأب هو اشتراك آباء هؤلاء الأطفال فى الخدمة العسكرية وذلك أثناء الحرب العالمية الثانية . وأعطى الباحثان لكل طفل الفرصة لكى يلعب بلعبة مقننة تتألف من مجموعة من الدمى ، وقاما بتسجيل سلوك كل طفل . وعند مقارنة أداء هؤلاء الأطفال بمجموعة أخرى من الأطفال الذين يعيشون مع آبائهم كان الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم أقل عدوانية وكانوا أقل تمييزًا بين الأدوار الجنسية عند قيامهم باللعب بالدمى إذ تضمن لعبهم تأكيدًا أقل على ذكورة الآباء والبنين من الدمى (Sears, 1951; Sears, Pintler & Sears, 1946) .

واستخدم باتش (١٩٤٦) Bach إجراء مشابهًا لدراسة آثار غياب الأب على مجموعة من الأطفال تتراوح أعمارهم بين ست إلى عشر سنوات . واتضح كما ظهر من دراسة سيرز Sears أن الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم كانوا قد قاموا بتكوين صورة خيالية للأب تتسم بالمثالية والأنوثة وذلك عند مقارنتهم بمجموعة ضابطة من الأطفال الذين عكسوا تلك الميول العدوانية . ولاحظ باتش Bach أن الأطفال الذين انفصلوا عن آبائهم قد قاموا بتكوين صورة خيالية للأب تتسم بالمثالية والأنوثة وذلك عند مقارنتهم بمجموعة ضابطة من الأطفال الذين عكسوا تلك الميول العدوانية للأب . وفى الدراسة التى أجراها سانتروك (١٩٧٠ - أ) Santrock على مجموعة من الأطفال السود المحرومين من آبائهم والذين تتراوح أعمارهم بين أربع إلى خمس سنوات ، اتضح وجود أنماط سلوكية أقل ذكورة وأكثر اعتمادية لدى هؤلاء الأطفال وذلك فى موقف لعبة الدمى

المقننة عند مقارنتهم بمجموعة من الأطفال الذين يعيشون مع آبائهم على الرغم من أن المجموعتين لم يختلفا فى كم السلوك العدوانى الذى أظهروه . وإضافة إلى ذلك فقد أوضحت المقابلات التى أجريت مع أمهات هؤلاء الأطفال أن الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم أقل عدوانية وأقل ذكورة وأكثر اعتمادية وذلك فى علاقاتهم بين الشخصية .

وفى واحدة من الدراسات التى تتميز بدرجة كبيرة من الدقة قام ستولز وآخرون (١٩٥٤) .Stolz, et al بجمع بيانات تتعلق بمجموعة من الأطفال تتراوح أعمارهم بين أربع إلى ثمانى سنوات تم فصلهم عن آبائهم خلال العامين الأوليين من أعمارهم ، وأوضحت نتائج المقابلات التى أجريت أن مثل هؤلاء الأطفال لا يزال آباؤهم يدركونهم على أنهم بنات أو مخنثين Sissies وقد دعمت الملاحظة الدقيقة لهؤلاء الأطفال هذا الرأى . وكان الأطفال الذين انفصل عنهم آباؤهم من قبل أقل عدوانية وأقل استقلالية فى علاقاتهم مع أقرانهم الذين لم ينفصلوا عن آبائهم . وكثيرًا ما أظهروا درجة كبيرة من الخضوع ، وأظهرت ردود أفعالهم أساليب عدائية فجة . كما كانوا فى لعبهم بالدمى أكثر عدوانية من أقرانهم الذين لم ينفصلوا عن آبائهم . ومع ذلك فقد كانت حقيقة وجود الأب فى الأسرة فى الوقت الذى أجريت فيه هذه الدراسة ، وأن علاقته بطفله كانت متوترة قد جعل من الصعب عليهم أن يقرروا أى التأثيرات هى التى أحدثها غياب الأب فى حد ذاته على نمو شخصية الطفل (Biller, 1978) .

وهناك دليل آخر على أن الآثار التى يخلفها الغياب المبكر للأب على الأطفال البنين تدوم حتى بعد أن يعود الأب إلى الأسرة إذ عندما قامت كارل سميث (١٩٦٤) Carlsmith بدراسة على البنين من طلاب المرحلة الثانوية من الطبقة المتوسطة ومن الشريحة العليا من الطبقة ذاتها ، وكانوا جميعًا قد خبروا الغياب المبكر للأب بسبب اشتراكه فى الخدمة العسكرية أثناء الحرب العالمية الثانية ، وجدت أن غياب الأب قبل بلوغ الطفل الخامسة من عمره يرتبط بأنماط درجاتهم على اختبار الاستعدادات الذى يعقد عند الالتحاق بالجامعة . College Board Aptitude Scores وعند مقارنة درجاتهم بالنمط العادى لدرجات البنين وهو النمط الذى يتميز بالدرجات الأعلى فى الرياضيات عنها فى الجانب اللغوى ، كان النمط الذى أظهره البنون الذين يغيب عنهم آباؤهم هو نفس النمط العادى للبنات والذى يتميز بارتفاع درجاتهن فى الجانب اللغوى عنها فى الرياضيات .

وعلاوة على ذلك فقد كان التفوق النسبى للاستعدادات اللغوية على الاستعداد للرياضيات يزداد بشكل ثابت كلما طالت مدة غياب الأب عن المنزل وكلما كان الطفل أصغر سنًا وقت انفصال الأب عن الأسرة . كما توصل باحثون آخرون أيضًا إلى أن غياب الأب فى وقت مبكر من عمر الطفل يرتبط بالنمط الأنثوى الذى تعكسه درجات الطفل على اختبار الاستعدادات وهو ما يؤكد عليه ألتوس (١٩٥٨) Altus ونيلسين وماكوبى (١٩٦٦) Nelsen & Maccoby على سبيل المثال .

وعندما قامت لايتشتى (١٩٥٦) Leichty بمقارنة استجابات مجموعة من البنين من طلاب الجامعة غاب عنهم آباؤهم عندما كانت أعمارهم تتراوح بين ثلاث إلى خمس سنوات بمجموعة متجانسة من البنين الذين لم يغب عنهم آباؤهم وذلك على اختبار بلاكى Blacky الإسقاطى ، وجدت أن نسبة ضئيلة من الطلاب الذين غاب عنهم آباؤهم فى وقت مبكر من حياتهم رأوا بالنسبة لصور بلاكى أن بلاكى يفضل أن يتخذ من أبيه نموذجًا يحاكيه ، وأن الغالبية قد اختاروا الأم أو تيبى Tippy أخو بلاكى . ويمكن إدراك مثل هذه الاستجابات على أنها مؤشر إسقاطى لتوجه الدور الجنسى ، وأن البنين الذين يغيب عنهم آباؤهم يعتبرون أقل ذكورة . ومع ذلك فلم يكن واضحًا من البيانات التى قدمتها لايتشتى Leichty عدد أفراد المجموعة الذين يغيب عنهم آباؤهم والذين اختاروا تيبى Tippy نموذجًا يحاكونه . وربما تعطى هذه الاستجابات أيضًا مؤشرا للتوجه نحو الدور الجنسى الذكرى وذلك إذ ما أدرك المفحوص أن تيبى هو أخ ذكر .

كذلك فإن مهنة الأب قد ترتبط بالغياب المتكرر من جانبه ، فيوضح تيلر (١٩٥٨) Tiller ولين وسوراى (١٩٥٩) Lynn & Sawrey أنه عند دراستهم لعينة من الأطفال النرويجيين ممن تتراوح أعمارهم بين ثمانى إلى تسع سنوات ونصف من أبناء البحارة الذين يتطلب عملهم غيابهم عن المنزل تسعة شهور سنويًا على الأقل ، وقاموا بمقارنة استجابات هؤلاء الأطفال على اختبارات إسقاطية مع مجموعة متجانسة من الأطفال لا تتطلب مهن آبائهم غيابهم عن الأسرة ، فأوضحت استجابات البنين على تلك الاختبارات الإسقاطية والمقابلات التى أجريت مع أمهاتهم أن غياب الأب يرتبط بالذكورة التعويضية من جانب هؤلاء البنين ، وهى ما تعنى أنهم يتصرفون فى بعض الأحيان بطريقة ذكرية مبالغ فيها ، وفى أحيان أخرى يتصرفون بطريقة تتسم بدرجة

مرتفعة من الأنوثة . كما كان البنون الذين يغيب عنهم آباؤهم أقل ثقة فى ذكورتهم من أقرانهم بالمجموعة الضابطة . واتضح أيضًا اتفاق نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة باتش (١٩٤٦) Bach ودراسة سيرز (١٩٥١) Sears فى أن البنين الذين يغيب عنهم آباؤهم كانوا أقل عدوانية فى لعبة الدمى من أقرانهم بالمجموعة الضابطة .

ويرى روجرز ولونج (١٩٦٨) Rosgers & Long أن البنين الذين يغيب آباؤهم لفترات طويلة عن المنزل تواجههم صعوبات فى نموهم الذكرى ، وذلك عند دراستهما للأطفال من مجتمعين مختلفين فى جزر البهاما يتميز أحدهما بارتفاع معدل الحرمان من الأب نظرًا لقيام الآباء برحلات صيد طويلة فيغيبون بالتالى عن أسرهم لعدة أسابيع فى المرة الواحدة لتصل بذلك جملة غيابهم عن أسرهم فى العام الواحد إلى ستة شهور على الأقل . أما فى المجتمع الآخر فيعمل الآباء كعمال موسميين يشتغلون بعض الوقت ويبقون بعضه الآخر بلا عمل ، ولكنهم بوجه عام لا يبتعدون عن أسرهم . واستخدم الباحثان مقياس تفضيل الأشكال Preference- For- shapes وكان عمر الأطفال يتراوح بين ست سنوات إلى خمس عشرة سنة ، وأوضحت النتائج أن النسبة الأصغر من بين أطفال العينة والتى تمثل ٢٥ ٪ منهم (مقابل ٦١ ٪) الذين كانوا من أطفال المجتمع الأول الذى يتسم بالحرمان من الأب لمدة طويلة قد تميزت استجاباتهم بالذكورة حيث اختاروا الأشكال البارزة ولم يختاروا الأشكال المنحنية أى المتقوسة . كما أن الغالبية العظمى من البنين الأكبر سنًا (البالغين) فى نفس المجتمع والذين شكلت نسبتهم ٨٠ ٪ من العينة كانت تتسم استجاباتهم أيضًا بالذكورة . ويرى الباحثان أن ذلك قد يرجع إلى أنه غالبًا ما يكون هناك انتقال من التوحد مع الدور الجنسى الأنثوى إلى التوحد مع الدور الجنسى الذكرى نتيجة للطقوس المتبعة فى المبادرات غير الرسمية التى تتم خلال العام الأول من ذهاب الولد المراهق إلى رحلات الصيد .

كذلك فقد حاول العديد من الباحثين تقدير الفروق بين الأولاد الذين يغيب عنهم آباؤهم وأقرانهم الذين لا يغيب عنهم آباؤهم وذلك من خلال رسومهم للأشكال الآدمية ، فافترضت فيلان (١٩٦٤) Phelan أن الأولاد الذين يرسمون أنثى أولاً إذا ما طلب منهم أن يرسموا أناسًا يفشلون فى الانتقال من التوحد الأولى مع الأم إلى التوحد مع الأب إذ أوضحت نتائج دراستها تلك وجود معدل مرتفع لغياب الأب بين الأولاد

بالمرحلة الابتدائية الذين قاموا برسم أنثى فى البداية وذلك بشكل يفوق أقرانهم الذين رسموا رجلاً . ويوضح التحليل الإضافى لبعض البيانات التى تضمنتها دراسة بيلر (١٩٦٨ - أ) Biller على أطفال الروضة أنه من الأقل احتمالاً بالنسبة للأطفال البنين الذين يغيب عنهم آباؤهم مقارنة بأقرانهم الذين يتواجد معهم آباؤهم أن يرسموا فى البداية صورة لرجل ، أو يميزوا بوضوح بين صور الرجال وصور النساء خاصة إذا كان الأب قد غاب عنهم قبل بلوغهم الرابعة من أعمارهم .

وعندما طلب بيرتون (١٩٧٢) Burton من عينة من أطفال الكاريبى تتراوح أعمارهم بين ثمانى سنوات إلى خمس عشرة سنة أن يرسموا صورًا آدمية أوضحت النتائج التى توصل إليها أن غياب الأب خلال العامين الأولين من عمر الطفل يرتبط بمفهوم الذات غير الذكرى لدى البنين . وعند مقارنة استجابات الأطفال الذين غاب عنهم آباؤهم خلال العامين الأولين من أعمارهم باستجابات أقرانهم الذين لم يغب عنهم آباؤهم اتضح أن أولئك الذين غاب عنهم آباؤهم ولم تتوفر لديهم صورة دائمة للأب أو نموذج بديل له كانت تكرارات رسومهم لصورة رجل فى البداية أقل ، كما أنهم قد قاموا أيضًا برسم الرجال أقصر من النساء . ومن المعروف أن الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم يرسمون الرجال أقصر من النساء بصفة عامة .

وعلى أى حال فإن الارتباطات التى اتضحت بين غياب الأب ورسم صور لأشخاص لم تكن ثابتة فى حالة الأطفال الأكبر سنًا . كما أن هناك مشكلة فى العديد من الدراسات التى تناولت رسم صور الأشخاص تتمثل فى خلوها من المعلومات التى تتعلق بمدة غياب الأب وعمر الطفل عند بداية هذا الغياب (e.g. Donini, 1967; Lawton & Sechrest, 1962) .

ويبدو أن مواجهة الصعوبات فى تكوين علاقات جنسية غيرية دائمة غالبًا ما ترتبط بغياب الأب خلال مرحلة الطفولة ، فيرى أندروز وكريستينسن (١٩٥١) Andrews & Christensen أنه من المحتمل بالنسبة لطلاب الجامعة الذين انفصل والديهم بالطلاق أن يقوموا بتكوين علاقات مغازلة مستمرة ولكن غير مستقرة .

ويرى ونش (١٩٤٩ ، ١٩٥٠) Winch أن غياب الأب يرتبط سلبًا بدرجة سلوك المغازلة بين البنين من طلاب الجامعة ، ويعرف سلوك المغازلة بأنه أقرب ما يكون من الزواج . كما يرى أن المستوى المرتفع من التعلق الانفعالى بالأم يرتبط سلبًا بدرجة سلوك المغازلة . وتوصل هلجارد ونيومان وفيسك (١٩٦٠) Hilgard, Neuman & Fisk من خلال المقابلات التى أجروها أن العديد من الرجال الذين توفى آباؤهم حينما كانوا أطفالاً استمروا يعتمدون بدرجة كبيرة على أمهاتهم بعد وفاة آبائهم وهو ما أظهر درجة معقولة من الاستقلالية فى علاقاتهم الزواجية .

وعندما قام جاكوبسون ورايدر (١٩٦٩) Jacobson & Ryder بإجراء المقابلات مع بعض البنين من الشباب المتزوج الذين عانوا من موت آبائهم قبل زواج هؤلاء البنين وجدا أن موت والد الزوج قبل أن يصل ذلك الزوج إلى الثانية عشرة من عمره يرتبط بمعدل مرتفع مع المشكلات الزواجية . أما الأزواج الذين غاب عنهم آباؤهم فى فترة مبكرة من حياتهم فكانوا يوصفون بأنهم غير ناضجين وتعوزهم الكفاءة بين الشخصية . ويرى الباحثان أن من أهم ما يتسم به أعضاء هذه المجموعة هو مشاركتهم فى أنماط ثانوية من الأنشطة المنزلية وقيامهم بمعدل منخفض من النشاط الجنسى . وبصفة عامة فقد كانت زيجاتهم تخلو نسبيًا من الود والعلاقات الحميمة . بينما يكون من الأكثر احتمالاً بالنسبة للزوج إذا كان قد فقد أبوه بعد سن الثانية عشرة من عمره أن يقيم علاقات زواجية إيجابية .

ويضيف باحثون آخرون أدلة تؤكد أن الأفراد الذين خبروا غياب الأب فى طفولتهم بسبب التصدع الأسرى يصبح من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهم أن تنتهى زيجاتهم بالطلاق أو الانفصال ، وهو ما يؤكد عليه لانديز (١٩٦٥) Landis وروهرار وإيدمونسون (١٩٦٠) Rohrer & Edmonson على سبيل المثال .

ومن المحتمل فى غالبية مثل هذه المواقف أن يوجد أثر قوى للنموذج حيث يرى الأطفال آباءهم وهم يحاولون حل الصراعات الزواجية التى تنشأ بينهم وبين زوجاتهم وذلك بوضع نهاية لزواجهم ، ولذلك فمن الأكثر احتمالاً أن يتصرفوا هم أنفسهم - أى الأطفال بعد أن يكبروا ويتزوجوا - بنفس الطريقة . ويتفق بتيجرو (١٩٦٤) Pettigrew فى دراسته على عينة من السود من أفراد الطبقة الدنيا مع ذلك الرأى القائل بأن البنين الذين يغيب عنهم آباؤهم دائمًا ما تواجههم صعوبات عدة فى تكوين علاقات جنسية

غيرية إذ عندما أجرى مقارنة بينهم وبين أقرانهم البنين الذين لم يغب عنهم آباؤهم وجد أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للبنين الذين يغيب عنهم آباؤهم أن يصبحوا وحيدين أو مطلقين ، وهو ما يعتبر بمثابة مظهر آخر لتوحدهم الجنسى المضطرب .

وبسبب الحرمان المستمر من الأب وقيام الأم بالحط من قدر ذكورتهم فإن البنين السود من أفراد الطبقة الدنيا غالبًا ما يعانون كثيرًا فيما يتعلق بتوجهاتهم نحو الدور الجنسى حتى عندما تتصف جوانب أخرى من سلوكهم بالذكورة التامة . وقد ارتبط مدى تواجد الأب بالمنزل Availability والخلفية الاجتماعية الثقافية للأسرة فى دراستين ارتباطًا دالاً بدرجات عينتين من البنين على مقاييس توجه الدور الجنسى (Barclay & Cusumano, 1967; Biller, 1968b) . وعند دراستنا للبنين البيض والسود من أفراد الطبقة الدنيا لم نتوصل إلى فروق حاسمة بينهم فى التفصيلات المرتبطة بالأدوار الجنسية أو فى تبنى الدور الجنسى . ومع ذلك كان البنون السود الذين يغيب عنهم آباؤهم هم الأقل ذكورة فيما يتعلق باستجاباتهم الإسقاطية الدالة على توجه الدور الجنسى ، ولم توجد فروق دالة بين البنين البيض الذين يغيب عنهم آباؤهم وبين البنين السود الذين لم يغب عنهم آباؤهم ، كما كان البنون البيض الذين لم يغب عنهم آباؤهم هم الأكثر ذكورة (Biller, 1968b) .

ومن الجدير بالذكر أن القدر الأكبر من المشكلات المتعلقة بالجنسية الغيرية بين العديد من البنين من أفراد الطبقة الدنيا المحرومين من آبائهم يرتبط برفضهم القسرى لأى شئ يدركونه على أنه يرتبط بالأنوثة حيث يعتبر شغلهم الشاغل هو إثبات أنهم ليسوا متأنثين أو مخنثين أو يمارسون الجنسية المثلية ، ولذلك فغالبًا ما يقومون بأنماط السلوك الدنجوانية Don Juan الواحد منها تلو الآخر ، إلا أنهم مع هذا لا يستطيعون إقامة علاقات انفعالية ثابتة مع أنثى مرة ثانية كما كان الأمر فى طفولتهم ، وهو ما يزيد من حاجتهم لإثبات ذكورتهم عن طريق تكوين علاقات جديدة مع إناث أخريات . ومن ناحية أخرى يصطدم إدراكهم لتنشئة الطفل على أنها محاولة أنثوية خالصة بالعلاقات التى يقيمونها مع أطفالهم مما يعمل على استمرار دائرة الحرمان الوالدى التى تسبب الاكتئاب وذلك فى الأسر التى تنتمى إلى الطبقة الدنيا . وعلى الرغم من أن هذا النمط السلوكى يبدو سائدًا بين البنين السود من أفراد الطبقة الدنيا فإنه لم يكن سائدًا بين أعضاء المجموعة التى تشكلت منها عينة الدراسة التى نحن بصدد الحديث عنها .

مراحل نمو الدور الجنسى :

تعتبر نوعية التعلق المبكر بين الطفل والأب عاملاً هامًا فى نمو الدور الجنسى للطفل ونمو شخصيته ، كما أن درجة ونوع المشاركة التى يبديها الأب للطفل حتى خلال العام الأول من عمره لها تأثير كبير على سلوك الطفل (Biller, 1974c; Lamb, 1976) . وتشير أبحاث مونى Noney ومعاونيه إلى أن السنتين الأوليتين أو السنوات الثلاث الأولى من العمر تعتبر ذات أهمية حاسمة فى تشكيل توجه الدور الجنسى للفرد (Money & Ehrhardt, 1972) ويقرر نفس الباحثان على أساس من ملاحظتهما الإكلينيكية للأفراد من ذوى التعارض الجسمى - الجنسى أى من يتبنون الدور الجنسى المغاير لجنسهم البيولوجى أن مفهوم الذات المرتبط بالدور الجنسى يبدو من الصعب تغييره بعد العام الثانى أو الثالث من العمر . كما أنهما يفترضان أيضًا احتمال وجود فترات حرجة فى نمو الدور الجنسى ، وأن غياب الأب فى سن مبكرة من حياة الطفل يتعارض بصفة خاصة مع نمو توجه أكيد للدور الجنسى .

ويبدو أن غياب الأب قبل بلوغ الطفل الرابعة أو الخامسة من عمره له أثر معطل للنمو الذكرى إذ ترى هيذرنجتون (١٩٦٦) Hetherington فى دراستها للأطفال البنين الذين يغيب عنهم آباؤهم والذين تتراوح أعمارهم بين تسع سنوات إلى اثنتى عشرة سنة قد أظهروا سلوكًا إسقاطيًا للدور الجنسى يدل على درجة أقل من الذكورة ، وتم تقييمهم على أنهم أكثر اعتمادًا على أقرانهم ، وأقل عدوانية ، وأنهم يشاركون فى قدر أقل من الألعاب التى تعتمد على الالتحام الجسمى وذلك عند مقارنتهم بأقرانهم الذين لم يغب عنهم آباؤهم . ومع ذلك فلم توجد فروق ثابتة على مقاييس الدور الجنسى عندما تمت مقارنة البنين الذين لم يغب عنهم آباؤهم مع أقرانهم الذين أصبحوا من ذوى الأب الغائب عنهم وذلك بعد بلوغهم الرابعة من أعمارهم .

وقد وجدنا نحن أن البنين الذين يبلغون خمس سنوات من أعمارهم والذين يغيب عنهم آباؤهم كانوا أقل من أقرانهم الذين لم يغب عنهم آباؤهم وذلك فى كل من توجههم للدور الجنسى الذكرى كما يقاس بمقياس الألعاب الخيالية Fantasy game Measure والتفضيلات المرتبطة بالدور الجنسى كما تقاس بمقياس اختبار الألعاب (Biller, 1969b) Game Choice . وعلاوة على ذلك فقد أظهر البنون الذين غاب عنهم آباؤهم قبل

بلوغهم الرابعة من أعمارهم توجهًا للدور الجنسي الذكرى أقل وذا دلالة وذلك عند مقارنتهم بأقرانهم الذين غاب عنهم آباؤهم خلال العام الخامس من أعمارهم . وفى الدراسة التى أجريناها مع بام Bahm على عينة من الطلاب البنين بالمرحلة الثانوية وجدنا أن الطلاب الذين غاب عنهم آباؤهم قبل بلوغهم الخامسة من أعمارهم قد حصلوا على درجات أقل فى الذكورة وذلك على مقياس قائمة السمات الدالة على ذكورة مفهوم الذات Adjective Checklist Measure of Masculinity of Self-concept وذلك عند مقارنتهم بأقرانهم الذين لم يغب آباؤهم عنهم (Biller & Bahm, 1971) . ويتفق بيرتون (١٩٧٢) Burton فى دراسته لأطفال الكاريبى مع هذه النتيجة حيث توصل هو الآخر إلى أن غياب الأب فى سن مبكرة من حياة الطفل له أثره السيئ على مفهوم الذات الذكرى لذلك الطفل .

ومن ناحية أخرى فقد وجدت هيذرنجتون وكوكس وكوكس (١٩٧٨) Hetherington, Cox & Cox فى الدراسة الطولية التى أجرينها على عينة من الأطفال البنين تتراوح أعمارهم بين خمس إلى ست سنوات واستخدمن فيها مجموعة من مقاييس الدور الجنسى ، وجدن فروقًا دالة لصالح الأطفال الذين ينتمون إلى أسر متماسكة وذلك عند مقارنتهم مع أقران لهم من أسر غاب عنها الأب لمدة سنتين بسبب الطلاق إذ حصل البنون الذين غاب عنهم آباؤهم على درجات أكثر انخفاضًا فى التفضيلات المرتبطة بالدور الجنسى الذكرى ، وأكثر ارتفاعًا فى التفضيلات المرتبطة بالدور الجنسى الأنثوى . وعند تطبيق اختبار رسم الأشخاص عليهم كانوا يرسمون أنثى أولاً ، كما أن رسومهم قد أوضحت أيضًا تمييزًا بين الذكور والإناث أقل مما أوضحته رسوم أقرانهم الذين لم يغب عنهم آباؤهم . وإضافة إلى ذلك فقد كان أولئك الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم يقضون وقتًا أطول فى اللعب مع الإناث والأقران الأصغر منهم سنًا ويقومون بأنشطة أنثوية .

ومن الجدير بالذكر أن سبعة عشر ولدًا من الأولاد الثمانية والثلاثين الذين أظهروا أدوارًا جنسية أنثوية مفرطة فى الدراسة التى أجراها جرين (١٩٧٤) Green كانوا قد خبروا غياب الأب قبل بلوغهم الرابعة بثلاثة شهور . وكان غياب الأب مؤقتًا لدى ثلاث من هذه الحالات ، أما الواحد والعشرين ولدًا الآخرين الذين لم يغب عنهم آباؤهم وأظهروا مع ذلك أدوارًا جنسية أنثوية فقد كانوا يعانون من شكل آخر من أشكال

الحرمان من الأب خلال السنوات القليلة الأولى من حياتهم . ومع ذلك فقد أظهرت الدراسة أن هناك العديد من العوامل إضافة إلى الحرمان المبكر من الأب تساهم فى نمو أنماط السلوك الأنثوى المفرط لدى البنين .

وقد ناقش بيرتون ووايتنج (١٩٦١) Burton & Whiting من منظورهما عبر الثقافى التأثير المحتمل لغياب الأب فى مراحل مختلفة من عملية نمو الدور الجنسى . وأشارا إلى أن العديد من المجتمعات تسود فيها عملية توحد متقطعة أو غير متصلة إذ يتم استبعاد الأب عمليًا من الاتصال بالأطفال الصغار . ومن المفترض أن هذا التقطع الذى يحدث فى عملية التوحد يحدث عندما يتم الدفع بالولد إلى السلوك الذكرى فى وقت ما قبل أو أثناء مرحلة المراهقة وخصوصًا من خلال تلك الخبرات التى يمر بها أثناء قيامه بطقوس عملية المبادرة التى يقوم بها . وعلى العكس من السيطرة المبكرة التى كانت تفرض عليه من جانب أنثى فإنه يصبح فجأة خاضعًا للسيطرة المباشرة من ذكور راشدين يقومون بعملية تعزيز سلبية لأنماط السلوك الأنثوى التى يأتى بها ، مما يضطره إلى القيام بتعلم كبت توحده المبكر مع الإناث . وقد اكتشف وايتنج وآخرون (١٩٥٨) Whiting, et al. أن المجتمعات التى تستبعد وجود ترتيبات تتعلق بنوم الابن إلى جانب الأم ، وتستبعد تحديد محرمات للطفل بعد الولادة تتعلق بالجنس يكون من المحتمل بالنسبة لها أن تحدد طقوسًا معينة للمبادرات التى يقوم بها الذكور إذ يفترض بيرتون ووايتنج Burton & Whiting أن الطقوس المتعلقة بعملية المبادرة هذه تهدف سيكلوجيًا إلى إجراء عملية غسيل مخ للتخلص من الهوية الأنثوية التى تكون قد تكونت من قبل ، وأن تقيم هوية ذكرية ثانوية على أساس ثابت .

ويدعم بيرتون ووايتنج (١٩٦١) Burton & Whiting افتراضهما القائل بوجود صراع يرتبط بعملية التوحد فيما يتعلق بالدور الجنسى وذلك بإعطاء دليل عبر ثقافى إذ يريان أنه فى المجتمعات التى يسمح فيها للطفل بأن ينام إلى جانب إناث وأن يتفاعل معهن خلال السنوات القليلة الأولى من عمره يكون من المحتمل أن تنشأ لديه عادة أنثوية تقوم على أن يأوى الأب إلى فراشه عند نوم الأولاد ويتصرف كما لو كان يقوم بعملية ولادة . ويمكن أن تفسر هذه العادة على أنها رمز للتوحد الأنثوى .

ومن ناحية أخرى فإن آثار الغياب المبكر للأب لا تقتصر على ممارسة الدور الجنسى فحسب إذ يمكن للعديد من سمات الشخصية أن تتأثر بها أيضًا حيث يرى سانتروك (١٩٧٠ - ب) Santrock من دراسته على عينة من الأطفال البنين بالصف الخامس الابتدائى ممن ينتمون إلى الطبقة الدنيا أن الأولاد الذين غاب عنهم آباؤهم قبل أن يبلغوا الثانية من أعمارهم قد بدت لديهم درجة أكبر من الإعاقة فيما يتعلق بالعديد من أبعاد نمو الشخصية وذلك عند مقارنتهم بالأولاد الذين غاب عنهم آباؤهم فى سن متأخرة عن ذلك إذ وجد على سبيل المثال أن أولئك الأطفال الذين غاب عنهم آباؤهم قبل الثانية من أعمارهم كانوا أقل ثقة ، وأقل مثابرة ، وتنتابهم مشاعر عدوانية وذلك بدرجة أكبر من أقران لهم غاب آباؤهم فيها بين الثالثة والخامسة من أعمارهم ، وهو ما يعتبر دليلاً آخر على أن الغياب المبكر للأب يرتبط بدرجة مرتفعة من الحساسية من جانب الأطفال لمجموعة من المشكلات النفسية (Biller, 1971a, 1974c) .

وتوضح الدراسات التى أجراها والرشتاين وكيلى (١٩٧٤، ١٩٧٥، ١٩٧٦، ١٩٨٠ - أ ، ب) Wallerstein & Kelly أن المرحلة النهائية للدور الجنسى تعتبر عاملاً حاسمًا فى تحديد نمط رد الفعل الذى يصدر عن الأطفال تجاه الطلاق والانفصال عن الأب . وسوف يتم استعراض الدراسات التى ترتبط بآثار توقيت غياب الأب على أبعاد مختلفة لنمو شخصية الطفل فى أجزاء تالية من الفصل الحالى .

الجوانب المختلفة لنمو الدور الجنسى :

وكما يتضح من نتائج الأبحاث المرتبطة بمراحل نمو الدور الجنسى فإن غياب الأب قد لا يؤثر على الجوانب المختلفة للدور الجنسى بنفس الدرجة أو الطريقة . ومن الشائع بالنسبة للأطفال الصغار الذين يغيب عنهم آباؤهم أن يسعوا انفعاليًا لجذب انتباه الذكور الأكبر منهم سنًا . وبسبب الآثار التى يخلفها عليهم الحرمان المبكر من الأب فإنه غالبًا ما توجد لديهم دافعية قوية لمحاكاة الصورة الكامنة للأب وإدخال السرور عليها . وبينما يناضل هؤلاء الأولاد الذين يغيب عنهم آباؤهم ليتصرفوا بطريقة ذكرية فى بعض الجوانب من سلوكهم فإنهم مع ذلك لا يزالوا يتصرفون بطريقة أنثوية أو غير ذكرية فى جوانب أخرى . فعلى سبيل المثال قد يتفاعل الولد الذى يغيب عنه أبوه مع إناث فقط مما يشجعه على السلبية والاعتمادية وذلك فى السنوات الأربع أو الخمس الأولى من حياته

بينما تتزايد عليه الضغوط من جانب الأقران والمجتمع ككل فيما بعد هذه السن ليتصرف بطريقة ذكرية . وقد لا تكون مطالب السلوك الذكرى للطفل واضحة أمامه حتى يصل إلى سن الالتحاق بالمدرسة الابتدائية وأحيانًا حتى يصل إلى مرحلة المراهقة . ولكننا على أى حال وفى ظل مثل هذه الظروف نجد أن تفضيلاته المرتبطة بالدور الجنسى وتبنيه للدور الجنسى أو تبنيه فقط للدور الجنسى قد يختلف عن توجهه الأساسى للدور الجنسى (Biller & Borstelmann, 1967) .

ولم يتوصل باركلاى وكوزومانو (١٩٦٧) Barclay & Cusumano إلى وجود أى فروق دالة بين البنين المراهقين الذين يغيب عنهم آباؤهم وأقرانهم الذين لم يغب آباؤهم وذلك على مقياس للتفضيلات المرتبطة بالأدوار الجنسية هو مقياس جف للأنوثة Gough Femininity Scale ومع ذلك كان البنون الذين يغيب عنهم آباؤهم أكثر اعتمادًا على المجال Field dependent وذلك استنادًا على درجاتهم على مقياس Rod & Frame Test الذى أعده ويتكين Witkin واعتبر الباحثان أن بعد الاعتماد - الاستقلال عن المجال يعكس توجه الدور الجنسى لدى هؤلاء البنين .

وفى دراستنا التى أجريناها على مجموعة من أطفال الطبقة الدنيا فى السادسة من أعمارهم وجدنا أن البنين الذين يغيب عنهم آباؤهم أقل ذكورة بدرجة ذى دلالة عن أقرانهم الذين لم يغب آباؤهم عنهم وذلك على مقياس للسلوك الإسقاطى الدال على الدور الجنسى والذى استخدم لتقييم توجه الدور الجنسى (Biller, 1968b) . ومع ذلك فلم يختلف أفراد المجموعتين بشكل قاطع سواء فى تفضيلاتهم المباشرة للدور الجنسى وذلك فيما يتعلق بالألعاب وأدوات اللعب التى قالوا عنها أنهم يحبونها ، أو فى تقديرات معلميهم بالنسبة لتبنى الدور الجنسى . كما أوضحت أيضًا نتائج دراسة أخرى أجريناها على أطفال ذكور فى الخامسة من العمر أن توجه الدور الجنسى يتأثر بغياب الأب وذلك بشكل يفوق مدى تأثر التفضيلات المرتبطة بالدور الجنسى أو تبنى الدور الجنسى (Biller, 1969b) .

ومع ذلك فقد أظهر البنون الذين يغيب عنهم آباؤهم تفضيلات ذكرية للألعاب أقل من أقرانهم الذين لم يغب عنهم آباؤهم وذلك بدرجة ذى دلالة ، وكانت الفروق بين المجموعتين أكثر وضوحًا فيما يتعلق باستجابتهم للإجراءات المتبعة فى تقدير توجه الدور

الجنسى ، أما فيما يتعلق بدرجاتهم على مقياس تبنى الدور الجنسى فلم توجد فروق دالة بينهما . وتؤكد نتائج دراسات أخرى عديدة الفرض القائل بوجود فروق نسبية ضئيلة وخصوصًا فى مرحلة المراهقة بين البنين الذين يغيب عنهم آباؤهم وبين أقرانهم الذين لم يغب عنهم آباؤهم وذلك فى جوانب عديدة لإدراك الدور الجنسى ، والتفضيلات المرتبطة به ، وتبنيهم له (e.g. D'Andrade, 1973; Santrock, 1977) .

النماذج البديلة للأب :

من الجدير بالذكر أن غياب الأب أو عدم كفاءته لا يلغى إمكانية وجود نماذج ذكرية أخرى يمكن أن يكون لها تأثيرها على النمو الذكرى للولد الصغير فقد يمكن للأخ ، أو للعم أو للجد أو حتى لولد أكبر منه سنًا أن يوفر له فرصة جيدة للاتصال مع الراشدين الذكور وتكوين علاقات معهم . وفى هذا الإطار يمكن للأقران والجيران والمعلمين أن يلعبوا أدوارًا هامة تؤثر على نموه الذكرى . ويمكن أيضًا للمعلمين الذكور على وجه الخصوص أن يؤثروا كثيرًا على الأولاد الذين يغيب عنهم آباؤهم (Biller, 1974a,b,c; Lee & Wolinsky, 1973) .

ومن ناحية أخرى يمكن للطفل أن يتعلم بعض أنماط السلوك الذكرية إذا ما اتخذ من نجم سينمائى أو تليفزيونى ، أو مصارع ، أو بطل خيالى نموذجًا يحتذى به . وتصف أنا فرويد وبورلنجهام (١٩٤٤) Freud, A. & Burlingham الكيفية التى يستطيع أن يطور بها ولد فى الثانية من عمره ويغيب عنه أبوه نموذجًا خياليًا للدور ، فتقول أن والدة بوب Bob حكت له عن ولد يبلغ التاسعة من عمره يسمى بوبى الكبير Big Bobby اتخذه بوب Bob بعد ذلك نموذجًا ذكريًا يحتذى به محاولاً القيام بكل الأعمال التى تتطلب القوة الجسدية والتى يعتقد أنه يؤديها ، وبالتالى أدرك هذا الولد الصغير نموذجه بوبى الكبير Big Bobby على أنه يتفوق فى الجانب الجسدى على كل ما عداه من جوانب .

ويرى باحثون آخرون أن الذكورة ترتبط بكم التفاعلات التى يقوم بها الولد مع الذكور مع الراشدين ، فعندما قام ناش (١٩٦٥) Nash بدراسة عن الأيتام الأسكتلنديين الذين كانوا يعيشون فى بيوت صغيرة يديرها متزوجون رجالاً ونساء فيوفر لهم الأزواج بذلك نموذجًا ذكريًا يحتذون به حتى وإن كان هؤلاء الأزواج أقل ذكورة من أولئك الأولاد وذلك بحسب درجاتهم على عدة مقاييس للدور الجنسى ، وبهذا الشكل كانت تتم تربية

هؤلاء الأولاد فى وضع أسرى نموذجى ، وجد ناش Nash أنهم كانوا أكثر ذكورة قياسًا بمجموعة من أقرانهم البنين الأيتام كانت تقوم على تربيتهم نساء فقط .

وهناك من البيانات والنتائج ما يؤكد أن أزواج الأمهات أيضًا لهم أثر يساعد على النمو الذكرى للطفل الذى يغيب عنه أبوه وخاصة إذا كانت العلاقة بين الطفل وزوج أمه قد بدأت قبل أن يبلغ الطفل الرابعة أو الخامسة من عمره إذ تؤكد الدراسات التى تتناول الأداء المعرفى للأطفال الذين غاب عنهم آباؤهم وأصبح لهم زوج أم فى طفولتهم المبكرة أن هؤلاء الأطفال لا يعاق أداؤهم المعرفى فى حين كان من المحتمل بالنسبة للأطفال الذين بقوا بدون بديل للأب أن يعانوا على الأقل فى بعض جوانب من أدائهم المعرفى ، وغالبًا ما يكون ذلك فى الجوانب التى ترتبط بمهارات ذكرية (Lessing, et al. 1970; Santrock, 1972) . إلا أن بعض الباحثين أمثال لانجر وميخائيل (١٩٦٣) Langer & Michael وبنسون (١٩٦٨) Benson قد توصلوا إلى أدلة تؤكد وجود أثر سلبى لزوج الأم على الأداء النفسى للطفل . ويرى أندرسون (١٩٦٨) Anderson أن الوجود المبكر لزوج الأم فى حياة الطفل قد يوفر الفرصة للطفل الذى يغيب عنه أبوه لكى يصبح منحرفًا . وبطبيعة الحال فإن نوعية العلاقة بين الطفل وزوج أمه وليس وجود زوج الأم فى حد ذاته هى التى تؤثر على نمو شخصية الطفل .

ويعتبر عمر الطفل فى الوقت الذى تتزوج فيه الأم من جديد متغيرًا حاسمًا فى هذا الصدد إذ على سبيل المثال قد يجد الطفل الصغير الذى يشعر بالحرمان من الأب من السهل عليه بل ومن الأكثر سهولة أن يتقبل زوج الأم وذلك إذا ما قورن بالمراهق الذى يكون قد قام بتكوين شعور قوى بالاستقلال ، كما أن رد فعل زوج الأم للطفل الصغير الذى يبدى له الحب والود قد يكون أكثر إيجابية منه للطفل الأكبر سنًا الذى يرفض أن يتقبل سلطته . وفى هذا الإطار تعتبر نوعية العلاقة بين الأم والطفل واتجاه الأم نحو زوجها الجديد عوامل على درجة كبيرة من الأهمية (Biller & Meredith, 1964) .

أ - أخوة الطفل وأخواته :

من الممكن أن يكون الأخوة الأكبر سنًا نماذجًا ذكرية هامة بالنسبة للأطفال إذ قد يكون للحرمان المبكر من الأب على سبيل المثال أثرًا مختلفًا على الولد الوحيد الذى يبلغ خمس سنوات من عمره وذلك بدرجة أكبر من الولد الذى لديه أخان لم يحرما هما من

أبيهما فى طفولتهما . كما أن هناك متغيرات أخرى يجب أن توضع فى الاعتبار تشمل تكرار ونوعية التفاعل بين الأخوة . إلا أنه توجد مشكلة تظهر فى العديد من الدراسات التى تتناول الأخوة إذ يفترض الباحثون وجود أو غياب نمط معين فقط من الأخوة . وتعتبر هذه المشكلة متشابهة إلى حد ما بالنسبة للدراسات التى تأخذ فقط فى الحسبان ما إذا كان والد الطفل موجودًا معه أو غائبًا عنه (Biller, 1974c) .

وهناك أدلة تؤكد على أنه فى الأسر التى بها طفلان غاب عنهما أبوهما يعانى الأولاد الذين لهم أخوة من وجود تدن فى استعداداتهم الأكاديمية بدرجة أقل من الأولاد الذين لهم أخوات بنات (Sutton-Smith, et al. 1968) . ووجد سانتروك (١٩٧٠) Santrock أن الأولاد الذين يغيب عنهم آباؤهم ويكون لهم أخوة أكبر منهم ذكورًا فقط قد حصلوا على درجات فى الذكورة وذلك فى مقابلة مع أمهاتهم عن سلوكهم المتعلق بالأدوار الجنسية أعلى من الأولاد الذين يغيب آباؤهم عنهم ولهم أخوات بنات فقط . وكامتداد لدراسة سانتروك Santrock هذه وجد ولفورد وآخرون (١٩٧١) .Wohlford, et al أن الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم ولهم أخوة ذكور أكبر منهم سنًا كانوا أقل اعتمادًا من أولئك الذين كان لهم أخوات أكبر منهم سنًا فيما يتعلق بلعب كل منهما بالدمى وذلك من خلال المقابلات التى أجريت مع أمهاتهم . ومع ذلك فلم يرتبط وجود أو عدم وجود الأخوات الأكبر سنًا بدرجات هؤلاء البنين على مقاييس الدور الجنسى ، كما لم يؤثر على مدى تأثير الأخوة الذكور الأكبر سنًا عليهم .

وعلى الرغم من أن وجود أخوة ذكور أكبر سنًا يقلل من أثر غياب الأب على الأطفال الأصغر سنًا ، فإن نتائج إحدى الدراسات التى أجريناها قد كشفت عن أن وجود الأب يعتبر عاملاً على درجة من الأهمية فى النمو الذكرى أكبر بكثير جدًا من وجود أخ أكبر (Biller, 1968a) .

ب - جماعة الأقران :

يمكن أن يلعب الأقران دورًا هامًا يتمثل فى توفير نماذج للدور الذكرى لها تأثير على الأطفال المحرومين من آبائهم . ونظرًا لأن بعض الثقافات الفرعية التى تعتبر العدوان الوسيلى والقوة الجسدية بمثابة وسائل على درجة كبيرة من الأهمية للحصول على موافقة الأقران يصبح من المحتمل بالنسبة للأولاد الذين يغيب عنهم آباؤهم أن يقلدوا أقرانهم الذين يتصفون بالذكورة وذلك بكل دقة .

وتبدو النماذج التى توفرها جماعة الأقران على درجة كبيرة من الأهمية خاصة بين الجيران من أفراد الطبقة الدنيا . ويؤكد ميلر (١٩٥٨) Miller على أهمية بعض السمات كالخشونة والاستقلالية فى نسق القيم بالنسبة للمراهقين الذكور من أفراد الطبقة الدنيا حيث يزداد تقديرهم للعدوانية عن تقدير أولئك المراهقين الذكور ممن ينتمون إلى الطبقة المتوسطة . كما أنه من بين الأنماط الذكرية التى يعجب بها البنون من أفراد الطبقة الدنيا ذلك الشاب العدوانى المولع بالقتال الذى يكتسب احترامه من خشونته وقوته (Pope, 1953) .

وقد يجد الولد قوى البنية أنه من السهل نسبيًا عليه أن يكتسب موافقة أقرانه . وبصفة عامة فإن العديد من الأولاد أقوياء البنية المحرومين من آبائهم يتصرفون بطريقة ذكرية ومؤثرة فى نفس الوقت . فعلى سبيل المثال توضح دراسة الحالة التى قمنا بإجرائها على أولاد فى الخامسة من أعمارهم أنه من الأقل احتمالاً بالنسبة للأولاد الذين يغيب عنهم آباؤهم ويتمتعون بالقوة النسبية لبنيتهم الجسمية أن يعاق نمو دورهم الجنسى وذلك عند مقارنتهم بأولئك الذين يغيب عنهم آباؤهم وتتصف بنية أجسامهم بأنها غير ذكرية (Biller, 1968a, 1969b) . فبنية جسم الولد لها قيمة مثيرة وعلى درجة كبيرة من الأهمية وذلك بالنسبة للتوقعات والتعزيزات التى ينتزعها من الآخرين ، كما أنها تعمل بالإضافة إلى العوامل التكوينية المرتبطة بها على أن تدفع به نحو النجاح أو الفشل فى القيام بأنماط معينة من النشاط . وهذا يدفعنا من ناحية أخرى إلى أن نضع فى الحسبان مدى التأثير الذى تحدثه خصائص الطفل التشريحية والمزاجية والمعرفية على سلوك الوالدين والأقران (Biller, 1974c) .

النمو الأنثوى :

توضح بعض الدراسات كدراسات هيذرنجتون وكوكس وكوكس (١٩٧٨) Hetherington, Cox & Cox وسانتروك (١٩٧٢) Santrock وونش (١٩٥٠) Winch وليسنج وآخرين (١٩٧٠) .Lessing, et al وباتش (١٩٤٦) Bach على سبيل المثال أن البنات أقل من البنين فى تأثرهن بغياب الأب ، ومع ذلك فهناك دراسات أخرى كدراسات بيلر وويس (١٩٧٠) Biller & Weiss وبيلر (١٩٧١ - أ) Biller وهيذرنجتون (١٩٧٢) Hetherington ووارشتاين وكيلى (١٩٧٦ ، ١٩٨٠ - أ) Wallerstein & Kelly على سبيل المثال تؤكد أن البنات يتأثرن بغياب الأب على الأقل

مثل البنين وذلك فيما يتعلق بنموهن الاجتماعى ونمو الجنسية الغيرية لديهن . وبالتالى يمكن القول أن اتجاه ومدى تأثير غياب الأب على البنين والبنات من الممكن أن يختلف بناءً على نوع تلك الأبعاد التى نتناولها من بين أبعاد الشخصية .

ومن الممكن بالنسبة لغياب الأب أن يؤثر على النمو الأنثوى للبنت وتوافقها العام فيما يتعلق بالجنسية الغيرية إذ يرى سيوارد (١٩٤٥) Seward أنه من الأكثر احتمالابالنسبة للنساء اللائى يرفضن الدور الأنثوى للزوجة والأم أن تنحدرن من أسر مفككة وذلك بشكل يفوق أولئك اللائى تقبلن القيام بتلك الأدوار . ويتفق وايت (١٩٥٩) White معه فى هذا الرأى حيث توصل إلى نتائج مشابهة لتلك التى توصل إليها سيوارد . ويرى لاندى وآخرون (١٩٦٧) .Landy, et al فى دراستهم التى أجروها على طالبات الجامعة أن غياب الأب خلال مرحلة المراهقة يرتبط أحيانًا برفض الاهتمامات الأنثوية من جانب هؤلاء البنات . وعلى الرغم من أن فش (١٩٦٩) Fish قد أجرت دراسة لها على مجموعة من طالبات الجامعة لم يغب عنهن آباؤهن فإن النتائج التى توصلت إليها تبدو مرتبطة بهذا الإطار أيضًا حيث وجدت أن طالبات الجامعة اللائى قررن أن آباءهن قد قضوا معهن وقتًا قليلاً خلال مرحلة طفولتهن كان مفهومهن لذواتهن أقل أنوثة قياسًا بقريناتهن اللائى قررن أن آباءهن قد قضوا معهن وقتًا معقولاً أو أطول خلال نفس المرحلة من نموهن . وتؤكد الأدلة الأنثروبولوجية أيضًا أن قضاء الأب وقت كاف مع أبنائه بنين وبنات يرتبط لدى كل منهما بالصراعات المتعلقة بالدور الجنسى (Brown, 1963, Stephens, 1962) .

ويرى جاكوبسون ورايدر (١٩٦٩) Jacobson & Ryder أن العديد من النساء اللائى غاب عنهم آباؤهن مبكرًا فى حياتهن يشتكين من وجود صعوبات فى تحقيقهن للإشباع فى علاقاتهن الجنسية مع أزواجهن حيث تعمل نقص الفرص أمام أولئك اللائى يغيب عنهن آباؤهن خلال طفولتهن لملاحظة علاقات ذات معنى بين الذكور والإناث على أن تجعل من الأكثر صعوبة بالنسبة لهن أن يطورن تلك المهارات بين الشخصية اللازمة لتحقيق التوافق فيما يتعلق بالجنسية الغيرية . وفى الواقع فإن دراسة الحالة لأولئك البنات اللائى يغيب عنهن آباؤهن غالبًا ما تمتلئ بالتفاصيل التى تتعلق بالمشكلات المرتبطة بالتفاعل مع الذكور وإقامة العلاقات معهم خاصة العلاقات الجنسية (e.g. Leonard, 1966) .

ومع ذلك فقد كشفت دراسات أخرى أن البنات اللائى يغيب عنهن آباؤهن لا تعاق فيما يتعلق بنمو اهتماماتهن المنمطة جنسيًا أو بإدراكهن لقيمة الحوافز المتعلقة بالدور الأنثوى (Hetheington, et al., 1978; Santrock, 1970). وقد وجد سانتروك (١٩٧٠) Santrock فى دراسته على الأطفال السود المحرومين من آبائهم ميلاً لدى البنات اللائى لا يغيب آباؤهن عنهن وذلك فى لعبة الدمى التى تستخدم كمقياس للدور الجنسى. وقد يرتبط المستوى المرتفع جدًا من الأنوثة من قريناتهن اللائى لا يغيب آباؤهن عنهن وذلك فى لعبة الدمى التى تستخدم كمقياس للدور الجنسى. وقد يرتبط المستوى المرتفع جدًا من الأنوثة بنمو دور جنسى صارم يحط من قدر الذكور والأنشطة الذكرية. وعلى أى حال فإنه يبدو أن لغياب الأب أثره على أداء البنت فى العلاقات بين الشخصية والعلاقات الجنسية الغيرية أكبر منه على تفضيلاتها المرتبطة بالدور الجنسى.

وغالبًا ما تجد البنت التى يغيب عنها أبوها صعوبة فى التعامل مع حفزاتها العدوانية إذ لم يجد سيرز وآخرون (١٩٤٦) Sears, et al. فى دراستهم للسلوك الذى يصدر عن الطفل فى لعبة الدمى أى دليل على أن البنات تصبحن أكثر إحباطًا عندما يتواجد معهن آباؤهن، وعلى العكس من ذلك فقد ارتبط غياب الأب بكم كبير من العدوانية من جانب البنات وخاصة العدوان على الذات. واعتبر هؤلاء الباحثون أن الدرجة المرتفعة من السلوك العدوانى الذى يصدر عن البنات فى لعبة الدمى دالة للصراع الذى ينشأ بين البنت التى يغيب عنها أبوها وبين أمها. ولاحظ هيكيل (١٩٦٣) Heckel فى دراسته الإكلينيكية سوء توافق مستمر للمدرسة، وميول جنسية مفرطة، وسلوك اجتماعى تنفيسى لدى خمس من البنات فى مرحلة ما قبل المراهقة يغيب عنهن آباؤهن. كما وجد باحثون آخرون مؤشرات مرتفعة للسلوك الجانح بين البنات اللائى تنتمين إلى الطبقة الدنيا ويغيب عنهن آباؤهن (Monahan, 1957; Toby, 1957). وقد يكون مثل هذا السلوك التنفيسى مظهرًا للإحباط الذى يرتبط بالمحاولات غير الناجحة من جانب البنت فى الارتباط بعلاقة مع ذكر راشد. ويبدو أن غياب الأب يزيد من احتمال مواجهة البنت للعديد من الصعوبات فى توافقها الشخصى.

ويؤثر التقليل من قيمة الذكورة بيولوجيًا ونفسيًا والذى يسود فى تلك الأسر التى تتمحور حول الأم نظرًا لحرمانها من الأب وذلك بشكل مغاير أو معاكس على

البنات إلى جانب تأثيرها على البنين حيث لا تتوفر فى الغالب للأطفال فى الأسر التى تنتمى إلى الطبقة الدنياالفرص للتفاعل مع الراشدين من الذكور الأكفاء . وحتى فى الأسر المتماسكة التى تنتمى إلى نفس الطبقة لا تكون علاقة الأب بابنته على مايرام إذ قد يكون عقابيًا بدرجة كبيرة ولا يعبر لابنته إلا عن القدر القليل من الحب والمودة (Elder & Bowerman, 1963) . وقد لاحظ العديد من الباحثين أن البنات السود فى الأسر التى تنتمى إلى الطبقة الدنيا واللائى يغيب آباؤهن عنهن أو يتواجدون معهن ولكنهم يكونون غير مؤثرين فإنهن سرعان ما تطورن اتجاهات إزدرائية نحو الذكور (e.g. Pettigrew, 1964) .

ومن جانب آخر فإن انخفاض منزلة الذكور والتى تسود بين الأسر السوداء التى تنتمى إلى الطبقة الدنيا قد يرجع إلى عدم مسئولياتهم الاجتماعية والاقتصادية . وتنتقل الاتجاهات السلبية نحو الذكور إلى الأبناء عن طريق أمهاتهم وجداتهم والنساء الأخريات اللائى تمثلن أهمية بالنسبة لهم . ولسوء الحظ فإن مثل هذه الاتجاهات غالبًا ما تقوى نتيجة رؤية الطفل للعلاقة المدمرة بين الذكور والإناث ، أو اشتراكه هو نفسه فى مثل هذه العلاقات . ويعتبر الحرمان من الأب فى ضوء تلك القاعدة التى تحط من قدر الدور الذكرى عاملاً هامًا فى إيجاد الصعوبات والمشكلات المستمرة التى تواجهها تلك الأسر التى تنتمى إلى الطبقة الدنيا وذلك فيما يتعلق بالتفاعل مع الذكور من الأقارب والأصدقاء والأزواج والأطفال . وبالتالى تصبح الشئون الأسرية التى تعتمد فى تصريفها على الأم متاعًا أسريًا يورث ، وينتقل على ضوء ذلك من جيل إلى آخر (Mueller & Pope, 1977; Rohrer & Edmonson, 1960) .

العلاقات بين الذكور والإناث :

تعتبر تلك الدراسة التى أجرتها هيذرنجتون (١٩٧٢) Hetheington هى أكثر الدراسات التى تناولت غياب الأب وأثره على نمو ابنته شمولاً ، وأفضلها منهجية . فكانت العينة التى أجريت عليها هذه الدراسة تضم مراهقات بيضاء تنتمين إلى الشريحة الدنيا من الطبقة المتوسطة ، وتتراوح أعمارهن بين ثلاث عشرة سنة إلى سبع عشرة سنة ممن تذهبن بانتظام إلى مركز الاستجمام . وقد أولت الباحثة اهتمامًا خاصًا للآثار المحتملة الناجمة عن غياب الأب بسبب الطلاق أو الموت . وقارنت بين ثلاث مجموعات من

البنات ، ضمت إحداها البنات اللائى غاب عنهن آباؤهن بسبب الطلاق ولم يكن لهن أى اتصال بهم منذ حدوث الطلاق ، فى حين ضمت المجموعة الثانية البنات اللائى غاب عنهن آباؤهن بسبب موتهم ، أما المجموعة الثالثة فقد ضمت البنات اللائى تعشن مع كلا الوالدين ، ومن ثم كانت هذه المجموعة الأخيرة بطبيعة الحال مجموعة ضابطة . كما حرصت الباحثة أيضًا على أن تقوم بتثبيت تلك المتغيرات المتعلقة بالأخوة فكان الترتيب الميلادى لكل البنات اللائى ضمتهن عينة الدراسة هو الأول ، ولم يكن لهن أخوة ذكور . وبالنسبة للبنات اللائى غاب عنهن آباؤهن لم يحدث أن عاش معهن بالمنزل أى راشد من الذكور وذلك بعد انفصال آبائهن عنهن .

وكان من بين أهم النتائج التى كشفت عنها هذه الدراسة أن مجموعتى البنات اللائى غاب عنهن آباؤهن تجد البنات من أفرادهما صعوبة كبيرة فى تفاعلهن مع الرجال أو مع الأقران الذكور . إلا أن مثل هذه المشكلات والصعوبات كانت تختلف بالنسبة للبنات من أبناء المطلقات عن قريناتهن من أبناء الأرامل حيث كانت تميل البنات من أبناء المطلقات إلى العدوانية ومنافسة الذكور ، فى حين كانت تميل البنات من أبناء الأرامل إلى الخجل المفرط وإلى الجبن فى علاقاتهن مع الذكور . وفى المقابل كانت البنات من المجموعات الثلاث بوجه عام على علاقة جيدة بأمهاتهن وبالراشدات الإناث وبقريناتهن ، ويستثنى من ذلك أولئك البنات اللائى يغيب عنهن آباؤهن بسبب الطلاق حيث بدين أكثر اعتمادًا على النساء . وتتفق هذه النتيجة الأخيرة المتعلقة بزيادة اعتماد البنات المنفصلات عن آبائهن على الأم مع النتائج التى توصل إليها لين وسورای (١٩٥٩) Lynn & Sawrey .

وقد كشفت الملاحظة التى تمت لهؤلاء البنات فى مركز الاستجمام أنه عند مقارنة البنات من أبناء المطلقات مع غيرهن من البنات كن يستعين إلى الحصول على اهتمام أكبر من جانب الرجال ، كما حاولن أن يكن تربيات من أقرانهن الذكور وأن يكون لهن اتصال جسمى بهم. أما البنات من أبناء الأرامل فقد حاولن أن تبتعدن عن الأماكن التى يوجد بها رجال وأن يتجنبنهن ، وفضلن فى المقابل أن يتواجدن مع إناث أخريات . وعند مقارنة مجموعة البنات من أبناء الأرامل مع غيرهن من البنات كن أقلهن فيما يتعلق بالنشاط الجنسى الغيرى ، أما البنات من أبناء المطلقات فكن أكثر منهن فى نشاطهن الجنسى الغيرى .

وعند إجراء المقابلات مع هؤلاء البنات كانت البنات من أبناء الأرامل تجلسن بعيدًا بقدر المستطاع عن الباحثين الرجال الذين يجرون معهن تلك المقابلات ، فى حين كانت تجلس البنات من أبناء المطلقات أقرب ما يكون منهم، أما البنات اللائى تنتمين إلى أسر متماسكة فكن بوجه عام يجلسن على مسافة معقولة جدًا منهم ، أى لا هى بالقريبة ولا هى بالبعيدة عنهم .

وإلى جانب ذلك فقد كانت البنات من أبناء الأرامل تتخذن أوضاعًا فى جلستهن تمكنهن من أن يتحاشين الباحثين الرجال الذين يجرون المقابلات معهن ، فكن فى الغالب يجلسن بثبات وصلابة فى وضع عمودى ، ويملن للخلف بعض الشئ مع الإبقاء على رجليهن ملتصقتين معًا طوال الوقت ، Kept their Legs together كما حاولن ألا تلتقى أعينهن بأعين الباحثين الرجال إلى قليلاً . وفى المقابل كانت تميل البنات من أبناء المطلقات إلى أن تتمددن فى كراسيهن ، وكن تجلسن فى أوضاع تبقى على رجليهن مفتوحتين have an open leg pcsture كما كن تنحنين بعض الشئ للأمام ، وكن تبقين على أعينهن كثيرًا تتلاقى مع أعين الباحثين الرجال ، وكن أيضًا دائمات الابتسام .

كما وجد نيلسين وفانجين (١٩٧١) Nelsen & Vangen أن البنات السود من طالبات الصف الثامن ممن تنتمين إلى الطبقة الدنيا ويغيب عنهن آباؤهن بسبب الطلاق أو الانفصال كن أكثر تبكيرًا بمواعدة الشبان وبمعرفة الجنس وذلك بشكل يفوق قريناتهن اللائى تعشن مع آبائهن . ورأى الباحثان أن الأب حينما يتواجد بالمنزل فإنه يصبح عاملاً هامًا فى وضع الحدود التى تتعلق بالسلوك الجنسى لابنته ، ولكن حينما يغيب عن المنزل يحدث انخفاض فى معدل السيطرة الوالدية عليها .

ومع ذلك فإن وجود الأب خلال مرحلة المراهقة أو خلال المراهقة المبكرة لا يبدو أنه يمثل العامل الرئيسى فى منع حدوث المشكلات الجنسية للبنت . وكما كشفت النتائج الخاصة بنمو البنين فإن هيذرنجتون Hetherington وجدت أن البنات أيضًا يصادفن أكبر عدد من المشكلات التى ترتبط بعلاقاتهن الجنسية الغيرية حينما يكون غياب الأب قد بدأ قبل بلوغهن الخامسة من أعمارهن حيث عادة ما يرتبط الغياب المبكر للأب بالسلوك غير الملائم فيما يتعلق بعلاقة البنات بالذكور بوجه عام وذلك بشكل يفوق نتائجه إذا حدث بعد تجاوزهن هذه السن على الرغم من أن الفروق بينهما كمجموعتين مستقلتين على المقاييس المستخدمة لم تكن دالة .

ومن ناحية أخرى فقد اتضح أن الغياب المبكر للأب يرتبط بالحماية الزائدة من جانب الأم . ويعتبر هذا دليلاً آخر على أن الغياب المبكر للأب يرتبط بالحماية الزائدة من جانب الأم بدرجة تفوق ارتباطه بها إذا حدث ذلك الغياب فى وقت متأخر نسبيًا من حياة الطفل (e.g. Biller & Bahm, 1971) . إلا أن هاينلاين وفياج (١٩٧٨) Hainline & Feig قد توصلا إلى نتائج تختلف عما توصلت إليه هيذرنجتون (١٩٧٢) Hetherington . ويمكن أن يرجع ذلك إلى اختلاف العينة التى أجريا عليها دراستهما هذه حيث كانت من بين طالبات الجامعة ممن تختلف خلفياتهن الاجتماعية الثقافية عن تلك الخاصة بدراسة هيذرنجتون والتى لا نزال بصدد الحديث عنها .

وهناك أدلة إضافية تقدمها هيذرنجتون فى دراستها تلك تؤكد أهمية أن نضع فى الحسبان السياق الأسرى فى الأسر التى يغيب عنها الأب ، وسبب غياب الأب إذ أن البنات من أبناء الأرامل قد تذكرن إقامة علاقات أكثر إيجابية مع آبائهن ، كما وصفنهن بأنهم كانوا أكثر دفء ومودة وأكثر كفاءة وصلاحية وذلك عند مقارنتهن بقريناتهن من أبناء المطلقات . ومن ناحية أخرى فقد رسمت الأمهات المطلقات أيضًا صورًا سلبية جدًا لزيجاتهن وأزواجهن السابقين . وكانت بناتهن أقل فى تقديرهن لذواتهن . إلا أن بنات الأرامل لم تختلفن عن البنات اللائى يعشن مع كلا الوالدين فى صورهن ومفهومهن لذواتهن . ومع ذلك فقد كانت لدى البنات من كلا المجموعتين التى يغيب عنهما الأب بالطلاق أو الموت مشاعر أقل تتعلق بالسيطرة على حياتهن ، كما كن أكثر قلقًا عند مقارنتهن بالبنات اللائى يعشن مع كلا والديهن .

وترى هيذرنجتون Hetherington أن هناك تأثيرًا مستمرًا لغياب الأب على نمو البنت حتى عندما تصل إلى مرحلة الرشد (Hetherington & Parke, 1979) حيث قامت بمتابعة نمو البنات من أبناء المطلقات ، ومن أبناء الأرامل ، وقريناتهن من الأسر المتماسكة وذلك لعدة سنوات . واتضح أن البنات من أبناء المطلقات كانت لهن علاقات جنسية غيرية مضطربة ، وكان من المحتمل بالنسبة لهن أن يتزوجن فى سن مبكرة عن قريناتهن من المجموعتين الأخريتين ، كما كان من المحتمل أيضًا أن يتزوجن وهن من الحوامل . كذلك فقد تم بالفعل طلاق بعضهن من أزواجهن أو انفصالهن عنهم . وتوضح البيانات المختلفة التى تم الحصول عليها سواء عن طريق إجراء المقابلات معهن ،

أو ملاحظتهن ، أو عن طريق تطبيق بعض المقاييس عليهن أنهن قد تزوجن من رجال أقل كفاءة منهن وذلك عند مقارنتهن بقريناتهن من المجموعتين الأخيرتين حيث كان أزواجهن ذوى مستوى تعليمى منخفض عنهن وذوى مستوى للإنجاز المهنى أكثر انخفاضًا عنهن أيضًا ، كما كانوا ممن يقعون تحت طائلة القانون نتيجة ارتكابهم لعدد كبير من المخالفات التى يعاقب عليها القانون . وكان لهؤلاء الرجال أيضًا اتجاهات سلبية نحو زوجاتهم وأطفالهم وكانوا يجدون صعوبة أكبر فى السيطرة على حفزاتهم وعلى أن يتصرفوا بطريقة تتميز بالنضج الانفعالى وذلك قياسًا بأزواج قريناتهن من المجموعتين الأخريين .

وعلى العكس من ذلك فهناك من الأدلة ما يؤكد على أن البنات من أبناء الأرامل أكثر ميلاً إلى أن يتزوجن من رجال ناجحين مهنيًا وطموحين ، ويتسمون بقدرتهم على السيطرة على حياتهم وبكبح جماح علاقاتهم الاجتماعية . وتوضح نتائج الدراسة التتبعية التى أجرتها هيذرنجتون بوجه عام أن النساء اللائى تنتمين إلى أسر متماسكة تميل إلى القيام بأكثر الاختيارات الزواجية واقعية ، كما تحقق درجة من الإشباع فى علاقتهن الجنسية مع أزواجهن أكبر مما يمكن أن تحققه قريناتهن من النساء اللائى تنتمين إلى أى من المجموعتين التى انفصل عنهن آباؤهن سواء بالموت أو الطلاق (Hetherington & Parke, 1979) .

الأداء المعرفى للطفل :

من الملاحظ أن العديد من الأدلة التى تؤكد على أهمية الأب فى النمو المعرفى للأبناء قد اشتقت فى الأصل وبطريقة غير مباشرة من تلك الدراسات التى تقوم على المقارنة بين المستوى المعرفى للأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم وبين أقرانهم الذين يعيشون مع كلا الوالدين . ويعتبر سوزارلاند (١٩٣٠) Sutherland هو أول من تناول الحرمان العقلى بين الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم . وقد اكتشف فى إحدى دراساته الطموحة التى أجراها على عينة من الأطفال الأسكتلانديين أن الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم قد حصلوا على درجات أقل بشكل ذى دلالة إحصائية قياسًا بأقرانهم الذين لم يغب آباؤهم عنهم . إلا أن بعض التحليلات الخاصة التى تتعلق ببعض المتغيرات مثل طول مدة غياب الأب ، وجنس الطفل ، والمستوى الاقتصادى الاجتماعى للأسرة لم تشملها دراسته هذه . ولكن هناك عددًا من الدراسات الأحدث بكثير من هذه الدراسة والأفضل منها فى منهجيتها تتفق

بشكل عام مع ما توصل إليه من حيث تأثر المستوى المعرفى للطفل بغياب الأب إذ توصلوا إلى أنه من الأقل احتمالاً بالنسبة للأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم - على الأقل ممن ينتمون إلى الطبقة الدنيا - أن يكون أداؤهم على اختبارات الذكاء واختبارات الاستعدادات جيدًا وذلك عند مقارنتهم بأقرانهم من الأطفال الذين يعيشون مع كلا الوالدين أى الذين لا يغيب عنهم آباؤهم (e.g. Blanchard & Biller, 1971; Santrock, 1972) .

ويرى ماكسويل (١٩٦١) Maxwell أن غياب الأب بعد بلوغ الطفل الخامسة من عمره يؤثر سلبًا على أداء الأطفال فى بعض المهام المعرفية إذ وجد عند تحليله لدرجات مجموعة كبيرة من الأطفال تتراوح أعمارهم بين ثمانى سنوات وثلاثة عشرة سنة ممن تم تحويلهم إلى العيادة النفسية البريطانية British Psychiatric clinic وذلك على اختبار وكسلر للذكاء Wechsler Intelligence Test وجد أن الأطفال الذين غاب عنهم آباؤهم منذ بلوغهم الخامسة من أعمارهم كان أداؤهم أقل من المعايير الخاصة بأعمارهم وذلك على عدد من الاختبارات الفرعية كما حصلوا على درجات أقل فى المهام التى تعكس المعرفة الاجتماعية ، وإدراك التفاصيل ، والمهارات اللفظية . وكان غياب الأب منذ بلوغ الطفل الخامسة من عمره هو المتغير الوحيد الذى يتصل بالخلفية الأسرية الذى ارتبط بدرجات الأطفال فى الاختبار الفرعى . ويبدو من المدهش أنه لا توجد هناك أى نتائج تتعلق بأثر غياب الأب على الطفل قبل بلوغه الخامسة من عمره .

وقد درس سوتن - سميث وآخرون (١٩٦٨) .Sutton-Smith, et al العلاقة بين غياب الأب ودرجات طلاب السنة الثانية بالجامعة فى اختبار الاستعدادات وهو الاختبار الذى يطبق على الطلاب عند التحاقهم بالجامعات فى أمريكا . وعرف هؤلاء الباحثون غياب الأب بأنه عدم وجود الأب بالمنزل لمدة لا تقل عن سنتين متتاليتين على الأقل . وعند مقارنة درجات الطلاب الذين يغيب عنهم آباؤهم بدرجات أقرانهم الذين لم يغب آباؤهم عنهم كان مستوى أداء الطلاب غائبى الأب على الاختبار أقل فيما يتعلق بالاستعدادات اللفظية واللغوية والدرجات الكلية للاختبار . وعلى الرغم من أنه يبدو أن غياب الأب له آثاره على كل من الذكور والإناث على حد سواء فإن تأثيره يبدو أكبر على البنين منه على البنات . كما أن هناك اختلافًا فى تأثير غياب الأب كدالة لجنس الطفل وجنس أخيه إذ اتضح على سبيل المثال أنه فى الأسر التى بها طفلان ويغيب عنهما أبوهما

كان الأولاد الذين لهم أخوة ذكور أقل فيما يتعلق باستعدادهم الأكاديمى وذلك قياسًا بالأولاد الذين لهم أخوات بنات . وعلى العكس من ذلك كانت البنت الوحيدة فى الأسرة والتى لم يغب عنها أبوها تبدو فى وضع متميز فيما يتعلق بدرجاتها على اختبار الاستعدادات .

وفى دراسة أخرى ترتبط بنفس الفكرة وجد لاندى وآخرون (١٩٦٩) Landy, et al. أن غياب الأب له أثر سلبى على الاستعدادات الكمية Quantative لطالبات الجامعة حيث كان هناك ارتباط ذو قيمة عالية بين الغياب الكلى للأب قبل بلوغ البنت العاشرة من عمرها وبين النقص فى استعدادها الكمى . كما كشفت النتائج التى توصلوا إليها أيضًا أن غياب الأب حينما يتراوح عمر الطفل بين الثالثة والسابعة يكون له آثاره السلبية على الاستعداد الأكاديمى لذلك الطفل .

وقد أجرى ليسنج وآخرون (١٩٧٠) Lessing, et al. واحدة من أكثر الدراسات الموسعة عن أثر غياب الأب على الأداء المعرفى للأطفال . وشملت عينة دراستهم هذه خمسمائة طفلاً تتراوح أعمارهم بين تسع سنوات وخمس عشرة سنة ممن كانوا يترددون على مركز إرشاد الأطفال Children Guidance Clinic واكتشفوا وجود علاقة دالة بين غياب الأب وأداء الطفل على اختبار وكسلر Wechsler لذكاء الأطفال . وتم تعريف غياب الأب على أنه انفصال الأب عن الأسرة أو عدم وجوده بين أعضائها لمدة سنتين أو أكثر ، وليس بالضرورة أن تكون مدة هذا الانفصال متصلة .

ومن ناحية أخرى فقد ارتبط غياب الأب بالنسبة لكل من البنين والبنات على السواء بالانخفاض النسبى فى قدراتهم على الأداء فى كل من المهام الإدراكية - الحركية Perceptual-motor ومهام التحويرات أو التغييرات المكانية ، وتعرف هذه المهام باسم مهام وضع العراقيل أمام الطفل وتوليف أجزاء الموضوع المستهدف . Block design and object assembly كما حصل البنون الذين يغيب عنهم آباؤهم على درجات فى اختبار فرعى للرياضيات أكثر انخفاضًا من أقرانهم الذين لم يغب عنهم آباؤهم . وفى ضوء المعايير التى يضعها المجتمع الأمريكى فإن هذه المهام تتطلب الاستعدادات الذكرية . ويرى كورتيز وفليمنج (١٩٦٨) Cortes & Fleming فى دراستهما على البنين السود من تلاميذ المرحلة الابتدائية أن هناك علاقة بين غياب الأب وبين ضعف أداء الأطفال فى الرياضيات .

وتدل نتائج الدراسة التى أجراها ليسنج وآخرون Lessing, et al. والتى تناولناها سابقًا على وجود علاقات وتفاعلات معقدة بين غياب الأب والطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها حيث كان الأداء المعرفى للأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم والذين ينتمون إلى الطبقة العاملة فى مستوى أقل انخفاضًا من أقرانهم الذين لم يغب عنهم آباؤهم ، كما كانوا أقل قدرة على الأداء اللفظى وعلى الأداء فى كل من المهام الإدراكية - الحركية ومهام التحويرات أو التغييرات المكانية . وعند مقارنة أداء أطفال الطبقة المتوسطة الذين يغيب عنهم آباؤهم بأداء أقرانهم ممن لم يغب عنهم لم يتضح وجود دليل على أن أداء الأطفال يعاق بسبب غياب الأب وذلك على الرغم من حصول الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم على درجات أكثر انخفاضًا من أقرانهم الذين لم يغب عنهم آباؤهم وخاصة فى مهام وضع العراقيل أمام الطفل وتوليف أجزاء الموضوع المستهدف ، إلا أنهم فى نفس الوقت قد حصلوا على درجات فى الذكاء اللفظى أكثر ارتفاعًا من أقرانهم الذين لم يغب آباؤهم عنهم .

ووجد هؤلاء الباحثون أيضًا أن الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم ولكن يعيش معهم فى المنزل بديل الأب كزوج الأم على سبيل المثال لم تختلف درجاتهم على اختبار الذكاء عن درجات أقرانهم الذين لم يغب عنهم آباؤهم . وبوجه عام فإن عدم وجود نموذج بشرى للأب فى المنزل هو الذى يتسبب فى معظم الفروق التى توجد بين الأطفال الذين يغيب آباؤهم عنهم وبين أقرانهم الذين لم يغب آباؤهم . ويمكن تفسير تلك الفروق التى كشفت عنها الدراسة فى ضوء ما يوفره زوج الأم من نموذج ذكرى للطفل وما يسببه من زيادة فى حالة الاستقرار بالمنزل .

وتعتبر هذه الدراسة ذات أهمية خاصة ، فمن ناحية تم إجراء تعديلات فى هذه الدراسة على ما تم القيام به فى الأبحاث التى أجريت من قبل والتى حاولت ربط غياب الأب بأوجه القصور فى الجانب العقلى للطفل إذ يوجد بها على سبيل المثال تفاصيل أكثر فى تحليل الفروق بين الجنسين ، والطبقة الاجتماعية ، ومجالات معينة للأداء العقلى للطفل . وبوجه عام فقد اتضح من خلالها وعى الباحثين بالمتغيرات التى يحتمل أن تتفاعل مع غياب الأب . ومع ذلك فهناك عدد من الأسئلة يمكن إثارتها فيما يتعلق بمنهجية البحث إذ أنه من بين أوجه النقد التى يمكن توجيهها لهذه الدراسة أنها اعتمدت

فقط على النتائج التى اشتقت من عينة أختيرت من مركز إرشاد الأطفال . كما أن بها نقطة ضعف شبيهة بتلك التى توجد فى غالبية الدراسات السابقة لها حيث لم يتم تحديد المتغيرات المرتبطة بغياب الأب ووجوده بوضوح كاف . وكان المحك الرئيسى لغياب الأب هو انفصاله عن المنزل لمدة سنتين أو أكثر والتى لا يجب بالضرورة لتلك الفترة الزمنية أن تكون متصلة .

وكذلك فمن بين الأسئلة التى يمكن أن تثار حول هذه الدراسة تلك الأسئلة التى تتعلق بما إذا كان عمر الطفل عند بداية غياب الأب يرتبط بأدائه العقلى أم لا ، كما لم يول الباحثون اهتمامًا بنوعية العلاقة بين الأب والطفل أو بالمدة التى يقضيها الأب بالمنزل والتى تسمح للطفل بالاستفادة منه وذلك فى الأسر المتماسكة أى التى لا يغيب الآباء فيها عن أطفالهم . وتعتبر أوجه القصور هذه وغيرها هى التى تتسبب فى نقص النتائج الحاسمة فى بعض الدراسات فيما يتعلق بأثر غياب الأب على الأداء الأكاديمى للطفل (Biller, 1974c; Herzog & Sudia, 1973) .

الحرمان المبكر من الأب :

حاول بلانشرد وبيلر (١٩٧١) Blanchard & Biller تحديد مستويات مختلفة لمدى تواجد الأب بالمنزل ، وأن يتحققا من علاقة هذه المستويات بالأداء الأكاديمى للبنين من تلاميذ الصف الثالث الابتدائى . وإلى جانب ذلك فقد درسا التوقيت الذى بدأ فيه غياب الأب ، ودرجة التفاعل بين الأب والابن فى الأسر التى لا يغيب الأب عنها . وكان البنون الذين تضمنتهم وتكونت منهم عينة الدراسة من ذوى الذكاء المتوسط ، وكان بعضهم ينتمى إلى الطبقة العاملة ، والبعض الآخر إلى الشريحة الأدنى من الطبقة المتوسطة . وقد شملت العينة أربع مجموعات من هؤلاء البنين ، يغيب الأب عن أفراد اثنتين منها ، فى حين يتواجد الأب مع أفراد الاثنتين الأخريتين . وضمت المجموعة الأولى البنين الذين غاب عنهم آباؤهم فى وقت مبكر من حياتهم وذلك قبل بلوغهم الثالثة من أعمارهم ، وضمت الثانية البنين الذين غاب عنهم آباؤهم فى وقت متأخر من طفولتهم وذلك بعد بلوغهم الخامسة ، فى حين ضمت المجموعة الثالثة أولئك الذين يقضى معهم آباؤهم قدرًا ضئيلاً من الوقت وذلك أقل من ست ساعات أسبوعيًا ، بينما ضمت المجموعة الرابعة البنين الذين يقضى آباؤهم معهم وقتًا كبيرًا وذلك أكثر من ساعتين يوميًا . ولتثبيت المتغيرات الأخرى

غير مدى تواجد الأب بالمنزل والتى يمكن أن تؤثر على الأداء الأكاديمى للطفل تمت مجانسة أفراد العينة جميعًا ، فحدثت مجانسة لكل طفل فى المجموعة التى غاب عنها الأب فى سن مبكرة من حياتهم مثلاً مع طفل آخر من مجموعة من المجموعات الثلاث الأخرى فيما يتعلق بالسمات المشابهة من حيث السن ومستوى الذكاء ، والمستوى الاقتصادى الاجتماعى لأسرة الطفل ، ومدى وجود أو عدم وجود أخوة ذكور له .

واستخدم الباحثان اختبارًا للتحصيل وتقديرات التلاميذ فى فصولهم وذلك لقياس أدائهم الأكاديمى . وكان من المفترض أن يستخدما الدرجات التى حصل عليها هؤلاء الأطفال فى المدرسة ، إلا أنها لم تكن جاهزة لدى معلميهم حتى بعد عقد الاختبارات النهائية لهم . وأوضحت النتائج أن أفراد المجموعة التى كان يقضى معهم آباؤهم وقتًا أطول كانوا كمجموعة هم أفضل هذه المجموعات على الإطلاق . أما المجموعة التى غاب الأب عن أفرادها فى وقت مبكر من حياتهم فكان أفرادها هم أقل المجموعات تحصيلاً . وكانت المجموعتان الأخريتان وهما تلك التى غاب الأب عن أفرادها فى وقت متأخر من طفولتهم ، وتلك التى يقضى الأب مع أفرادها قدرًا ضئيلاً من الوقت فكان أداؤهم الأكاديمى أقل نوعًا ما من المستوى العام للتلاميذ فى نفس السنة الدراسية ، فى حين كان أداء أفراد العينة التى يقضى الأب مع أفرادها وقتًا طويلاً يزيد عن هذا المعدل .

ويتضح أن الأداء الأكاديمى للأطفال الذين حرموا من آبائهم فى وقت مبكر من حياتهم قد أعيق من جراء هذا الحدث فكانت درجاتهم على الاختبار التحصيلى هى أقل الدرجات ، كما كانت تقديراتهم فى الفصول هى الأقل أيضًا . ومن ناحية أخرى كان أداؤهم فيما يتعلق بالمهارات الرياضية واللغوية أدنى من المستوى العام لتلاميذ السنة الدراسية الثالثة والتى كان هؤلاء الأطفال تلاميذًا بها . وعند مقارنتهم بأقرانهم ممن يقضى معهم آباؤهم وقتًا طويلاً اتضح تدنيهم عنهم بدرجة كبيرة فى المهارات المتعلقة بقطع الفهم أو الاستيعاب .

ويقدم سانتروك (١٩٧٢) Santrock دليلاً إضافيًا يؤكد من خلاله أن الغياب المبكر للأب يضعف بدرجة كبيرة وذات دلالة من مستوى الأداء المعرفى للأطفال إذ يرى أنه من بين الأطفال الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا كان أولئك الذين غاب عنهم آباؤهم قبل بلوغهم الخامسة ، وأقرانهم الذين غاب عنهم آباؤهم قبل الثانية من أعمارهم قد حصلوا

على أقل الدرجات وبشكل ذى دلالة وذلك على اختبار أوتيس للذكاء ، Otis Quick Test وعلى الاختبار التحصيلى المستخدم عندما كانوا بالصفين الثالث والسادس وذلك قياسًا بأقرانهم الذين ينتمون إلى أسر متماسكة . وكانت أكثر الآثار الناجمة عن غياب الأب ضررًا هى تلك التى نجمت إذا كان غيابه قد تم بسبب الطلاق أو الهجر أو الانفصال ، أما أقلها ضررًا فكانت تلك التى نجمت إذا كان الغياب قد تم بسبب الموت . كما تؤكد نتائج هذه الدراسة أيضًا وجود آثار علاجية إيجابية لزوج الأم على الأولاد وخاصة إذا كان زوج الأم قد ارتبط بالأسرة قبل بلوغ الابن الخامسة من عمره .

وتؤكد هيذرنجتون وكوكس وكوكس (١٩٧٨) Hetherington, Cox & Cox أن غياب الأب فى سن مبكرة من عمر الطفل يعوق نموه المعرفى إذ وجدت فروقًا دالة فى الأداء المعرفى للأطفال البنين الذين يبلغون من العمر خمس وست سنوات الذين حرموا من آبائهم لمدة سنتين بسبب الطلاق وبين أقرانهم من الأسر المتماسكة حيث حصل البنون من الأسر المتماسكة على درجات مرتفعة بشكل دال فى مهام وضع العراقيل ، والمتاهات ، والاختبارات الفرعية للرياضيات . كما حصلوا أيضًا على درجات مرتفعة فى اختبار الذكاء . وتوضح نتائج هذه الدراسة أيضًا أن قلة وجود الأب بالمنزل فى الأسر المطلقة خلال العامين التاليين للطلاق يعتبر عاملاً أساسيًا فى الأداء المنخفض لأبنائهم البنين عن أقرانهم من الأسر المتماسكة . وعلى النقيض من ذلك فلم توجد فروق حاسمة فى الأداء المعرفى بين البنات اللائى يغيب عنهن أباؤهن وبين قريناتهن من الأسر المتماسكة .

وفى دراستهما عن العلاقة بين غياب الأب والقدرات العقلية للأبناء والتى أجرتها كارل سميث (١٩٦٤) Carlsmith على البنين بالمرحلة الثانوية ممن ينتمون إلى الطبقة المتوسطة وإلى الشريحة العليا من الطبقة المتوسطة الذين غاب عنهم آباؤهم فى وقت مبكر من حياتهم بسبب الخدمة العسكرية للآباء خلال الحرب العالمية الثانية واستخدمت مقياس الاستعدادات الذى يطبق على الطلاب عند التحاقهم بالجامعة . ووجدت أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للبنين الذين غاب عنهم آباؤهم منذ وقت مبكر من حياتهم أن يحصلوا على درجات فى الاختبار تدل على أنماط أنثوية للاستعدادات . وعند مقارنتهم بالنمط الذكرى الخالص الدال على درجات مرتفعة فى الرياضيات عنها فى الاستعدادات اللغوية حصل أولئك الذين مروا بخبرة الانفصال المبكر عن الأب على درجات أكثر ارتفاعًا فى الاستعدادات اللفظية اللغوية عنها فى الاستعداد للرياضيات . ورأت كارل سميث بناء على

ذلك أنه كلما كان غياب الأب عن الأسرة قد حدث فى وقت مبكر من عمر الطفل كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للولد أن يحصل على درجات فى الاستعدادات اللفظية اللغوية أعلى من درجاته فى الاستعداد للرياضيات . ويكون أثر هذا الغياب هو الأقوى على الإطلاق إذا كان قد حدث عند ميلاد الطفل واستمر لمدة ثلاثين شهرًا . ومن المعروف ان الدرجات الأعلى في القدرات اللفظية اللغوية عنها فى الاستعداد للرياضيات تمثل النمط المميز لأداء البنات ، وترى كارل سميث أنه يعكس الأسلوب الكلى الأنثوى فى الأداء المعرفى . ومن ناحية أخرى فإن النتائج التى توصلت إليها دراسات أخرى عديدة قد كشفت أيضًا عن وجود علاقة بين غياب الأب وحصول البنين على درجات فى الاختبار تعكس النمط الأنثوى للاستعدادات (e.g. Altus, 1958; Nelsen & Maccoby, 1966) .

وتحقق الدراسة التى أجراها باركلاى وكوزومانو (١٩٦٧) Barclay & Cusumano صحة الفرض القائل بأن الصعوبات التى يواجهها الأبناء فى أدائهم التحليلى غالبًا ما ترتبط بغياب الأب . وباستخدام مقياس ويتكين Witkin للأساليب المعرفية وجدا أن البنين المحرومين من آبائهم كانوا أكثر اعتمادًا على المجال من أقرانهم غير المحرومين من آبائهم . ويرى ولفورد وليبرمان (١٩٧٠) Wohlford & Liperman أن الانفصال عن الأب بعد السادسة من العمر الطفل يرتبط بالاعتماد على المجال بين تلاميذ المرحلة الابتدائية بمدينة ميامى Miami الأمريكية . واستخدما لذلك اختبار الأشكال المتضمنة . Embedded Figures وكشفت الدراسة عن أن أولئك الأطفال الذين يعتمدون على المجال يجدون صعوبة في تجاهل الإشارات البيئية غير المتصلة بالموضوع وذلك فى تحليلهم لأنماط معينة من المشكلات .

ووجد لودين (١٩٧٣) Louden فى دراسته الموسعة على طلاب الجامعة أن كلاً من البنين والبنات الذين حرموا من آبائهم خلال طفولتهم كانوا أكثر اعتمادًا على المجال قياسًا بأقرانهم الذين لم يحرموا من آبائهم خلال نفس المرحلة . وتم تعريف غياب الأب على أنه الغياب المستمر للأب أو بديله عن المنزل مدة لا تقل عن ثلاث سنوات خلال واحدة من الفترات العمرية الثلاث التالية للطفل :

١ - من الميلاد حتى خمس سنوات من العمر .

٢ - من السادسة إلى الثانية عشرة من العمر .

٣ - من الثالثة عشرة إلى الثامنة عشرة من العمر .

وقام بقياس الاعتماد - الاستقلال عن المجال مستخدمًا اختبار الأشكال المتضمنة ، ووجد أن غياب الأب خلال كل مرحلة من المراحل الثلاث التى حددها يرتبط بدرجة من الاعتماد على المجال أكبر من ارتباط هذه الدرجة بوجوده أو عدم غيابه . إلا أن غياب الأب فى الدراسة التى أجراها ولفورد وليبرمان Wehlford & Liberman والتى أشرنا إليها سابقًا وخاصة عندما يكون الطفل فى المرحلة العمرية من ست سنوات إلى اثنتى عشرة سنة يرتبط إلى درجة كبيرة بالاعتماد على المجال حيث تعتبر هذه المرحلة هى أكثر المراحل ارتباطًا بالاعتماد على المجال . ويرى لودين Louden أن السبب فى ذلك يعود إلى أن تلك المرحلة تعتبر ذات أهمية خاصة فى نمو القدرة على التكيف من جانب الطفل للتغيرات البيئية . وبالتالى تدل هذه النتائج إجمالاً على أن للأب دوره الهام والأساسى خلال المراحل المختلفة لنمو الطفل .

المتغيرات الاجتماعية والثقافية :

يرى برونفينبرينر (١٩٦٧) Bronfenbrenner أن الحرمان من الأب غالبًا ما يعتبر عاملاً أساسيًا يساهم فى الحرمان البيئى . ويبدو أن غياب الأب يعوق نمو الأطفال وخاصة أطفال الطبقة الدنيا حيث وجد بعض الباحثين أن الأطفال السود الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا ممن يغيب عنهم آباؤهم قد حصلوا على درجات فى اختبارات الذكاء واختبارات التحصيل أقل بشكل ذى دلالة من تلك الدرجات التى حصل عليها أقرانهم الذين لم يغب عنهم آباؤهم (e.g. Deutsch, 1960; Cortes & Flemming, 1968) .

وترى رادين (١٩٧٦) Radin أن نتائج العديد من الدراسات لم تكشف عن وجود قصور معرفي بين الأطفال السود يرتبط بغياب الأب . ولاحظت شين (١٩٧٨) Shinn أيضًا أنه يبدو أن هناك ثباتًا في تأثير غياب الأب على الأطفال البيض أكثر منه على الأطفال السود . ومع ذلك فلم تشر إلى أن أكثر من نصف الدراسات التي تتميز بمنهجيتها الجيدة والتى أجريت على الأطفال السود قد كشفت عن نتائج تؤكد على الأثر السلبي لغياب الأب على الأداء المعرفي للأطفال إذ وجد بيدرسين وآخرون (١٩٧٩) Pedersen, *et al.* على سبيل المثال في دراستهم عن الأطفال السود الذين كانوا فى مرحلة المهد أن الأطفال الذين لم يغب عنهم آباؤهم قد حصلوا على درجات على مجموعة من مقاييس النمو المعرفى أعلى من أقرانهم الذين يغيب عنهم آباؤهم .

وقد اقتبست رداين (١٩٧٦) Radin عن كولمان وآخرين (١٩٦٦) Coleman, *et al.* نتائج تدل على أن غياب الأب قد يكون أكثر ضررًا في المجتمعات التى يلعب فيها الأب بوجه عام دورًا قويًا . وعندما يحدث هذا الغياب يكون من الأكثر احتمالاً أن يفقد الأطفال مصدرًا للإثارة المعرفية على درجة كبيرة من الأهمية إذ وجد كولمان وآخرون (١٩٦٦) أن الأطفال الأمريكيين الشرقيين والأمريكيين المكسيكيين قد تأثروا سلبًا بغياب الأب على الرغم من عدم حدوث تأثير سلبي للأطفال السود ممن ينتمون إلى الطبقة الدنيا . ويرى باحثون آخرون أن غياب الأب قد لا يكون له هذا التأثير الضار وخاصة فى المجتمعات التى تلعب فيها الأم الدور الأكبر فى التأثير على الأسرة ووضعها الاقتصادى (Hunt & Hunt, 1975, 1977) .

وإذا أردنا أن نصل إلى فهم أعمق وأشمل لآثار الحرمان من الأب على النمو المعرفى للأطفال فإن علينا أن نضع المتغيرات الاجتماعية الاقتصادية وتلك الاجتماعية الثقافية فى الحسبان وذلك بكثير من الحرص حيث يمثل عدم وجود مقارنات في بعض الدراسات بين أفراد من خلفيات اجتماعية مختلفة مشكلة فى تلك الدراسات خاصة وأن المجموعات المحرومة ثقافيًا وأعضاء المهن ذات الياقات الزرقاء مثل سائقى المعدات الثقيلة والعمال المهرة بالمصانع غالبًا ما نعتبرهم من الطبقة الدنيا . ويقوم مثل هذا التصنيف المعمم بحجب أو إخفاء العلاقات المحتملة (Biller, 1971a) فنقول على سبيل المثال أن الغياب المتكرر للأب يحدث فى الأسر المحرومة ثقافيًا بشكل يفوق حدوثه بين الأسر التى تنتمى إلى الطبقة العاملة .

ومن الصعب جدًا أن نتخلص من هذا التصنيف لأن الأسرة التى تنتمى إلى الطبقة العاملة يمكن أن يعاد تصنيفها من جديد لتصبح محرومة ثقافيًا وفقًا لذلك التصنيف الجديد ، أو تنتمى إلى الطبقة الدنيا وذلك إذا ما غاب الأب عنها . ويشير هيرزوج وسوديا (١٩٧٣) Herzog & Sudia أن هناك وسائل غيرمناسبة لضبط مستويات الدخل عند إجراء الدراسات على الأطفال الذين ينتمون إلى الأسر المحرومة ثقافيًا . ويؤكد أن الفروق في مستوى الدخل بين الأسر التي يغيب عنها الأب وتلك التى لا يغيب عنها الأب قد تكون أكثر ارتباطًا بالحرمان الفكرى منه بغياب الأب فى حد ذاته .

وعلى أى حال يبدو أن الحرمان من الأب يرتبط بالعديد من العواقب الخطيرة بين أطفال الطبقة الدنيا وذلك بشكل يفوق مثيلاتها بين أطفال الطبقة المتوسطة (Biller, 1971a) . وتشير بعض الدراسات التى تم بالفعل الرجوع إليها في القسم الحالى من هذا الفصل إلى أنه من بين الأطفال الذين يغيب عنهم الأب كان الأداء المعرفى للأطفال الذين ينتمون إلى الطبقة العاملة يعاق بدرجة أكبر من مثيله لدى أقرانهم الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة (Lessing *et al.* 1970) . وبوجه عام فإنه غالبًا ما يرتبط الانخفاض فى مستوى التحصيل الأكاديمى بغياب الأب وذلك بين الأطفال الذيم ينتمون إلى الطبقة العاملة أو الطبقة الدنيا (Blanchard & Biller. 1971; Santrock, 1972) .

وغالبًا ما يكون أداء أطفال الطبقة المتوسطة الذين يغيب آباؤهم عنهم جيدًا فى المواقف التى تتطلب المهارات اللفظية حيث كان الأطفال الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة وإلى الشريحة العليا من نفس الطبقة ممن يغيب عنهم آباؤهم فى الدراسة التى أجرتها كارل سميث (١٩٦٤) Carlsmith يتساوون مع أقرانهم الذين لم يغب آباؤهم عنهم أو حتى يتفوقون عليهم وذلك فى استعداداتهم اللفظية على الرغم من تدنى مستوى استعداداتهم الرياضية عن مستوى هؤلاء الأقران . ووجد ليسنج وزاجورين ونيلسون (١٩٧٠) Lessing, Zagorine & Nelson أن أطفال الطبقة المتوسطة الذين يغيب عنهم آباؤهم قد حصلوا على درجات أعلى فى الجانب اللفظى ، إلا أن درجاتهم الدالة على الأداء وخاصة فى الجانب الإدراكى التحويرى كانت أقل من أقرانهم الذين لم يغب عنهم آباؤهم . كما وجد ديل وبيلر (١٩٧٣) Dyl & Biller أنه على الرغم من أن مهارات القراءة قد أعيقت لدى البنين من الطبقة الدنيا الذين يغيب عنهم آباؤهم ، كانت هذه المهارات على مستوى جيد لدى أقرانهم من الطبقة المتوسطة الذين يغيب آباؤهم أيضًا . ونظرًا لأن التحصيل الأكاديمى وخاصة فى المرحلة الابتدائية يعتمد بدرجة كبيرة على القدرة اللفظية والقدرة على القراءة فلم يتضح وجود إعاقة لدى أطفال الطبقة المتوسطة نتيجة لغياب الأب . ومن ناحية أخرى فهناك أيضًا أدلة تؤكد على أن الحرمان من الأب قد يكون مثيرًا على التحصيل غير العادى لدى بعض الأفراد ، بل إنه فى بعض الحالات قد تقوى قدرات الفرد فى محاولة منه للتغلب على المشكلات والمصاعب التى تصاحب الحرمان من الأب (Biller, 1974c) .

ويرى إيزنستات (١٩٧٨) Eisnstadt أن موت أحد الوالدين وخصوصًا الأب فى الوقت الذى لا يزال فيه ابنه فى مرحلة الطفولة قد يكون عاملاً مثيرًا لتفوقه أو نبوغه المهنى ، وقد يؤدى به من ناحية أخرى إلى أمراض نفسية خطيرة إذ اتضح عند إجراء مقارنة بين التاريخ الأسرى للأفراد البارزين فى مهنهم وبين البيانات الديموجرافية وذلك لعينات مختلفة أن النسبة الأكبر من أولئك الذين يتميزون بإنجازهم غير العادى مات آباؤهم خلال طفولتهم . واقتبس نتائج من أبحاث أخرى تؤكد أن موت الأب قد يؤدى فى بعض الحالات إلى إنجاز إبداعى على درجة كبيرة من جانب الفرد (e,g. Albert, 1971) على الرغم من أن الغالبية العظمى من الدراسات التى قام بمراجعتها قد ركزت على العلاقة بين فقد الأب والأمراض النفسية .

وبوجه عام يرى إيزنستات Eisnstadt أن عملية الحرمان من الأب نتيجة الموت تعمل بطريقة بنائية جدًا لدى بعض الأطفال فتصبح لديهم الدافعية والطاقة نحو الإنجاز الإبداعى . ونود هنا أن نؤكد على أن بعض العوامل كنوعية الأمومة التى يتلقاها الطفل والاستعدادات التكوينية لديه لها أهميتها الخاصة فى تحديد ما إذا كانت عملية الحرمان هذه ستؤدى به إلى التفوق والعبقرية أم لا (Biller, 1974c) .

تأثير الأم :

يبدو أن الأم التى تنتمى إلى الطبقة المتوسطة تؤثر بدرجة كبيرة جدًا على النمو العقلى لطفلها الذى يغيب عنه أبوه إذ وجد هيلجارد ونيومان وفيسك (١٩٦٠) Hilgard, Neuman, & Fisk فى المقابلات التى أجروها مع طلاب الجامعة أن البنين الذين فقدوا آباءهم خلال طفولتهم يميلون إلى تحقيق النجاح فى محاولاتهم الأكاديمية ، وربما يرجع ذلك إلى اعتمادهم الزائد على أمهاتهم . وتوضح النتائج الإكلينيكية التى توصل إليها جريجورى (١٩٦٥) Gregory أن العديد من الطلاب الذين ينتمون إلى الشريحة العليا من الطبقة المتوسطة ممن يغيب عنهم آباؤهم كان أداؤهم الدراسي بالجامعة جيدًا . ويرى نيلسين وماكوبى (١٩٦٦) Nelsen & Maccoby أن القدرة اللفظية المرتفعة لدى البنين ترتبط غالبًا بالعلاقة الحميمة مع الأم . ويرى ليفى (١٩٤٣) Levy أن البنين الذين تغمرهم أمهاتهم بالحماية الزائدة وينتمون إلى الطبقة المتوسطة كانوا يتميزون بالأداء

المدرسى المرتفع وخاصة فى المواد التى تتطلب القدرة اللفظية ، ومع ذلك فلم يكن أداؤهم فى الرياضيات على نفس المستوى المرتفع ، وهو ما يتفق مع تلك النتائج التى توصلت إليها كارك سميث (١٩٦٤) Carlsmith .

ومن الأكثر احتمالاً بالنسبة للأمهات اللائى تنتمين إلى الطبقة المتوسطة أن تركز بدرجة كبيرة على النجاح الدراسى لأطفالها وذلك بشكل يفوق ما تفعله قريناتهن ممن تنتمين إلى الطبقة الدنيا (Kohn,1959) . وتوضح بعض النتائج أن الأمهات اللائى تنتمين إلى الطبقة الدنيا واللائى يغيب عنهن أزواجهن كن منشغلات بالأنشطة اليومية وكن أقل تفكيرًا فى الأهداف المستقبلية سواء لأنفسهن أو لأطفالهن (Hecksher, 1967; Parker & Kliener, 1956) . وعند مقارنتهن بالأمهات من الطبقة المتوسطة كانت الأمهات من الطبقة الدنيا عادة ما تركزن بدرجة كبيرة على الأهداف الأكاديمية بعيدة المدى ، كما لم تكن نماذجًا مناسبة لمسايرة المتطلبات التى تفرضها المدرسة بالطبقة المتوسطة .

أما فى الأسر التى يغيب عنها الأب أو تقل فيها فترات وجوده نسبيًا تقوم الأم بدور أكثر أهمية فيما يتعلق بالقيام بالتعزيز اللازم والتركيز على قيم معينة . ويعتبر الطفل الذى يغيب عنه أبوه يتوحد بدرجة كبيرة مع أم تتميز بتوجهها العقلى مميزًا فى العديد من جوانب توافقه المدرسى ، وقد يجد أن الانتقال من المنزل إلى المدرسة التي تتميز فصولها بتوجهها الأنثوى شيئًا عاديًا ومريحًا .ومن المتوقع بالنسبة لمثل هؤلاء الأطفال الذين يغيب عنهم أبوهم أن يكون أداؤهم جيدًا فى المهام التى تتطلب المهارات اللفظية والامتثال .

وعلى الرغم من أن الأمهات اللائى تنتمين إلى الطبقة المتوسطة ويغمرن أطفالهن بالحماية الزائدة قد يعملن على إثارة أطفالهن المحرومين من آبائهم على التفوق فى القدرات اللفظية والتكيف مع بيئة المدرسة فإنهن غالبًا ما يقمن بإعاقة الاتجاه النشط لدى أطفالهن نحو حل المشكلات البيئية إذ أن الأم التى تتسم بالسيطرة إلى جانب قيامها بالحماية الزائدة لأطفالها وذلك بشكل مفرط قد تعوق نمو التوكيدية والاستقلالية لهؤلاء الأطفال (Biller, 1971b) . ويعتبر التوافق النفسى للأم عاملاً حاسمًا فى نمو الطفل ، فالأم المضطربة انفعاليًا أو المعاقة فى تفاعلها بين الشخصي يمكن أن يكون لها أثر على درجة

كبيرة من السلبية وذلك على مفهوم الذات للطفل الذى يغيب عنه أبوه وعلى قدرته على الارتباط بالآخرين . ومع ذلك فالأم التى تتقبل ذاتها والتى تتمتع بمستوى مرتفع من قوة الأنا وتتسم بنضجها بين الشخصى يمكن لها أن تقدم الكثير لتسهيل النمو الإيجابى لشخصيات أطفالها المحرومين من أبيهم (Biller, 1971a,b) .

ويمكن أن يؤثر الاختلاف فى نمط الأبوة على النمو المعرفى للطفل ، ولكن يجب أن نؤكد أن غياب الأب هو مجرد واحد فقط من بين العوامل التى تؤثر على الأداء العقلى للطفل . وتلعب القيم الاجتماعية الاقتصادية وتلك التى توجد لدى الأم ولدى مجموعة الأقران دورًا هامًّا فى هذا الصدد ، فعلى سبيل المثال نجد أن الحرمان من الأب بين الأطفال البنين الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا عادة ما يزيد من نقص تعرضهم للخبرات التي تربط الأنشطة العقلية بالاهتمامات الذكرية . ويصبح العديد من الأولاد فى محاولاتهم اليائسة لرؤية أنفسهم على أنهم ذكور كلية معتمدين بدرجة كبيرة للغاية ومفرطة على جماعة الأقران ، ويدركون المهام العقلية على أنها أنثوية . كما أن الوضع المدرسى الذى يضع النساء فى مراكز السلطة ويفرض على الطفل مطالب قوية من الطاعة والامتثال يصبح مناقضًا لرغبة هؤلاء الأولاد المتوهجة فى الشعور بذكورتهم . (Biller, 1974b)

وقامت شين (١٩٧٨) Shinn بعمل تحليل جيد للدراسات التى تناولت غياب الأب والأداء المعرفى للطفل . وركزت مناقشتها على ثمان وعشرين دراسة حافظت على الأقل على الحد الأدنى من المحكات المنهجية الجيدة ، فالبيانات التي تقدمها لم تشتق من عينات من أولئك الأطفال الذين يذهبون إلى مراكز الإرشاد ، كما تضمنت مجموعة ضابطة ممن لم يغب آباؤهم عنهم ، إضافة إلى محاولة تثبيت المستوى الاقتصادى الاجتماعى للأسرة . وكشفت غالبية هذه الدراسات أن غياب الأب يسبب آثارًا ضارة على الأداء المعرفى للأطفال . وتوصلت Shinn من هذا المسح الذى أجرته إلى أن غياب الأب بسبب الطلاق هو الأكثر ضررًا ، وأن غياب الأب عن المنزل فى مرحلة مبكرة من حياة الطفل بشكل مستمر ولمدة طويلة من الأكثر احتمالاً أن يرتبط سلبًا بالأداء المعرفى للطفل . ومع ذلك فقد وجدت أيضًا ما يؤكد على أن هناك آثارًا سلبية للغياب الجزئي للأب لمدة قصيرة

حتى عندما يبدأ فى مرحلة متأخرة من حياة الطفل . وقد أوضحت الدراسات التى أجريت على الأطفال من الطبقة الدنيا أكثر النتائج حسمًا بالنسبة للبنين على الرغم من أن شين Shinn تؤكد على أن الأداء العقلى للبنات يتأثر هو الآخر بغياب الأب .

وهناك العديد من التفسيرات حول العملية التى قد يؤثر بها غياب الأب على الأداء المعرفى للطفل ، إضافة إلى تأثيره على نمو جوانب أخرى من شخصية الطفل (Biller, 1974c) . وقد حاولت شين (١٩٧٨) Shinn أن تميز بشكل منظم بين وثاقة صلة عدة فروض بهذا الموضوع فى ضوء تناولها لعدة عوامل رئيسية قد تكون مسئولة عن الارتباط بين غياب الأب المعرفى للطفل .فقد تكون بعض الأسر هى التى تسببت فى غياب الأب عن طريق الطلاق وذلك بسبب الخلفية الأسرية للوالدين ، وقد يكون نمو الطفل قد تأثر سلبًا حتى قبل حدوث الطلاق إذ هناك على سبيل المثال بعض الخصائص التى تميز الأطفال خلال السنوات السابقة لطلاق والديهم من بينها المستوى المرتفع من الصراع بين الأب والأم ، والضغوط المالية ، والحرمان من الأب .

وقد يرتبط غياب الأب بمجموعة من العوامل التى ترتبط بشكل مباشر بأوجه النقص فى مستوى الأداء المعرفى للطفل . فترى شين (١٩٧٨) Shinn أن النتائج التى تربط بين التمزق فى التوحد مع الدور الجنسى بالأداء المعرفى الضعيف للفرد تعتبر ضعيفة نسبيًا ، إلا أن بيلر (١٩٧٤ - ج) Biller يرى أن تبنى الطفل المحروم من أبيه للدور الجنسى قد يرتبط مع نموه المعرفى بعدة أساليب معقدة . وهناك العديد من الأدلة التى تؤكد على أن عدم الاستقرار الأسرى والمشكلات المالية التى تواجهها الأسرة غالبًا ما ترتبط بغياب الأب ، وقد تكون هى نفسها عوامل رئيسية تعوق الأداء المعرفى للطفل . ومع ذلك توافق شين (١٩٧٨) Shinn على أن الأثر الرئيسى لغياب الأب يبدو فى قلة التفاعل والاهتمام بين الوالدين والذى غالبًا ما يسبب بدوره نقصًا فى مستوى الإثارة المعرفية للطفل وفى معدل الفرص المتاحة أمامه كى يحتذى بأنماط أكثر نضجًا لتجهيز المعلومات ومعالجتها وحل المشكلات .

التوافق الشخصى والاجتماعى :

على الرغم من أن رويتر وبيلر (١٩٧٣) Reuter & Biller لم يركزا على الأطفال الذين يغيب آباؤهم عنهم ، إلا أنه يوجد فى دراستهما هذه الكثير مما يتعلق بغياب الأب أو بمدى تواجده بالمنزل إذ قاما بدراسة العلاقة بين اهتمام الأب بأبنائه ورعايته لهم ومدى تواجده بالمنزل من ناحية والتوافق الشخصى والاجتماعى للبنين من طلاب الجامعة من ناحية أخرى . وتم تطبيق استبيان عن الخلفية الأسرية لقياس إدراك الأبناء لعلاقتهم بأبيهم ومقدار الوقت الذى كان الأب يقضيه بالمنزل حينما كان هؤلاء الأولاد أطفالاً . كما تم أيضًا استخدام مقياس التوافق الشخصى الذى أعده جف وهيلبرون Gugh & Heilbrun وهو عبارة عن قائمة للصفات adjective check list ومقياس للتنشئة الاجتماعية من مقياس كاليفورنيا النفسى California Psychological Inventory وذلك لقياس التوافق الشخصى والاجتماعى لأفراد العينة . وقام الباحثان بتصنيف مدى اهتمام الأب بأبنائه إلى ثلاثة مستويات وكذلك الحال بالنسبة لمدى تواجده بالمنزل . وتم دمج المستوى المرتفع من تواجد الأب بالمنزل مع مستوى متوسط على الأقل من اهتمامه بالأبناء ، واتضح أنهما يرتبطان بالحصول على درجات مرتفعة على مقاييس التوافق . فالوالد الذى يتاح له معدل معقول من الفرص لملاحظة أب يتميز باهتمامه بالأبناء يمكنه بطبيعة الحال أن يقلد أنماط سلوكه وان يطور سمات إيجابية للشخصية . كما أن الأب الذى يتميز باهتمامه النسبى بأبنائه وبوجوده النسبى بالمنزل قد يكون أكثر توافقًا من غيره من الآباء ذوى الأنماط الأخرى .

وعلى النقيض من ذلك فقد تم دمج المستوى المرتفع من اهتمام الأب بالأبناء مع المعدل المنخفض من تواجده بالمنزل ، وتم أيضًا دمج المعدل المرتفع من تواجد الأب بالمنزل مع المستوى المنخفض من اهتمامه بالأبناء ، واتضح ارتباطهما النسبى بالحصول على درجات منخفضة على مقاييس التوافق . كما كشفت الدراسة أيضًا عن وجود إعاقة للأداء النفسى للبنين الذين رأوا أن آباءهم كانوا يقضون وقتًا طويلاً بالمنزل ، ومع ذلك لم يولوهم الاهتمام والرعاية الكافيين . ولم يكن مثل هؤلاء الآباء الذين لا يهتمون بأبنائهم نماذجًا جيدة ، بل بدت آثار ضارة لتواجدهم بالمنزل على الأداء الشخصى لأبنائهم ، بمعنى أن الطفل الذى لا يوليه أبوه القدر الكافى من الرعاية والاهتمام يمكن أن يكون فى حال أفضل لو أن أباه لم

يتواجد بالمنزل إلا قليلاً . وهذا يتفق بطبيعة الحال مع تلك النتيجة التى توصل إليها البعض من قبل والتى ترى أن الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم غالبًا ما يكونون أفضل فى توافقهم الشخصى والاجتماعى من أقرانهم الذين يتواجد معهم آباؤهم ولكنهم يتصفون بالسلبية وعدم الفاعلية (Biller, 1971a, 1974c) .

وقد يشعر الطفل الذى يتميز أبوه بمستوى مرتفع من الاهتمام بالأبناء ولكنه نادرًا ما يتواجد بالمنزل قد يشعر بالإحباط لأن أباه لا يتواجد كثيرًا بالمنزل ، أو قد يجد من الصعب عليه أن يقلد هذا النمط المراوغ ، إلا أن هذا النمط هو الذى يتناسب تمامًا مع الأطفال الذين تم الطلاق بين والديهم حيث لا يرى الطفل أباه كثيرًا أو بشكل متوقع ، وقد يبدى الأب خلال هذه اللقاءات الكثير من الرعاية والاهتمام بالابن وذلك بشكل مفرط .

القلق :

قد ترتبط النماذج غير الجيدة للأبوة بمستوى مرتفع من القلق بين الأطفال إذ أن عدم ثقة الطفل المحروم من أبيه فى العلاقات بين الشخصية يمكن أن تساهم كثيرًا فى إحساسه بمشاعر القلق وبانخفاض تقديره لذاته . وإضافة إلى ذلك فقد يشعر الطفل المحروم من أبيه بكثير من مشاعر القلق وذلك بسبب علاقته الحادة مع أمه . ومن المحتمل بالنسبة لهذا الطفل أن يواجه مشكلات اقتصادية ، وقد يقلقه مدى ثراء أو رفاهية الأب وذلك اعتمادًا على السبب الذى حدث من أجله هذا الغياب . كما أن شعوره باختلافه عن غيره من الأطفال قد يزيد من قلقه ومن إحساسه بعدم الكفاءة . وإذا كان للأب دور رئيسى فى هذا الإطار يتمثل فى مساعدة الأسرة على مواجهة المشكلات البيئية المختلفة فإن الطفل المحروم من أبيه قد يواجه العديد من الأزمات التى تبدو بلا حل . ومن هنا فإن الأطفال الذين يتواجد معهم آباؤهم بالمنزل ويتميزون بالكفاءة كآباء يرون أمامهم نموذجًا يواجه بإبداع وواقعية بعض هذه المشكلات التى قد لا يتوفر للأم من الوقت والخبرة ما يساعدها على أن تقوم بحلها (Biller, 1971a) .

ويرى ستولز وآخرون (١٩٥٤) Stolz, *et al.* أن الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين اربع إلى ثمانى سنوات والذين كان يغيب عنهم آباؤهم بسبب التحاقهم بالخدمة العسكرية كانوا أكثر قلقًا من الأطفال الذين لم يغب عنهم آباؤهم . وكان الأطفال

الذين سبق أن انفصل آباؤهم عنهم أكثر قلقًا فى علاقتهم بالأقران والراشدين وخاصة فى تلك الجلسات التى كانت مخصصة لتكملة القصص حينما كان الموقف يتضمن الأب، وهو ما يتفق مع ما أكدته أمهاتهم عن خطورة المخاوف التى يتعرضون لها وعددها . ومن الجدير بالذكر أن الأب لم يكن غائبًا أثناء إجراء تلك الدراسة ، إلا أن علاقته مع أطفاله كانت متوترة . وفى دراسته عن أطفال الحضانة وجد كوتش (١٩٦١) Koch أن الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم وكان عددهم ثمانية من البنين وثلاث بنات قد أظهروا القلق فى اختبار إسقاطى للأطفال أكثر من أقرانهم الذين ينحدرون من أسر متماسكة ، وعادة ما كانوا يختارون وجوهًا حزينة للطفل (البطل) فى المواقف المختلفة التى تتضمنها الصور .

وقام مكورد وآخرون (١٩٦٢) Mc Cord, *et al.* بتحليل الملاحظات التى أبداها الإخصائيون الاجتماعيون حول مجموعة من البنين من أبناء الطبقة المتوسطة الذين تتراوح أعمارهم بين عشر سنوات وخمس عشرة سنة . وأوضح التحليل أن أولئك الذين يغيب عنهم آباؤهم قد أبدوا قلقًا حول الجنس أكثر من أقرانهم الذين لم يغب آباؤهم على الرغم من أن الفروق بينهم فيما يتعلق بالقدر الكلى للخوف لم تكن دالة . وفى دراسة تقوم على استعادة الأحداث الماضية طلبت ستيفنز (١٩٦١) Stephens من الإخصائيين الاجتماعيين أن يتحدثوا عن خبراتهم مع البنين المحرومين من آبائهم فوصفوهم بأنهم أكثر تأنثًا وتخنثًا وأكثر قلقًا حول الجنس من أقرانهم الذين لم يغب عنهم آباؤهم . ولم تجد لايتشتى (١٩٦٠) Leichty أى دليل على أن غياب الأب خلال مرحلة الطفولة المبكرة يرتبط بقلق الخصاء لدى البنين من طلاب الجامعة على الرغم من أن بعض النتائج التى توصلت إليها لم تدعم ارتباط غياب الأب بالقلق حول العلاقة الجنسية بين الأب والأم . ولكن هناك على الأقل زيادة مبدئية فى مستوى القلق لدى كل الأطفال الذين تم الطلاق بين والديهم على الرغم من أن الكثيرين منهم قد بدوا قادرين على مواجهة الموقف جيدًا ، وربما يرجع ذلك إلى المرحلة النمائية التى وصلوا إليها أو يرجع إلى غيرها من العوامل . (Hetherington, et al. 1978; Wallerstein & Kelly, 1980)

النمو الخلقى وضبط النفس :

أجرى ميشيل (١٩٦١ - ج) Mischel سلسلة من الدراسات حول الأحداث السابقة والعوامل المرتبطة بالسيطرة على الاندفاعات لدى أطفال الكاريبي . وفى مرحلة أولية من هذه الدراسات وجد ميشيل (١٩٥٨) Mischel أن الأطفال السود من غرب الهند الذين تتراوح أعمارهم بين سبع إلى تسع سنوات قد اختاروا الإشباع الفورى وكانت التكرارات دالة لصالحهم عند مقارنتهم بأقرانهم البيض . ويبدو أن هذه الفروق بين الأطفال السود والبيض ترتبط بالغياب المتكرر لآباء الأطفال السود . وعند دراسته للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ثمانى إلى تسع سنوات وجد ميشيل (١٩٦١) أن أولئك الذين يغيب عنهم آباؤهم قد أظهروا تفضيلاً للإشباع الفورى أكثر وأقوى من أقرانهم الذين لم يغب آباؤهم عنهم . وغالبًا ما كان يختار الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم قطعة صغيرة من الحلوى على سبيل المثال كإشباع فورى لهم بدلاً من الانتظار لمدة أسبوع والحصول على قطعة أكبر .

وعندما درس سانتروك وولفورد (١٩٧٠) Santrock & Wohlford تأجيل الإشباع بين البنين من تلاميذ الصف الخامس وجد أن البنين الذين كان يغيب عنهم آباؤهم بسبب الطلاق كانت تواجههم العديد من الصعوبات والمشكلات فى تأجيل الإشباع قياسًا بأقرانهم الذين غاب عنهم آباؤهم بسبب الموت . وغالبًا ما كان البنون الذين يغيب عنهم آباؤهم بسبب الطلاق يختارون قطعة صغيرة من الحلوى متاحة أمامهم في ذات الوقت بدلاً من الانتظار للحصول على قطعة أكبر منها فى اليوم التالى . أما البنون الذين انفصل عنهم آباؤهم قبل بلوغهم الثانية من أعمارهم أو بين السادسة والتاسعة من أعمارهم فكان من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهم أن يختاروا الإثابة الفورية وذلك بشكل يفوق أقرانهم الذين انفصل عنهم آباؤهم بين الثالثة والخامسة من أعمارهم .

وهناك أيضًا من الأدلة ما يؤكد على أن الأفراد الذين غاب عنهم آباؤهم خلال مرحلة الطفولة كان من المحتمل بالنسبة لهم أن تواجههم الصعوبات والمشكلات فى الإلتزام بتعهداتهم طويلة الأجل . وعند دراسته للمتطوعين لفرق السلام وجد سويدفيلد (١٩٦٧) Suedfield أن من غاب عنهم آباؤهم خلال طفولتهم كان من الأكثر احتمالاً

بالنسبة لهم ألا يكملوا جولاتهم عبر البحار حسب الجدول الزمنى المحدد لهم وذلك بشكل أكبر من أقرانهم الذين لم يغب آباؤهم عنهم . وكانت هذه النهايات السريعة لرحلاتهم ترتبط بمشكلات تتعلق بالتوافق والسلوك ، وتتضمن قرارات تقوم على أساس يتعلق بالمرض النفسى . وتؤكد دراسات أخرى أنه أحيانًا ما توجد علاقة بين غياب الأب فى طفولة الأبناء وبين بطالة هؤلاء الأبناء عندما يصلون إلى مرحلة الرشد . ومن بين هذه الدراسات دراسة هول وتونج (١٩٦٣) Hall & Tonge ودراسة جاي وتونج (١٩٦٧) Gay & Tonge .

وفى تحليله للبيانات المتعلقة بنمو الضمير وجد هوفمان (١٩٧١ – أ) Hoffman أن البنين الذين يغيب عنهم آباؤهم قد حصلوا على درجات فى العديد من القضايا الخلقية أقل مما حصل عليه أقرانهم الذين لم يغب آباؤهم . وكانت المقاييس التى حصلوا فيها على درجات أقل هي مقاييس الحكم الخلقى المستدخل ، والشعور بالذنب بعد القيام بالتجاوزات ، وتقبل اللوم ، والقيم الخلقية ، والامتثال للقواعد . وإضافة إلى ذلك فقد أوضحت التقارير التى أعدها معلموهم أنهم قدحصلوا على درجات مرتفعة فى السلوك العدوانى والذى قد يعكس هو الآخر وجود صعوبات أمامهم فى ضبط النفس Self-control وعلى الرغم من أن التوحد الضعيف مع الأب بين البنين الذين لم يغب آباؤهم قد بدا مرتبطًا بنمو أقل للضمير ، إلا أن أثر ذلك لم يكن على درجة كبيرة من الوضوح . ومن الجدير بالذكر أنه قد تم تقييم التوحد مع الأب عن طريق استجابة الطفل لأسئلة تتضمن الشخص الذى يشعر الولد أنه أى الولد أكثر شبهًا به ، والذى يعجب به بدرجة كبيرة ، والذى يرغب فى أن يكون مثله عندما يكبر . وقد حصل البنون الذين يتوحدون بشدة مع آبائهم على درجات أعلى من أقرانهم الذين يتوحدون مع آبائهم بدرجة منخفضة وذلك على مقاييس الحكم الخلقى المستدخل ، والقيم الخلقية ، والامتثال للقواعد . (Hoffman, 1971a,b)

ويرى وايتنج(١٩٥٩) Whitiing أن الحرمان من الأب يرتبط سلبًا بدرجة كبيرة بنمو الضمير عند الطفل . وعند قيامه بعمل تحليل عبر ثقافى رأى أن لوم الذات على المرض يعتبر دليلاً على النمو القوى للضمير . ففى المجتمعات التى يقل فيها تفاعل الأب

مع أطفاله الصغار يوجد ميل للوم الآخرين أو المخلوقات الخارقة للطبيعة على المرض . ويصل لوم الذات على المرض إلى أقوى الحالات فى الأسر الذرية nuclear ويصبح فى أقل حالاته فى الأسر التى تتعدد فيها الزيجات . ويتفق ذلك مع الرأى القائل بأن الحرمان من الأب يعطل نمو الثقة فى الآخرين . وكذلك فإن فقد الأب بسبب الموت يرتبط بنمو الاتجاه نحو الإيمان بالقضاء والقدر ونمو مركز التحكم الخارجى بين البنين على الأقل (e.g. Parish & Copeland, 1980) .

ويرى عدد من الأطباء ومن بينهم أيكورن (١٩٣٥) Aichorn وليدرار (١٩٦٤) Lederer أن هناك نقصًا فى ضبط النفس ونمو الضمير بين الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم . ووجد ميرلو (١٩٥٦) Meerloo من خلال عمله كمعالج نفسى نقصًا فى الإدراك المضبوط للزمن يشيع بين من يغيب عنهم آباؤهم ، وغالبًا ما يرتبط ذلك بوجود صعوبات لديهم فى ضبط النفس . وفى دراستها عن أطفال المرحلة الابتدائية بمدينة ميامى Miami الأمريكية وجد ولفورد وليبرمان (١٩٧٠) Wohlford & Leiberman أن الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم كان لديهم منظور للمستقبل أقل نموًا من أقرانهم الذين لم يغب عنهم آباؤهم .

ويرى ميرلو (١٩٥٦) Meerloo أن الأب يمثل النظام الاجتماعى ، وأن تمسكه بجداول زمنية للقيام بمختلف الأشياء يعطى طفله درسًا مهمًا فى الأداء الاجتماعى ، وقد يجد الطفل المحروم من أبيه أنه من الصعب جدًا عليه أن يتبع قواعد المجتمع . وإذا كانت أنماط السلوك المضادة للمجتمع تعتبر فى الغالب أنماطًا اندفاعية متهورة إلى جانب كونها عدوانية فإن هناك من الأدلة ما يؤكد على أن عدم القدرة على تأجيل الإشباع يرتبط بالإدراك غير المضبوط للزمن ، وبنقص المسئولية الاجتماعية ، وبانخفاض الدافع للإنجاز ، وجناح الأحداث (e.g. Mischel, 1961a.b) .

وغالبًا ما يفتقر الطفل الذى يغيب عنه أبوه إلى نموذج يتعلم منه تأجيل الإشباع والسيطرة على حفزاته العدوانية والمدمرة . كما أن الطفل الذى مر بخبرة الحرمان من الأب قد يجد صعوبة فى احترام الذكور الراشدين الذين يمثلون مراكز السلطة ، وقد يجد صعوبة أيضًا فى التواصل معهم . وإلى جانب ذلك فقد لاحظ دوفان وأديلسون (١٩٦٦)

Douvan & Adeloson الكثير من التمرد ضد الراشدين الذين يمثلون السلطة وخصوصًا رفض الرجال وذلك بين المراهقين البنين الذين يغيب عنهم آباؤهم . ومن المهم أن نقارن رد الفعل هذا بالبحث المستمر عن الرجال الراشدين من قبل العديد من الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم . وربما نجد أن هناك عملية تحرر من الوهم هى التى تكمن خلف هذا السلوك .

السلوك الجانح :

هناك العديد من الأسباب المرضية التى تكمن خلف جناح الأحداث ، وغالبًا ما يعتبر الحرمان من الأب عاملاً مساعدًا على حدوثه . وقد لاحظ العديد من الباحثين أن غياب الأب أكثر شيوعًا بين الأطفال الجانحين عن أقرانهم من غير الجانحين . ووجد جلوك وجلوك (١٩٥٠) Glueck & Glueck عند دراستهما للمراهقين أن أكثر من خُمس البنين الجانحين كان يغيب عنهم آباؤهم فى حين كان أقل من ربع أقرانهم غير الجانحين هم الذين يغيب عنهم آباؤهم ، ووجد مكورد وآخرون(١٩٦٣) McCord, *et al.* أن البنين من أفراد الطبقة المتوسطة الذين يغيب عنهم آباؤهم قد ارتكبوا العديد من الجرائم أكثر من أقرانهم الذين لا يغيب عنهم آباؤهم وذلك على الرغم من عدم اختلاف معدلات الانحراف فى الشلة التى ينتمون إليها . وقد قام جريجورى (١٩٦٥ – أ) Gregory بتدوين عدد كبير من الدراسات التى تربط غياب الأب بالسلوك الجانح للأبناء ، كما اكتشف أيضًا وجود علاقة قوية بين هذه المتغيرات فى دراسته التى أجراها على طلاب المرحلة الثانوية .

ويرتبط غياب الأب فى مرحلة مبكرة من عمر الابن بدرجة كبيرة مع السلوك الجانح بين البنين إذ عندما قام سيجمان (١٩٦٦) Siegman بتحليل استجابات طلاب كلية الطب على استبيان مجهول بالنسبة لهم يتعلق بالخبرات التى مروا بها فى طفولتهم . ثم قام بمقارنة استجابات الطلاب الذين غاب عنهم آباؤهم لمدة عام على الأقل خلال السنوات القليلة الأولى من حياتهم مع أقرانهم الذين لم يغب آباؤهم وجد أن أفراد المجموعة التى كانت تضم من غاب عنهم آباؤهم قد ارتكبوا معدلاً كبيرًا من السلوك

المضاد للمجتمع خلال طفولتهم . كما وجد أندرسون (١٩٦٨) Anderson أن غياب الأب خلال مرحلة مبكرة من عمر الأبناء كان شائعًا بين البنين الذين التحقوا بمدارس التدريب المهنى . ولاحظ أيضًا أن غير الجانحين الذين لم يغب عنهم آباؤهم كان لديهم معدل أعلى لوجود بديل للأب كزوج الأم مثلاً عندما كانت أعمارهم تتراوح بين الرابعة والسابعة وذلك بشكل يفوق أقرانهم الجانحين الذين كان يغيب عنهم آباؤهم ولم يوجد لديهم بديل لهم . وعند دراستهما لمعدل الارتداد إلى الإجرام بين البنين الجانحين وجد كيلى وباير (١٩٦٩) Kelly & Baer نسبة ٣٩٪ كمعدل ارتداد إلى الإجرام بين البنين الذين غاب عنهم آباؤهم قبل بلوغهم السادسة من أعمارهم فى مقابل ١٢٪ بين البنين الذين لم يغب آباؤهم ومع ذلك فلم يجدا سوى معدل ١٠٪ فقط بين البنين الذين غاب عنهم آباؤهم بعد السادسة من أعمارهم .

ويرى ميلر (١٩٥٨) Miller أن معظم البنين الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا يعانون من الحرمان من الأب وأن سلوكهم المضاد للمجتمع غالبًا ما يكون محاولة من جانبهم لإثبات ذكورتهم . ويرى باكون وتشايلد وبارى (١٩٥٣) Bacon, Child. & Barry فى دراستهم عبر الثقافية أن معدل تواجد الأب بالمنزل يرتبط سلبًا بمعدل السرقة والجرائم الشخصية التى يرتكبها الأبناء . وتم تحديد درجة تواجد الأب بالمنزل فى ضوء تركيب الأسرة . ووجدوا أن المجتمعات التى يتميز التركيب الأسرى فيها بعدم تعدد الزوجات يميل معدل السرقة والجرائم الشخصية فيها إلى الانخفاض ، فى حين أن المجتمعات التى يتميز تركيب الأسرة فيها بتعدد الزوجات يميل معدل السرقة والجرائم الشخصية فيها إلى الارتفاع . وقد تبع هؤلاء الباحثون النمط الذى يراه ميلر Miller ورأوا أن السلوك المضاد للمجتمع يعتبر رد فعل من جانب الأطفال الذين يقومون به ضد الأسرة التى ترتكز على أنثى ومحاولة من جانبهم لتأكيد ذكورتهم . وقد أشارت أمهات البنين المراهقين أو أولئك الذين كانوا فى مرحلة ما قبل المراهقة الذين كان يغيب عنهم آباؤهم إلى وجود عدد كبير من الأعراض المرضية النفسية مع الشكوى من سلوكهم العدوانى كما أوضحت البيانات الإكلينيكية التى تم جمعها عنهم شيوع صراعات تتعلق بالدور الجنسي (Biller, 1974c) .

وفى تحليلهما لأوجه القصور المنهجية فى الدراسات التى تربط غياب الأب بجناح الأحداث يشير هيرزوج وسوديا (١٩٧٣) Herzog & Sudia إلى أن العوامل الاجتماعية الثقافية لم تؤخذ فى الاعتبار عند مقارنة استجابات الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم باستجابات أقرانهم الذين لم يغب آباؤهم . وعلاوة على ذلك فإن هذان الباحثان يؤكدان على أن أولئك المعنيين بتنفيذ القانون ومن يمثلون السلطة فى مجتمعات أخرى قد تختلف ردود أفعالهم تجاه تصرفات الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم وأقرانهم الذين لم يغب آباؤهم وخصوصًا حينما يتصرف طفل يغيب عنه أبوه بطريقة مضادة للمجتمع خاصة إذا كان الطفل ينحدر من أسرة تعانى من مشكلات اقتصادية ، فقد يتوقعون على سبيل المثال من الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم أن يرتكبوا مخالفات خطيرة بشكل متزايد ، وقد يتعاملون معهم بشكل أكثر قسوة وصرامة . ومن الجدير بالذكر أن النتائج التى توصل إليها سانتروك وتراسى (١٩٧٨) Santrock & Tracy تدل بوضوح على أنه من المحتمل بالنسبة للمعلمين أن يكونوا صورًا عقلية مشوهة عن البنين الذين ينتمون إلى أسر يغيب عنها الأب أو إلى أسر تم الطلاق بين الوالدين فيها ، وأن يعاملونهم بناء على ذلك . وقد تؤثر مثل هذه المعاملة سلبًا على مفهوم الذات لدى هؤلاء البنين ، كما قد تزيد من احتمال قيامهم بأنماط سلوكية مضادة للمجتمع .

ومن الممكن بالنسبة للمشكلات التى غالبًا ما يواجهها البنون الذين يأتون من أسر يغيب عنها الأب فى علاقتهم بمن يمثلون السلطة من الرجال أن تساهم فى تشكيل ردود الأفعال من جانب أولئك المعنيين بتنفيذ القانون . كما أنه من الممكن بالنسبة لنقص الاحترام لدى الولد الذى يغيب عنه أبوه أن يؤدى به إلى تفاعلات سلبية مع هؤلاء الرجال الذين يمثلون السلطة . وفي الواقع هناك بيانات تؤكد على أن البنين الذين يغيب عنهم آباؤهم يميلون إلى ارتكاب المخالفات ضد السلطة أكثر من ارتكابهم المخالفات ضد الممتلكات (Herzog & Sudia, 1973; Nye. 19865) .

ويقتبس هيرزوج وسوديا (١٩٧٣) Herzog & Sudia العديد من الأدلة التى تكشف عن أن نقص التماسك الأسرى العام والإشراف على الأسرة وليس غياب الأب فى حد ذاته هو الذى يعتبر أكثر العوامل أهمية فى ارتباطه بجناح الأحداث . ويجب

أن نضع فى اعتبارنا العديد من العوامل الأسرية وغير الأسرية عند تناول هذا الموضوع حيث لا يتضح الارتباط المباشر لغياب الأب بالسلوك الجانح سوى فى بعض الحالات فقط . فعلى سبيل المثال نجد أن الذين ينتمون إلى أسر يغيب عنها الأب ويقيمون علاقات إيجابية مع أم تتميز بالكفاءة العالية كأم يبدو من الأقل احتمالاً بالنسبة لهم أن يصبحوا جانحين وذلك إذا ما قورنوا بأقرانهم من الأسر التى لا يغيب عنها الأب ولكنه يتصف بعدم الكفاءة (Biller, 1974c) .

الاضطرابات والأمراض النفسية :

عند دراسته للأطفال الذين ينحدرون من أسر يعمل آباؤهم فى سلاح البحرية وجد جار باور (١٩٥٩) Garbower أن الأطفال الذين كانت تواجههم مشكلات نفسية كانوا من بين أولئك الذين يغيب عنهم آباؤهم لفترات طويلة ومتصلة وذلك بشكل يفوق أقرانهم غير المشكلين . كما بدى آباء الأطفال المشكلين أقل حساسية للآثار التى يخلفها غيابهم على أسرهم . ووجد بيدرسين (١٩٦٦) Pedersen عند دراسته للأسر التى يعمل الآباء بها فى الجيش معدلاً مشابهًا لغياب الأب بين البنين الذين تتراوح أعمارهم بين إحدى عشرة سنة وخمس عشرة سنة بغض النظر عما إذا كان قد تم تحويلهم إلى إحدى العيادات النفسية أم لا . ومع ذلك فقد اتضح بالفعل أن درجة المشكلات النفسية التى يعانون منها ترتبط بمدى غياب الأب عنهم .

وعند دراسته للأطفال الذين يترددون على العيادات الخارجية بالمستشفى وجد ترونيل (١٩٦٨) Trunnell أن حدة الأمراض النفسية التى يعانى منها هؤلاء الأطفال تختلف تبعًا لطول مدة غياب الأب عنهم وأعمارهم الزمنية فى بداية هذا الغياب إذ كلما كان غياب الأب يدوم لفترات أطول ، وكلما كان عمر الطفل فى بداية غياب الأب أصغر عانى الطفل من العديد من المشكلات النفسية الخطيرة . ووجد أولتمان وفرايدمان (١٩٦٧) Oltman & Friedman معدلات مرتفعة من بين أفراد المجموعة الراشدين التى قاما بدراستها غاب عنهم آباؤهم خلال طفولتهم ويعانون من اضطرابات مزمنة فى شخصياتهم، كما كان مستوى نموهم الخلقى متدن . وإضافة إلى ذلك فقد وجدا معدلات فوق المتوسط لغياب الأب بين العصابيين ومدمنى المخدرات . كما وجد روزنبرج (١٩٦٩) Rosenberg

أيضًا معدلات مرتفعة بشكل مفرط من الغياب المستمر للأب أثناء طفولة الأبناء بين مدمنى الكحوليات والمخدرات من الشباب . ووجد عند مراجعته للتاريخ الأسرى لهؤلاء المدمنين أن سيطرة الأم على الأسرة وغياب الأب وعدم الكفاءة كانت شائعة بدرجة كبيرة فى أسرهم (Chein, et al. 1964; Wood & Duffy, 1966) .

وفى تناولها للآثار بعيدة المدى لغياب الأب بسبب الطلاق ركزت روبنشتاين (١٩٨٠) Rubenstein على توافق الراشدين الذين مروا بخبرة الطلاق بين والديهم وذلك عندما كان هؤلاء الراشدين أطفالاً . وترى فى مسحها السيكلوجى الذى أجرته بالاشتراك مع فيليب شافر Phillip Shaver أن مشاعر الوحدة وانخفاض تقدير الذات كانت أكثر شيوعًا بين الراشدين الذين تربوا فى أسر يغيب عنها الأب وذلك قياسًا بأقرانهم من الأسر التى ظلت متماسكة . ووجدا أنه كلما حدث الطلاق فى سن مبكر من حياة الابن كان من الأكثر احتمالاً أن ينخفض تقديره لذاته وأن يعانى من الوحدة الشديدة خلال رشده . وأشار إلى أنه يشيع بين أولئك الذين تربوا فى أسر انفصل والداهم فيها بالطلاق اليأس ومشاعر عدم القيمة والخوف والقلق وبوجه عام قلق الانفصال .

وقد قمنا نحن أيضًا بمراجعة النتائج التى توصلت إليها دراسات أخرى والتى تكشف عن وجود علاقة محتملة بين غياب الأب خلال طفولة الأبناء وبين شعورهم بالاكتئاب ومحاولاتهم الانتحار خلال مرحلة الرشد (Biller, 1974c) . ويرى كروك وإليوت (١٩٨٠) Crook & Eliot أن كل الدراسات التى توصلت إلى وجود علاقة بين موت الأب خلال طفولة الأبناء وبين شعورهم بالاكتئاب عندما يصلون إلى مرحلة الرشد تعج بالعديد من أوجه القصور المنهجية . وعلى الرغم من أنهما لم يركزا على فقد الأب فإن ما قاما بتوجيهه من نقد إلى تلك الدراسات يتشابه مع ما تم توجيهه من نقد إلى الدراسات التى تتناول أثر غياب الأب على تطور مشاعر الاكتئاب لدى الأبناء (Biller, 1974c) .

ويرى بريل وليستون (١٩٦٦) Brill & Liston أنه لم تكن نسبة موت الأب خلال طفولة الأبناء مرتفعة بشكل غير عادى بين المرضى الذين يعانون من أمراض عقلية . ومع ذلك فقد كانت نسب تكرارات فقد الأب بسبب الطلاق أو الانفصال أكثر ارتفاعًا

بالنسبة للأفراد الذين يعانون من العصاب أو الذهان أو اضطرابات الشخصية بشكل يفوق عدد غير القليل من المجموعات الضابطة المختلفة . واتفاقًا مع ما يراه بريل وليستون Brill & Liston فإن غياب الأب بسبب الطلاق أو الانفصال أو الهجر يرتبط إلى درجة كبيرة بجناح الأحداث (Goode, 1961) وبسوء التوافق (Baggett, 1967) وانخفاض تقدير الذات وممارسة الجنس (Hetherington, 1972) وتدنى المستوى المعرفى (Santrock, 1972) . وفى دراستهم للأطفال الذين يعانون من المشكلات فى تكيفهم المدرسى وجد فيلنر وآخرون (١٩٧٥) Felner, *et al.* أنه من المحتمل بالنسبة لأولئك الذين تم الطلاق بين والديهم أن يأتوا بأنماط سلوك تنفيسية ، فى حين يقوم من مات عنهم آباؤهم بالانسحاب من المواقف المختلفة بسبب تقلب مزاجهم . ومن ناحية أخرى فإن أولئك الباحثين الذين يرون أن هناك معدلات مرتفعة لغياب الأب أثناء طفولة الأبناء بين المرضى قاموا بتصنيفهم إلى عصابيين وفصاميين وذلك قياسًا بأقرانهم الذين لم يغب عنهم آباؤهم ، ولكنهم لم يضعوا فى اعتبارهم السبب الذى من أجله حدث ذلك الغياب من جانب الأب (e.g. Wahl, 1956; Da Silva, 1963) .

وفى تقييمه للعديد من الدراسات التى تناولت هذا الموضوع يركز جريجورى (١٩٥٨ ، ١٩٦٥ – ب) Gregory على المآخذ المنهجية فى المقارنات التى تتضمن نتائجها أدلة على وجود أمراض عقلية وذلك بين من يغيب عنهم آباؤهم ومن لا يغيب آباؤهم. ويعتبر عدم الاهتمام بالآثار التى يمكن أن يسببها المستوى الاقتصادى الاجتماعى لأفراد عيناتها من أهم المآخذ على هذه الدراسات . ويورد كوبلاينر (١٩٦٣) Cobliner نتائج تؤيد أنه من الأكثر احتمالاً أن يرتبط غياب الأب بالاضطرابات النفسية الخطيرة بين أفراد الطبقة الدنيا بشكل يفوق الاحتمال نفسه بين أفراد الطبقة المتوسطة حيث يرى أن الأسر التى تنتمى إلى الطبقة المتوسطة وخاصة فيما يرتبط بعلاقة الأم بالطفل لديها العديد من المصادر النفسية والاقتصادية التى تستطيع بموجبها أن تتغلب على تلك الآثار التى قد يسببها الحرمان من الأب (Biller, 1971a, 1974c) .

إلا أن هناك من الأدلة ما يؤكد على أن البنين الذين ينتمون إلى أسر يغيب عنها الأب يكونون فى العديد من الأحوال أقل تأخرًا فى نمو شخصياتهم من أقرانهم الذين لا يغيب عنهم آباؤهم ولكن أمهاتهم هن اللائى تسيطرن على أسرهن (Biller, 1968a;

(Reuter & Biller, 1973) . كما وجد نـاى (١٩٥٧) Nye أن أطفـال الأسـر المفككـة يتميزون بمستوى أفضل من التوافـق الأسـرى وبمعـدلات أقـل مـن السـلوك المضـاد للمجتمع والأمراض النفسجسمية وذلك عند مقارنتهم بالأطفال الذين ينتمون إلى أسـر متماسكة ولكنها غير سعيدة . وتؤكد دراسات أخرى أيضًا أن الطفل الذى يغيب عنه أبوه قد يكون أداؤه النفسى أفضل من قرينه الذى لا يغيب عنه أبوه ولكن العلاقـة بـين الأب والأم غير جيدة (e.g. Hetherington, *et al.* 1978) .

وقد يتأثر الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم بعوامل خارج المنـزل وذلـك بدرجـة أكبر من أقرانهم من الأسـر المتماسكة غير السعيدة أو تلك التى تسيطر عليهـا الأم . فقـد يتأثر بعض الأطفال على وجه الخصوص بالاهتمام الذى يوليه أحد الذكور الراشدين لهم وذلك بسبب مشاعرهم الحادة التى ترتبط بالحرمان من الأب . وغالبًا ما يقـوم الأطفـال الذين يتسم آباؤهم بعدم الكفاءة بتكييف أنفسـهم مـع ظـروفهم هـذه . فمـن المحتمـل بالنسبة للطفل الذى لم يغب عنه أبوه ولكن أمه هي التى تسـيطر عـلى الأسـرة أن يطـور وجهة نظر نحو الرجال على أنهم غير فعالين وخاصة إذا ما كانت الأم هـى التـى تسـيطر على الأب . وعلى النقيض من ذلك فإن الطفل الذى يغيب عنه أبوه قد يطور وجهـة نظـر أكثر مرونة فيما يتعلق بالسلوك الذى يصدر عن الذكور الراشدين .

وتوضح الدراسات التى نستعرضها فى الفصل الحالى أن الأبوة غير الجيـدة وغيـاب الأب أو أحدهما يدفع بالطفل إلى أوجه قصور نمائية معينة . ومع ذلك فهناك العديـد مـن الأبناء المحرومين من آبائهم يعتبرون حسنى التوافق ، وبالتالى يجب دراستهم بعناية حتـى نتعرف على سبب اختلافهم عن أقرانهم الأقل منهم توافقًا مع أنهم محـرومين مـثلهم مـن آبائهم . ويجب أن يولى الباحثون اهتمامًا لكل من نمط سـوء التوافـق مـن جانـب الطفـل ونمط عدم الكفاءة الأسـرية .

ومن الجدير بالذكر أن الاضطرابات أو الأمراض النفسية الخطـيرة مثـل اضـطراب التوحد autism أو فصام الطفولة لا يتطور ببساطة كدالة لاضطراب العلاقـة بـين الأب والطفل حيث يلعب البرنامج الوراثى للطفل واستعداداته التكوينية دورًا هامًـا في تقريـر حدة هذه الاضطرابات والأمراض النفسية إضافة إلى نوعية العلاقة بين الأب والطفـل .

ففى حين نجد أن العديد من الأطفال يعاقون فى نواحٍ عديدة إذا ما انحرموا من آبائهم ويصبح من المحتمل بالنسبة لهم أن تصادفهم العديد من الصعوبات والمشكلات فى نموهم بين الشخصى والانفعالى ، فإنه في الغالبية العظمى من الحالات نجد أن الأبوة غير الجيدة والأمومة غير الجيدة أو الاثنين معًا كل فى حد ذاته لا يعتبر مسئولاً عن هؤلاء الأطفال غير القادرين على تطوير مهارات التواصل الأساسية أو تكوين التعلق بين الشخصى . فعلى سبيل المثال نجد أن الطفل الذى يتسم بسوء الأداء العصابى أو المفرط، أو الذى يتسم مزاجيًّا بفرط الحساسية أو بضعف الحساسية يجعل من الصعب على الأب أن يستجيب له بطريقة إيجابية . كما قد نجد فى بعض الحالات أن الطفل غير السوى من الناحية التكوينية يساهم فى تطور الاضطرابات والأمراض النفسية بالنسبة لوالديه (Biller, 1971a, 1974c) .

منظور الدراسات الطولية

تعتبر الدراسة التى أجرتها هيذرنجتون وكوكس وكوكس (١٩٧٨) Hetherington, Cox & Cox والدراسة التى أجراها والرشتاين وكيلى (١٩٨٠-أ) Wallerstein & Kelly من أهم الدراسات التى تناولت أثر الطلاق على التوافق الشخصى والاجتماعى للأطفال ، بل إنهما تعتبران أهم هذه الدراسات على الإطلاق . وتؤكد هاتان الدراستان على أهمية السياق النمائى والنسق الاجتماعى للأسرة عند تقييم أثر كل من الطلاق وغياب الأب على الأطفال . فالمرحلة النمائية التى يمر بها الطفل ، وطول الفترة الزمنية التى انقضت منذ حدوث التفكك الأولى للأسرة يجب وضعهما فى الاعتبار إذا ما حاولنا أن نفهم الكيفية التى يستطيع الأولاد والبنات بموجبها التغلب على المشكلات والصعوبات المصاحبة لعملية الطلاق .

وتعتبر دراسة هيذرنجتون وكوكس وكوكس (١٩٧٨) Hetherington, Cox & Cox دراسة طولية شيِّقة جدًّا ، ومضنية ، ومعقدة فيما يتعلق بمنهجيتها ، وتتناول أثر الطلاق على الأطفال الصغار . ونظرًا لأن هذه الدراسة مثيرة وشيقة ومتقنة بدرجة تفوق غيرها من الدراسات التى تناولت غياب الأب فإنها تستحق جل الاهتمام . وهى بطبيعة الحال تتناول آثار الطلاق على الأسر التى بها أطفال فى سن ما قبل المدرسة . وقام هؤلاء

الباحثون بتحليل مجموعة كبيرة من النتائج التى توصلوا إليها وذلك بإتباع عدد من الإجراءات التى تتضمن استخدام مقاييس عن التفاعل الاجتماعى فى الأسرة ، وفى المدرسة ، وتقديرات الملاحظين والمعلمين والأقران . وتضمنت تحليلاتهم الطولية تقديرات لأداء الأفراد والأداء الأسرى فى فترات زمنية مختلفة خلال أول عامين بعد الطلاق .

وقد عرضوا أيضًا لأدلة تبين بوضوح أن كلًّا من غياب الأب بسبب الطلاق والمعدل المرتفع للصراع داخل الأسر المتماسكة يرتبط بالعديد من المشكلات والصعوبات فى التوافق الشخصى والاجتماعى للأطفال الصغار . واتضح من استجاباتهم على بعض مقاييس التفاعل الاجتماعى أن الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم وأقرانهم الذين لا يغيب عنهم آباؤهم ولكن يوجد معدل مرتفع للصراعات بين آبائهم وأمهاتهم كانوا أقل نضجًا وأقل استقلالاً فى علاقاتهم الاجتماعية من أقرانهم الذين لا يوجد بين آبائهم وأمهاتهم سوى معدل منخفض أو متوسط للصراعات . وعند تقييم الوضع النسبى للأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم ومثيله لدى أقرانهم فى الأسر ذات المعدل المرتفع للصراعات الوالدية اتضح أنه قد تغير بالنسبة لمن يغيب عنهم آباؤهم وذلك خلال الفترة التالية لحدوث الطلاق حيث كان هؤلاء الأطفال فى غضون عام واحد يمرون بصراعات شخصية فى المدرسة وفى المنزل أكثر من أقرانهم فى الأسر المتماسكة ذات المعدل المرتفع للصراعات الوالدية . إلا أن هذا الوضع قد تغير بعد عامين من حدوث الطلاق بالنسبة لهؤلاء الأطفال فأصبحوا أفضل من أقرانهم من الأسر ذات المعدل المرتفع للصراعات الوالدية . ومن ناحية أخرى كانت البنات أقل تأثرًا من البنين فيما يتعلق بالخلافات الوالدية وغياب الأب .

كذلك فقد كشفت دراسة هيذرنجتون وكوكس وكوكس (Hetherington, Cox & Cox ١٩٧٨) أيضًا أن غياب الأب وانخفاض معدل تواجده بالمنزل بسبب الطلاق يرتبط بانخفاض مستوى الأداء المعرفى للأطفال وممارسة دورهم الجنسى بعد عامين من حدوث الطلاق . ولم يكن أثر هذا الحدث على البنات مساويًا لنفس أثره على البنين . ومع ذلك فقد ارتبطت الفروق الفردية فى نوعية التفاعلات بين الأب والطفل فى الأسر التى يغيب عنها الأب ارتباطًا شديدًا بالأداء المعرفى والتوافق الشخصى والاجتماعى لدى كل من البنين والبنات وذلك بعد عامين من حدوث الطلاق .

هذا وقد استخلصت تلك النتائج التى توصل إليها والرشتاين وكيلى (١٩٧٤ ، ١٩٧٦ ، ١٩٨٠ - أ ، ١٩٨٠ - ب) Wallerstein & Kelly من دراستهم الطولية عن آثار الطلاق على الأطفال فى ثلاث فترات زمنية مختلفة ، كانت الأولى بعد الطلاق مباشرة ، وكانت الثانية بعد عام واحد من حدوث الطلاق ، أما الثالثة فكانت بعد خمس سنوات من الطلاق . كما اشترك الآباء فى الأسر الستين الذين شملتهم الدراسة فى برنامج إرشادى استمر لمدة ستة أسابيع بهدف مساعدتهم فى التغلب على الأمور المختلفة التى ترتبط بالطلاق . وكانت الأسر التى شملتها عينة الدراسة من البيض الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة ومن ذوى المستوى التعليمى المرتفع من سكان مقاطعة مارين Marin بكاليفورنيا . وبعد خمس سنوات من الدراسة التتبعية كان الباحثان لا يزالان قادرين على تحديد محل إقامة ثمان وخمسين أسرة من الأسر الستين ومقابلتهم ، ومقابلة مائة وواحد طفلاً من أصل مائة وواحد وثلاثين طفلاً كانت تتراوح أعمارهم فى هذا الوقت بين سبع سنوات وثلاث وعشرين سنة ، وقد مر جميع هؤلاء الأطفال بعد طلاق والديهم مباشرة بخبرة غياب الأب إلى حد ما بمعنى أنهم لم يعيشوا مع آبائهم خلال تلك الفترة . ومع أن أكثر من ٩٠ ٪ من أفراد العينة كانوا يعيشون مع أمهاتهم فى بداية إجراء الدراسة ، فقد تقلصت هذه النسبة إلى ٧٧ ٪ بعد خمس سنوات من الدراسة التتبعية ، وأصبح حوالى ١١ ٪ منهم غالبيتهم من المراهقين الأكبر سنًا يعيشون بمفردهم فى مسكن مستقل ، بينما كان ٨ ٪ منهم يعيشون مع آبائهم ، فى حين كان ٣ ٪ يقضون وقتًا كبيرًا متنقلين بين بيوت آبائهم وبيوت أمهاتهم استجابة لبعض الضغوط التى يمرون بها .

وعلى الرغم من ثراء النتائج التى تم التوصل إليها فى هذه الدراسة ، إلا أنها لم تتضمن مجموعة ضابطة من أطفال الأسر المتماسكة يمكن أن تكون بمثابة مجموعة محكية مرجعية تبين بشكل أوضح مدى الصعوبة النسبية للمشكلات التى ترتبط بالطلاق . كما أن هناك بعض الأسئلة التى يمكن إثارتها فيما يتعلق بتمثيل تلك الأسر التى شملتها العينة والتى تنتمى إلى الطبقة المتوسطة والتى انتظم أعضاؤها فى برنامج إرشادى استمر ستة أسابيع . ومع ذلك فمنذ نشر هذه الدراسة اتضح أنها تنتمى إلى تلك الدراسات الضخمة فيما يتعلق بعدد الأطفال الذين تم إجراؤها عليهم ، ومدى اختلاف المراحل العمرية التى تغطيها ، إضافة إلى

الفترة الزمنية التى أجريت خلالها ، مما يستوجب أن تكون النتائج التى كشفت عنها عنصرا هامًا فى إثارة العديد من الدراسات المشابهة فى التركيز والإتقان .

وللتعرف على آثار الطلاق على الأطفال فى المستويات النمائية المختلفة قام والرشتاين وكيلى (١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٦) Wallerstein & Kelly بتقسيم الأطفال الذين اشتملت عليهم عينات دراساتهما تلك إلى مجموعات عديدة مختلفة على أساس أعمارهم الزمنية عندما حدث الانفصال بين والديهم ، فقسماهم إلى ست مجموعات عمرية مختلفة على النحو التالى :

١ - **المجموعة الأولى** : وتضم الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين سنتين وثلاث سنوات .

٢ - **المجموعة الثانية** : وتضم الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاث وأربع سنوات .

٣ - **المجموعة الثالثة** : وتضم الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين خمس وست سنوات .

٤ - **المجموعة الرابعة** : وتضم الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين سبع وثمانى سنوات .

٥ - **المجموعة الخامسة** : وتضم الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين تسع وعشر سنوات.

٦ - **المجموعة السادسة** : وتضم الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاث عشرة سنة وثمانى عشرة سنة .

وكان أطفال المجموعة الأولى والذين تتراوح أعمارهم بين سنتين وثلاث سنوات يميلون إلى النكوص والتعبير عن الحيرة والغضب والتعلق والحاجة إلى رعاية الراشدين دون أى تمييز وذلك كرد فعل للطلاق . ولكن إذا استطاع الأعضاء الراشدون فى الأسرة أن يغمروا هؤلاء الأطفال بالعاطفة والاهتمام المناسب فسوف لا يستمر النكوص لفترة طويلة . ومع ذلك فإن هؤلاء الأطفال الذين مروا بخبرة الصراع الحاد والمستمر بين الوالدين ، وبدت أمهاتهم وقد حطمهن الطلاق كانوا مكتئبين جدًا وبدا عليهم التأخر النمائى بما يوازى عام وذلك بعد حدوث الطلاق (Wallerstein & Kelly, 1975) .

وبالنسبة للأطفال الذين كانت تتراوح أعمارهم بين ثلاث وأربع سنوات فقد كان شائعًا بينهم رداءة صورة الذات ، وفقد تقديرهم لذواتهم وذلك نتيجة لطلاق والديهم ،

إلا أنه كان هناك شعور بالمسئولية عن الطلاق شائعًا فى الوقت ذاته بين العديد من هؤلاء الأطفال . وعلى النقيض من أطفال هذه المجموعة كان غالبية الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين خمس وست سنوات قد بدوا قادرين على مواجهة الطلاق دون أن تبدو عليهم أى انتكاسات نمائية . وتوضح هذه النتائج بطبيعة الحال اتفاقًا مع ما توصلت إليه دراسات أخرى من حيث سرعة تأثر الأطفال بغياب الأب الذى يبدأ قبل أن يبلغ هؤلاء الأطفال الخامسة من أعمارهم (Biller, 1971a, 1974c) .

أما الأطفال الذين كانت تتراوح أعمارهم بين سبع وثمانى سنوات فقد بدا عليهم الحزن الشديد كاستجابة لطلاق والديهم (Wallerstein & Kelly, 1976) وكان من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهم عند مقارنتهم بأفراد المجموعة الخامسة الذين تتراوح أعمارهم بين تسع وعشر سنوات أن يأتوا بأنماط سلوكية ارتدادية ، إلا أنهم كانوا يتحدثون بشكل مباشر عن سبب مشاعرهم وذلك بدرجة أكبر من أقرانهم الأصغر منهم سنًا . كما بدا الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين سبع وثمانى سنوات أكثر خوفًا من عواقب الطلاق وعبروا جميعًا عن رغبتهم البائسة فى عودة والديهم إلى بعضهما من جديد على الرغم مما كان بينهما من صراعات حادة مروا هم أنفسهم كأطفال بها ولاحظوها . كما كان يغلب عليهم من جانب آخر تعبيرات مستمرة عن الحزن لعدم وجودهم مع آبائهم . إلا أن استجاباتهم بعد مرور عام كانت تعبر عن الاستسلام للوضع القائم بدلاً من محاولاتهم النشطة المستمرة لجعل أسرتهم متماسكة من جديد وهى الاستجابات التى كانت سائدة فيما بينهم من قبل .

وكما كان متوقعًا من الأطفال الأكثر نضجًا من الناحية المعرفية والذين كانت تتراوح أعمارهم بين تسع وعشر سنوات قد بدوا فى الغالب قادرين على التعامل مع موقف الطلاق بدرجة أكبر من السيطرة وبطريقة تتسم بالواقعية (Wallerstein & Kelly, 1976) . وكان من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهم أن يستخدموا مجموعة من الميكانيزمات الدفاعية وأنماط السلوك التى تساعدهم على مسايرة الموقف حتى لا تضطرب حياتهم اليومية كأقرانهم الأصغر منهم سنًا . ومع ذلك فقد كان من الملاحظ أن مشاعر الوحدة ، والأعراض المرضية الجسمية ، ومشاعر الخجل ، ومشاعر الغضب الشديد تجاه والديهم

أكثر شيوعًا بين هؤلاء الأطفال . إلا أنه كان حوالى نصف أفراد هذه المجموعة قد استطاعوا بعد عام من حدوث الطلاق أن يتغلبوا بشكل جيد على هذا الحدث وذلك على الرغم من استمرارهم فى الشعور ببعض الحزن والمرارة . وعلى النقيض من ذلك كان باقى أفراد هذه المجموعة يعانون الشعور بالاكتئاب وانخفاض تقدير الذات والذى غالبًا ما أعاق علاقتهم بأقرانهم وأداءهم الدراسى . إلا أن حوالى ربع هؤلاء الأطفال كان يبدو عليهم العجز السيكلوجى بوضوح بعد مرور عام على حدوث الطلاق .

أما بالنسبة للمراهقين فقد ارتبط الطلاق لديهم بالكثير من مشاعر الغضب والحزن والألم ، وغالبًا ما ارتبط هذا الحدث بالصراعات فيما يتعلق بالسلوك الجنسى لوالديهم (Wallerstein & Kelly, 1974) . ونظرًا للنضج النسبى لهؤلاء المراهقين عند حدوث الطلاق فقد كانوا قادرين على أن يبعدوا أنفسهم بعض الشئ عن تلك الصراعات التى كانت تدور رحاها بين والديهم ولم يقفوا فى صف أى منهما ضد الآخر . وقد كان سلوك هؤلاء المراهقين بعد مرور عام على حدوث الطلاق أفضل مما كان عليه فى السابق ، وربما يرجع ذلك إلى قدرتهم على إدراك موقف والديهم بشكل واقعى . وعلى النقيض من ذلك فقد اتضح أن المراهقين الذين كانوا يعانون من مشكلات اجتماعية وانفعالية قبل حدوث الطلاق قد ظهرت لديهم مشكلات أكثر خطورة بعد هذا الحدث قياسًا بما كانوا عليه من قبل .

ومن الجدير بالذكر أنه قد تم التوصل فى الدراسة التتبعية التى استمرت لمدة خمس سنوات إلى وجود العديد من الأنماط المختلفة للتكيف لدى الأطفال (Wallerstein & Kelly, 1980a, 1980b) . وبوجه عام فقد لوحظ أن حوالى ثلث الأطفال (٣٤ ٪) كان أداؤهم الشخصى والاجتماعى والتعليمى على مستوى جيد ، وكان مفهومهم لذواتهم إيجابيًا جدًا ، وأوضحوا مستويات عالية من الكفاءة تتضمن التغلب بشكل جيد على الخبرات السيئة التى ترتبط بالطلاق . فى حين عبرت نسبة أكبر نسبيًا مقدارها ٣٧ ٪ منهم عن وجود مشكلات كبيرة تتعلق بتوافقهم ، ويتضمن ذلك مشكلات شخصية واجتماعية ، وعانى الكثير منهم من مشاعر الوحدة والاغتراب والاكتئاب ، وكانوا غير راضين بدرجة كبيرة عن حياتهم على الرغم من أن ما يقارب نصف أفراد هذه المجموعة كانوا قادرين على الأداء الجيد فى بعض الجوانب كالمدرسة على سبيل المثال . أما النسبة الباقية

من هؤلاء الأطفال والتى تبلغ ٢٩ ٪ فقد قاموا بأنماط مختلطة mixed للتوافق ، فأظهروا تعاقبًا فى الارتفاع والانخفاض فى مواجهتهم للمواقف الحياتية . وكان تكيفهم المدرسى وتكيفهم للمطالب الاجتماعية متوسطًا ، إلا أنه كانت توجد هناك بعض الأدلة على أن المشاعر المرتبطة بالطلاق كانت لها أحيانًا آثار سلبية على تقديرهم لذواتهم وكفاءتهم الكلية .

وعلى الرغم من أن هؤلاء الباحثون قد لاحظوا الآثار الواضحة لعوامل أخرى على بعض الأطفال الذين استطاعوا تحقيق التوافق الناجح مع الظروف التى تلت حدوث الطلاق ، فإن والرشتاين وكيلى (١٩٨٠ - أ ، ١٩٨٠ - ب) Wallerstein & Kelly يؤكدان على أن أكثر المتغيرات أهمية لدى العديد من هؤلاء الأطفال هو المشاركة الإيجابية من جانب كلا الوالدين لهم حيث اتضح من خلال هذه الدراسة الطولية التى استمرت خمس سنوات أن حوالى ثلث الأطفال ٣٠ ٪ كانت لهم علاقات انفعالية جيدة مع آبائهم يسودها الدفء والمحبة . ويرتبط هذا النمط من العلاقات الإيجابية مع الأب إلى درجة كبيرة وقوية بالتوافق الجيد لدى كل من البنين والبنات على حد سواء . ويشير هذان الباحثان أيضًا إلى أهمية الزيارات المتكررة ذات النمط المرن بين الأب والطفل . وتؤكد هذه النتائج من جديد على أن الآثار المترتبة على الطلاق لا تعنى بالنسبة للطفل الذى لا يعيش مع أبيه أن أباه يغيب عنه إذ من الواضح أن العديد من الأطفال الذين يعيشون مع أمهاتهم لا يزالون يتمتعون بعلاقات مع آبائهم أفضل من العديد من الأطفال الذين ينتمون إلى أسر متماسكة .

ويؤكد والرشتاين وكيلى Wallerstein & Kelly على أهمية علاقة الطفل مع كل من والديه ، والأهمية التى توليها الأم لزيارة الأب للمنزل إذا كان الطفل يعيش مع أمه ، أو العكس أى الأهمية التى يوليها الأب لزيارة الأم للمنزل إذا كان الطفل يعيش مع أبيه ، وقدرة كلا الوالدين المطلقين على تطوير بعض الأساليب التى تمكنهما من التعاون معًا فيما يخص حاجات أطفالهما حتى وإن لم يكونا متزوجين أى يكونا قد انفصلا عن بعضهما تمامًا . ويستثنى من ذلك فقط الحالات التى يصبح فيها الأب مضطربًا أو مختلاً إلى درجة خطيرة فيصبح من الأفضل بالنسبة للطفل ألا يتصل به أبدًا .

وعلى الرغم مما يحدث غالبًا فى بداية وجود زوج للأم بالمنزل من حدوث صراع بينه وبين الطفل فإن علاقة الطفل مع زوج أمه الذى يبدى كثيرًا من الاهتمام به يصبح لها

العديد من الآثار الإيجابية بالنسبة للكثير من الأطفال . وإذا كان الأطفال فوق سن الثامنة غالبًا ما يواجهون العديد من المشكلات والصعوبات فى تقبل زوج الأم ، فإننا نجد على الأقل أن معظم الأطفال الأصغر من هذا السن يبدون قادرين على توسيع نظرتهم إلى أسرتهم من الناحية التركيبية فتصبح لديهم بالتالى مشاعر إيجابية تجاه كل من الأب وزوج الأم على السواء (Wallerstein & Kelly, 1980a, 1980b) .

العلاقة بين الأم والطفل :

توجد العديد من العوامل التى يمكنها التأثير على الأسلوب الذى يتأثر به الطفل بطلاق والديه وبغياب الأب . فتعتبر نوعية الأمومة التى يحاط بها الطفل عاملاً حاسمًا وجوهريًا إذ يمكن لها أن تصبح أكثر أهمية حتى عندما يكون الطفل محرومًا من أبيه . وسوف نركز فى هذا الجزء من الفصل الحالى على الطريقة التى قد ترتبط بها الأنماط المختلفة للأمومة بالفروق الفردية فى الأنماط السلوكية التى تصدر عن الأطفال المحرومين من آبائهم . وتتضمن الموضوعات التى سنوليها الأهمية هنا أثر تقييم الأم أو نظرتها للأب الغائب على أطفالها ، والأسر التى تتمحور حول الأم ، وأبعاد الأمومة الفعالة .

ومن الجدير بالذكر أن اتجاهات الأم نحو الأب تعتبر ذات أهمية بالغة بالنسبة للطفل وذلك عندما يكون الأب غائبًا عنه . ففى دراسته عن الأطفال الذين انفصل عنهم آباؤهم أثناء الحرب يرى باتش (١٩٤٦) Bach أن هناك خيالات متناقضة لدى بعض الأطفال عن آبائهم تصورهم بالود والمحبة والعدوانية وذلك عندما كانت الصورة التى تقدمها الأم عن الأب تحط من قدره .

ويرى وايلاى وديلجادو (١٩٥٩) Wylie & Delgado عند تحليلهما للخلفيات الأسرية للأطفال العدوانيين الذين يغيب عنهم آباؤهم والذين تم تحويلهم إلى مراكز إرشاد الأطفال أنه - مع بعض الاستثناءات - كانت الأمهات تصفن أزواجهن السابقين وأولادهن البنين بأوصاف متشابهة وسلبية مؤكدات على نوعية سلوكهم العدوانى الخطير. ووجد كوف (١٩٧٠) Koph أن التوافق السيئ للمدرسة بين البنين الذين يغيب عنهم آباؤهم كان يرتبط باتجاهات أمهاتهم السلبية نحو أزواجهن الغائبين . وتوضح الحالات الإكلينيكية كيف يمكن أن تساهم التعليقات الإزدرائية من جانب الأمهات عن أزواجهن

الغائبين بشكل درامى فى تطور مفهوم سئ للذات وأنماط سلوكية تدل على سوء التوافق من جانب الطفل (Neubauer, 1960) . وكما هو متوقع فإن اتجاهات الأم نحو الأب الغائب عن المنزل تؤثر على رد فعل الطفل لأبيه عندما يعود الأب إلى المنزل مرة أخرى (Biller, 1978; Stolz, et al. 1954) .

وغالبًا ما يرتبط تقييم الأم للأب الغائب بسبب غيابه عن المنزل . كما أن مشاعر الاستياء والوحدة يمكن أن ترتبط بالعديد من الأساليب المختلفة لغياب الأب ، ولكنه دائمًا ما يكون من الأسهل على الأم أن تتحدث بإيجابية عن زوجها الذى توفى عن أن تتحدث عن زوجها الذى طلقها أو هجرها (Benson, 1968; Hetherington, 1972) . ويعتبر التحدث مع الأبناء عن الأب الذى يغيب عن المنزل أمرًا محبطًا جدًا للأم ، وقد يصبح مثل هذا الحديث مؤلمًا للغاية عندما يكون سبب الغياب هو الطلاق أو الهجر . ومن الصعب جدًا على الأم أن تبقى على صورة الأب إيجابية فى ظل وجود صراع وتنافس مع زوجها يتعلق بالأطفال سواء كان ذلك قد حدث قبل الطلاق أو أثناءه أو بعده . ويمكن للعوامل الاجتماعية الثقافية أيضًا أن تؤثر على ردود أفعال أفراد الأسرة تجاه غياب الأب . فيبدو الطلاق على سبيل المثال أقل قبولاً وأكثر تمزيقًا للأسرة بالنسبة للأسر الكاثوليكية واليهودية عنه لدى الأسر البروتستانتية (Rosenberg, 1965) (*) .

(*) يعتبر الطلاق عند المسلمين هو أبغض الحلال . ومن ناحية أخرى فإن الإسلام يحرص كل الحرص على المعاشرة بالمعروف والحفاظ على حقوق الزوجين ويحدد الخطوات التى يجب السير فيها عند حدوث الشقاق بين الزوجين وذلك بغرض تحقيق الصلح بينهما حتى لا يقع الطلاق والذى يجب أن يكون هو الخطوة الأخيرة . ومن بين جملة الحقوق التى تستقيم بها الحياة الزوجية تنظيم العلاقة بين الزوجين حيث يجب ألا يهجر الزوج زوجته فوق أربعة أشهر إذ قال تعالى فى سورة البقرة ، الآيات من ٢٢٦ - ٢٢٧ : ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ويرى الشيخ الصابونى فى الجزء الأول من كتابه صفوة التفاسير ص ١٣١ أن المراد من ذلك هو أن الزوج إذا حلف ألا يقرب زوجته تنتظره الزوجة مدة أربعة أشهر ، فإن فاء أى رجع فى كلامه وعاشرها خلال هذه المدة كان بها ويكون قد حنث فى يمينه وعليه الكفارة . أما إذا عزم على أن يطلقها أى إذا استمر ولم يعاشرها خلال تلك الفترة وقعت الفرقة والطلاق بمضى تلك المدة عند أبى حنيفة ، وقال الشافعى ترفع =

وقد يؤدى فقد الأطفال لآبائهم بسبب الموت إلى ردود أفعال سلوكية من جانبهم أكثر حدة مما لو كانوا قد فقدوا آباءهم لأسباب أخرى . إلا أن غياب الأب قد يكون بشكل عام له آثاره على الشخصية بغض النظر عن سبب هذا الغياب (Biller, 1971b) . وإذا كان غياب الأب يترك أثرًا على نمو شخصية الطفل فإن الجانب الأكبر من هذا الأثر يرجع إلى علاقة الطفل بأمه(*) .

وإلى جانب ذلك فإن العلاقة السابقة على غياب الأب والتى كانت تربطه بطفله وعمر الطفل عند بداية هذا الغياب تعتبر أيضًا عوامل على درجة كبيرة من الأهمية فى تحديد مدى تأثير اتجاهات الأم نحو الأب الغائب . فعلى سبيل المثال يعتبر من الأقل احتمالاً بالنسبة للولد الذى يغيب عنه أبوه وكانت تربطه به علاقة إيجابية قبل غيابه حتى بلغ من العمر

= أمره إلى الحاكم فيأمره إما بالفيئة أو الطلاق فإن امتنع عنها طلق عليه الحاكم . ومن الجدير بالذكر أن الغرض من هذا كله هو الحفاظ على وحدة الأسرة وكيانها وتماسكها ، أما إذا كان لابد من حدوث الطلاق ولم تجد هذه المحاولات فلا مناص من ذلك . أما فيما يتعلق بغياب الأب عن المنزل فقد حدده الخليفة عمر بن الخطاب بأربعة شهور ، ويرى الآخرون أنه ما بين أربعة إلى ستة شهور . ويرى عبد العزيز رباح وأحمد دقاق فى تحقيقهما لشرح أبيات مغنى اللبيب لعبد القادر البغدادى - الجزء الخامس ص ١٢٢ والمطبوع فى دار المأمون للتراث بدمشق ١٩٧٨ أنه رضى الله عنه سأل حفصة كم تصبر المرأة عن زوجها فقال ستة أو أربعة أشهر ، فقال عمر لا أحبس الجيش أكثر من هذا . ويرجع ذلك إلى أن عمرًا كان يتفقد أحوال الرعية ذات ليلة فسمع شعرًا تنشده امرأة من العرب ، فلما أصبح الصبح سأل عن الخيمة التى كان يقال فيها الشعر وعرف أن زوج تلك المرأة كان فى الجيش ولم يعد إليها منذ فترة ، ولذلك حدد الفترة التى يجب ألا يزيد عنها غياب الأب عن المنزل كما سبق وأوضحنا . وبذلك يتضح أن الإسلام أحرص من غيره من الديانات على تماسك الأسرة . أما عن أبيات الشعر التى كانت تنشدها تلك المرأة فهى :

تطاول هذا الليل تسرى كواكبه ... وأرقنى أن لا ضجيع ألاعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه ... لزعزع من هذا السرير
ولكنى أخ شى رقيبًا موكلاً ... بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه
مخافة ربى والحياء يصدنى ... وأكرم بعلى أن تنال مراكبه

(المترجم)

(*) يجب على الباحثين أيضًا أن يتعرفوا على السبب الذى من أجله تظل بعض النساء بلا زواج . كما أن الغياب الذى يمتد لفترة طويلة من جانب الأب أوبديله إضافة إلى بداية غياب الأب يعتبر فى بعض الحالات دالة لاتجاهات الأم نحو الرجال .

عشر سنوات أن يتأثر بالآراء السلبية للأم عن الأب وذلك قياسًا بقرينه الذى حُرم من أبيه حتى قبل غيابه . ولسوء الحظ فليست هناك دراسات عن الكيفية التى يمكن بها لأسباب غياب الأب فى فترات نمائية مختلفة للطفل أن تؤثر على علاقة هذا الطفل بأمه .

الأسر التى تتمحور حول الأم :

يشار أحيانًا إلى الأسر التى تسيطر عليها الأم والتى تمثل فيها الأم الشخصية المحورية بالأسر التى تتمحول حول الأم matrifocal families وهو تعبير دقيق جدًا . وغالبًا ما يتم تقييم الأب بصورة سلبية فى مثل هذه الأسر . ويشيع هذا النمط من الأسر بشكل كبير فى الأسر ذات المستوى الاقتصادى الاجتماعى المنخفض وخاصة بين السود ممن ينتمون إلى الطبقة الدنيا (Pettigrew, 1964) . وإذا كان الأب فى العديد من أسر السود ذات المستوى الاقتصادى الاجتماعى المنخفض يعتبر عضوًا له احترامه وهيبته ، فإن هناك عددًا أكبر من الأسر يغيب عنها الأب أو يعتبر فيها عضوًا على درجة من الهامشية والسطحية النسبية ولهذا فهى تتمحور حول الأم (Dai, 1953; Frazier, 1939) .

وتقلل العوامل الاجتماعية الثقافية من احتمال حدوث علاقات زواجية طويلة المدى بين السود ممن ينتمون إلى الطبقة الدنيا (Pettigrew, 1964) . وقد يرتبط عدم استقرار العلاقات الزواجية بينهم بالحقيقة القائلة بأن الأفراد من ذوى أنماط معينة للشخصية لديهم الاستعداد لأن يصبحوا مطلقين أو يبحثون عن علاقات زواجية عارضة بشكل كبير (Gronseth, 1957; Loeb, 1966) . وبسبب عدم قدرتهن على إقامة علاقات حميمة مع الرجال تقبل بعض السيدات على الزواج من رجال لا تسمح لهم شخصياتهم أو تعهداتهم المهنية بالانغماس بدرجة كبيرة فى الحياة الأسرية . ويمكن أن تمثل الاتجاهات السالبة للزوجة تجاه الرجال عاملاً أساسيًا فى قرار الزوج بأن يهجرها هى وأطفالها أيضًا .

أما الأم التى تقوم بتطوير اتجاه إيجابى نحو الذكورة فيمكنها أن تسهل من نمو شخصية طفلها الذى يغيب عنه أبوه . فعندما تقوم على سبيل المثال بالثناء على كفاءة زوجها الغائب أمام الطفل فإنها بذلك تستطيع أن تساعده على تعلم القيام بتقييم رجولته . ومع ذلك فقيام الأم بالحط من قدر ذكورة الأب يمكن أن يؤدى بالطفل الصغير إلى أن

يتجنب أن يسلك كذكر على الأقل إلى أن يحين الوقت الذى يبدأ فيه الاتصال بجماعة أقرانه فى نفس ثقافته التى ينتمى إليها .

وتشكل اتجاهات الأم نحو الذكورة والرجال جزءًا هامًا فى علاقتها مع ابنها وتصبح بالتالى ميالة إلى أن تصور زوجها وابنها بطريقة متشابهة . ومع ذلك فلا يمكن إعفاء ردود أفعال الأم تمامًا من وجود الفروق الفردية بين الأطفال فى هذا المجال . وغالبًا ما ترتبط درجة إدراك الأم لابنها أو ابنتها على أن أيًا منهما يشبه أبيه بالأنماط السلوكية التى تصدر عن هذا الطفل وسماته الجسمية . فلو كان الولد على سبيل المثال يشبه أبوه كثيرًا فى شكله وجسمه يصبح من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأم أن تتوقع منه أن يكون سلوكه أكثر شبهًا بسلوك أبيه مما لو كان هناك شبه قليل بينه وبين أمه .

الحماية الزائدة من جانب الأم :

من الجدير بالذكر أن الحماية الزائدة للأطفال من جانب الأم تعتبر أمرًا مصاحبًا لحرمانهم من الأب . ومن الملاحظ أن الأب فى مثل هذه الأسر التى تغمر فيها الأم أطفالها بالحماية الزائدة غالبًا ما يتسم بالخنوع أو يكون دوره غير فعال (Levy, 1943) . وعندما ينغمس الأب بفاعلية فى حياة أفراد أسرته يصبح له موقفه الناقد والحساس جدًا من إحاطة الأطفال بالحماية الزائدة ، كما يصبح نموذجًا لأطفاله يمكنهم الاحتذاء به فى أنماط السلوك المستقلة التى تصدر عنهم . أما إذا كان الأب غائبًا عن المنزل فغالبًا ما يزداد احتمال إحاطة الأم لأطفالها بحمايتها الزائدة . ويعتبر عمر الطفل فى بداية غياب الأب عن المنزل عاملاً هامًا فى هذا الصدد إذ يصبح من الأكثر احتمالاً بالنسبة للولد الذى يغيب عنه أبوه خلال سنوات المهد أو خلال سنوات ما قبل المدرسة أن تحيطه الأم بالحماية الزائدة ، ولكن إذا كان الطفل كبيرًا فى بداية غياب الأب يصبح متوقعًا منه أن يضطلع بكثير من المسئولية التى كان الأب يتحملها قبل غيابه .

ويرى ستيندلر (١٩٥٢) Stendler أن هناك فترتين حرجتين فى نمو الاعتمادية الزائدة عند الأطفال ، تحدث أولاهما فى حوالى الشهر التاسع من الميلاد وذلك عندما يبدأ الطفل ذكرًا كان أم أنثى فى اختبار مدى تلبية الأم لحاجاته الاعتمادية . أما الثانية فتحدث

ما بين السنة الثانية والثالثة من عمر الطفل وذلك عندما يبدأ فى التخلى عن سيطرة أمه ويتعلم كيف يتصرف مستقلاً عنها بأساليب مقبولة ثقافيًا . ومن الملاحظ أن حرمان الطفل من الأب خلال هاتين الفترتين يمكن أن يجعله ميالاً إلى الاعتمادية الزائدة . وعند دراسته لأطفال الصف الأول الابتدائى وجد ستيندلر (١٩٥٤) Stendler أن العديد من الأطفال الذين وصفهم معلموهم بالاعتمادية الزائدة على الغير ينحدرون من أسر تسودها معدلات مرتفعة لغياب الأب . وكان هناك ثلاثة عشر طفلاً من بين الأطفال العشرين الذين يتصفون بالاعتمادية الزائدة قد غاب عنهم آباؤهم خلال السنوات الثلاث الأولى من أعمارهم قياسًا بستة أطفال فقط من بين الأطفال العشرين الذين تضمهم المجموعة الضابطة كان آباؤهم يغيبون عنهم فترات أقصر مما كان يفعل آباء أقرانهم الذين يتصفون بالاعتمادية الزائدة . أما الأب الذى ينغمس بفاعلية فى حياة أطفاله فيثبط من ميل الأم للحماية الزائدة ويشجع الأطفال على النشاط الاستقلالى وخاصة الأطفال الذكور . إلا أن هذه الدراسة لم تتضمن أى مقارنة بين الجنسين .

ويرى ستولز وآخرون (١٩٥٤) .Stolz, et al من خلال تلك التقارير التى قامت الأمهات بكتابتها بناء على تذكرهن للأحداث الماضية ، يرون أن الأمهات اللائى كان يغيب أزواجهن عنهن بسبب اشتراكهم فى الخدمة العسكرية كن ميالات إلى تقييد الأنشطة الحركية لأطفالهن فى مرحلة المهد بدرجة أكبر من قريناتهن اللائى لم يغب أزواجهن عنهن . ومع ذلك فقد كان يمكن لهذه النتائج أن تكون أكثر معنى ومغزى لو أن هؤلاء الباحثين كانوا قد قاموا بعمل تحليلات منفصلة بناء على جنس الطفل . كذلك فقد توصل تيلر (١٩٥٨) Tiller إلى نتائج مشابهة عند دراسته لأمهات الأطفال النرويجيين الذين تتراوح أعمارهم بين ثمانى وتسع سنوات . وعند مقارنة استجابات الأمهات اللائى لم يتواجد أزواجهن بالمنزل إلا نادرًا حيث كانوا ضباطًا بالبحرية باستجابات أمهات أخريات لا يغيب عنهن أزواجهن ويمثلن مجموعة ضابطة فى تلك الدراسة ، وجد أن الأمهات اللائى كان يغيب أزواجهن عن المنزل كن يقمن بإحاطة أطفالهن بالحماية الزائدة كما تقاس من خلال مقابلة أجريت معهن ومن خلال استجابة الأطفال أيضًا على اختبار اللعب بالدمى .

وتؤكد نتائج درسات ستولز وآخرين (١٩٥٤) Stolz, et al. وتيلر (١٩٥٨) Tiller أن البنين المحرومين من آبائهم والذين تغمرهم أمهاتهم بالحماية الزائدة كان من المحتمل بالنسبة لهم أن تواجههم بعض المشكلات فيما يتعلق بنموهم الذكرى . ووجد تيلر (١٩٧٤) Tiller فى دراسته لعينة من الأطفال فى الخامسة من أعمارهم يغيب عنهم آباؤهم أن أمهاتهم كانت أقل تشجيعًا لسلوكهم الاستقلالى والعدوانى قياسًا بقريناتهن اللائى لم يغب عنهن أزواجهن وتوضح العديد من الاستجابات غير الرسمية للأمهات اللائى كان يغيب عنهن أزواجهن أنهن كن خائفات على أطفالهن من الإصابات الجسمية .

وعندما يغيب الأب عن الطفل تصبح علاقة هذا الطفل بأمه انفعالية حادة ، كما لا يوجد أمامه سوى فرصًا قليلة لملاحظة العلاقات الجيدة بين الرجال والنساء . وتمثل العلاقة الحميمة التى تقوم بين الابن وأمه فى ظل حرمان ذلك الابن من الأب عاملاً هامًا يساهم فى خلق الصعوبات والمشكلات التى ترتبط بالعلاقات الجنسية الغيرية والأسباب المرضية للجنسية المثلية (Biller, 1974c) .

الخلفية الاجتماعية الثقافية للأم :

عند تقييم المتغيرات التى تؤثر على سلوك الأمهات اللائى يغيب عنهن أزواجهن لا يمكننا بأى حال من الأحوال أن نتغاضى عن المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التى تواجههن (e.g. Glasser & Navarre, 1965) . ويصف كريسبرج (١٩٦٧) Krisberg وضع الأم التى يغيب عنها زوجها فيقول بأن غياب الأب من المحتمل أن يعنى أن زوجته السابقة سيئة ، وتعيش فى بيئة رديئة ، ولا تقدم المساندة الاجتماعية والانفعالية والجسدية فى تربية الأطفال . وعلاوة على ذلك فإن الكيفية التى تتلاءم بها الأمهات اللائى يغيب عنهن أزواجهن مع تلك الظروف لها آثارها الهامة على أطفالهن .

ومن ناحية أخرى فإن مدى توفر مصادر اقتصادية واجتماعية للأم التى يغيب عنها زوجها يمكن أن تؤثر على الفرص التعليمية وفرص التفاعل بين الشخصى لطفلها . وتكشف الدراسة التى أجراها كيلام وآخرون (١٩٧٨) Kellam, et al. أن إثقال كاهل الأم بالمسئوليات التى قد لا يوجد فى الغالب راشدون آخرون يساعدونها فيها يمثل

مشكلة جوهرية فى الأسر المحرومة اقتصاديًا التى يغيب عنها الأب . كما أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأسر التى ليس لها سوى الأم فقط mother alone families أن يكون أطفالها سيئ التوافق الشخصى والاجتماعى وذلك من بين الأطفال السود الفقراء قياسًا بالأسر التى لا يغيب عنها الأب . أما الأسر التى تضم كلاً من الأم والجد للأم فتواجهها مشكلات نهائية أقل بالنسبة للأطفال مقارنة بتلك الأسر التى تضطلع فيها الأم بمفردها بالمسئولية الكاملة عن تربية الأطفال .

ويضيف غياب الأب أو عدم كفاءته بوجه عام إلى الآثار الموهنة التى يخبرها بالفعل هذا القطاع المحروم اقتصاديًا فى المجتمع ويزيد منها ، إذ غالبًا ما يرتبط غياب الأب أو عدم كفاءته بنقص المصادر المختلفة أمام الأم . ومن الممكن للحرمان الاقتصادى أن يجعل من الصعب على الأطفال الذين يغيب آباؤهم عنهم أن يستفيدوا من الخبرات التى يمكن أن تؤثر بفعالية على نموهم . كما أن الحرمان الاقتصادى المستمر يجعل من السهل على الأطفال أن يطوروا اتجاهًا انهزاميًا حول قدرة الفرد فى التأثير على البيئة . ويشير العديد من الباحثين كما يرى هيرزوج وسوديا (١٩٧٣) Herzog & Sudia إلى أن الصعوبات التى تواجه نمو شخصية الطفل ترجع فى أساسها إلى غياب الأب الذى يعتبر هو السبب الأساسى فيها ، إلا أنهم مع ذلك لم يولوا اهتمامًا واعتبارًا لأثر الحرمان الاقتصادى فى هذا الصدد .

وترتبط اتجاهات الأم بالفرص الاقتصادية والاجتماعية المتاحة أمامها وتنتقل هذه الاتجاهات بشكل ثابت إلى طفلها . ومن جانب آخر فإن آراء الأم عن قيمة التعليم ترتبط بخلفيتهاالاجتماعية الثقافية . وكنتيجة لاختلاف قيم الأم وأنماط التعزيز التى تصدر عنها فإن الأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم والذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة يعتبرون هم الأقل فيما يتعلق بمقدار الإعاقة التى تنتاب محاولاتهم العقلية وذلك قياسًا بأقرانهم الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا ويغيب عنهم آباؤهم أيضًا . وكذلك يبدو أن البنين الذين يغيب عنهم آباؤهم وينتمون إلى الطبقة المتوسطة يتلقون تشجيعًا من أمهاتهم على التحصيل الدراسى أكثر مما يتلقاه أقرانهم من الطبقة الدنيا الذين يغيب عنهم آباؤهم (Biller, 1974a, 1974b) .

الأمومة الفعالة :

من الممكن بالنسبة لعلاقة الأم بالطفل أن تثير وتسهل أو تعوق النمو السوى لشخصية الطفل . وتصبح مثل هذه العلاقة بين الأم وطفلها ذات أثر فعال على الطفل خاصة إذا كان محرومًا من أبيه . وعند تحليلهم للملاحظات التى أبداها الأخصائيون الاجتماعيون عن البنين الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا ممن تتراوح أعمارهم بين عشر سنوات وخمس عشرة سنة يرى مكورد وآخرون (١٩٦٢) .Mc Cord, et al أن وجود أم مضطربة ورافضة للأبناء أو تتسم بإحدى هاتين السمتين فقط يرتبط بالعديد من المشكلات المختلفة لدى البنين الذين يغيب عنهم آباؤهم منها القلق الجنسى ، والسلوك الارتدادى ، والأفعال الإجرامية ، فى حين يبدو من الأقل احتمالاً بالنسبة للبنين الذين يغيب آباؤهم عنهم أيضًا إلا أن أمهاتهم تعتبر حسنات التوافق أن يتعرضوا لمثل هذه المشكلات المتعددة .

وعندما قام بيدرسين (١٩٦٦) Pedersen بمقارنة مجموعة من البنين المضطربين انفعاليًا مع مجموعة أخرى غير مضطربين انفعاليًا ، وكان جميع هؤلاء الأولاد من أبناء العسكريين ممن تتراوح أعمارهم بين إحدى عشرة سنة وخمس عشرة سنة ، كما كان غياب الأب بالنسبة لهم جميعًا يستمر لفترات طويلة نسبيًا ، وجد أن غياب الأب لدى مجموعة البنين المضطربين انفعاليًا فقط يرتبط بمستوى تلك الاضطرابات الانفعالية كما يقاس بمقياس روجرز للتوافق Rogers Test of Personality adjustment ووجد أيضًا أن أمهات البنين المضطربين انفعاليًا كن هن أنفسهن أكثر اضطرابًا طبقًا لاستجاباتهن على مقياس مينسوتا للشخصية المتعدد الأوجه MMPI وذلك عند مقارنتهم بأمهات البنين غير المضطربين . وتعنى هذه النتائج بطبيعة الحال أن الأمهات السليمات والصحيحات نفسيًا يستطعن أن يتغلبن على بعض الآثار الناجمة عن الحرمان من الأب والتى تترك بصماتها واضحة على الأطفال .

وباستخدام أسلوب المقابلة التى تقوم على تذكر الأحداث الماضية وجد هيلجارد ونيومان وفيسك (١٩٦٠) Hilgard, Neuman, & Fisk عند دراستهم للراشدين الذين توفى آباؤهم عندما كان هؤلاء الراشدون أطفالاً أن قوة الأنا عند الأم تعتبر عاملاً هامًا

لتوافق الابن في رشده . فالأم التى تستطيع أن تستغل مصادرها الخاصة وما يتوافر لها من مصادر خارجية وأن تقوم بجزء من الوظائف المزدوجة للأم والأب مع وجود نسبة ضئيلة من الصراع تكون قادرة على علاج تلك المشكلات التى تواجه أسرتها التى يغيب عنها الأب وذلك بطريقة بنائية . وتوصف مثل هذه الأم بالأنوثة النسبية عندما يكون زوجها لا يزال على قيد الحياة ، ولكنها بعد موته توصف بأنها واثقة من توحدها مع دورها الجنسى الأساسى بما فيه الكفاية لتقوم ببعض الوظائف التقليدية للأب . ومن المهم فى هذا المقام أن نؤكد على أن قوة الأنا بالنسبة للأم وليس الدفء والمحبة التى تقدمها للأبناء أو رقتها معهم تعتبر عاملاً أساسيًّا في توافق أطفالها . وعندما يصبح الأطفال محرومين من الأب فإن الدفء والمحبة والعاطفة المفرطة التي تقدمها الأم للأبناء قد يكون لها أثر ضار على نمو شخصياتهم . كما أن العلاقة الحميمة للأبناء مع أم تحيطهم بالحماية الزائدة تؤثر سلبًا على فرص نضجهم بين الشخصى .

وعندما تتميز الأم بالكفاءة فى علاقاتها بين الشخصية والبيئية فإنها تصبح نموذجًا هامًّا لأطفالها . ومع ذلك فإن نمو شخصيات الأطفال يمكن أن تتم رعايته وتسهيله إذا سمح لهم الأب بالحرية الكافية مع المسئولية لمحاكاة أنماط السلوك الوالدية الفعالة (Biller, 1969a, 1971a) . كما أن تشجيع الأم للابن الذى يغيب عنه أبوه على الإتيان بأنماط السلوك الذكرية يعتبر على درجة كبيرة من الأهمية . ففى الدراسة التى أجريناها على البنين من أطفال الروضة (Biller, 1969b) قمنا بقياس مدى تشجيع الأم لطفلها على القيام بأنماط السلوك الذكرية من خلال استبيان يقوم على الاختيار من متعدد ، ووجدنا أن الدرجة التى تحصل عليها الأم على مقياس تشجيع الأم لطفلها على السلوك الذكرى لها ارتباط ذو دلالة بدرجة ذكورة الابن الذى يغيب عنه أبوه كما تقاس بمقياس تفضيل الألعاب ومقياس تقييمى متعدد الأبعاد يملأه المعلمون . واتضح أيضًا أن البنين الذين يغيب عنهم آباؤهم وتتقبل أمهاتهم أنماط السلوك التوكيدية ، والعدوانية ، والاستقلالية ويقمن بتعزيزها كانوا أكثر ذكورة من أقرانهم الذين يغيب عنهم آباؤهم وتقوم أمهاتهم بتثبيطهم عن القيام بأنماط السلوك تلك . ولم ترتبط درجة تشجيع الأم لطفلها على القيام بأنماط السلوك الذكرى ارتباطًا دالاً بالنمو الذكرى للبنين الذين يغيب عنهم آباؤهم .

ومن ناحية أخرى يبدو أن علاقة الابن بأبيه تعتبر أكثر أهمية من علاقته بأمه عندما يكون الأب موجودًا بالمنزل ، كما يمكن التنبؤ بأن درجة تشجيع الأم للطفل وتوقعاتها فيما يتعلق بالسلوك المرتبط بالدور الجنسى أقل أهمية عندما يكون الأب موجودًا بالمنزل مما لو كان غائبًا عنه . فعلى سبيل المثال نجد أن العلاقة التى تتميز بالدفء والمحبة مع أب يتسم بالذكورة يزيد من مدى أهمية الآثار التى تسببها أم معتدلة تحيط أبناءها بالحماية الزائدة ومع ذلك فإن سلوك الأم يعتبر متغيرًا هامًا في إثارة وإعاقة النمو الذكرى لأولادها الصغار الذين يغيب عنهم أبوهم .

كذلك فيمكن للأم عن طريق تعزيز استجابات معينة لدى أبنائها وتوقعها سلوكًا ذكريًا منهم أن تزيد من إدراك ابنها الذى يغيب عنه أبوه لقيمة الدور الذكرى . ويمكن عن طريق مثل هذا السلوك من جانب الأم أن تدعم وجهة نظر إيجابية عن الذكور لدى أبنائها تصورهم على أنهم ذو أهمية وأقوياء ، وبالتالى تثير أبناءها لتقليد الذكور .

وبوجه عام فإن غياب الأب له تأثير معوق على توجه الدور الجنسى لدى الولد أكثر من تأثيره على تفضيلاته المرتبطة بالدور الجنسى أو تبنيه لذلك الدور الجنسى حيث يبدو أن التفضيلات المرتبطة بالدور الجنسى وتبنى الدور الجنسى يتأثر أكثر بسلوك الأم . ومع ذلك فإذا تلقى الولد الذى يغيب عنه أبوه تعزيزًا من أمه ومن جماعة الأقران يصبح من المحتمل بالنسبة له أن ينظر إلى نفسه وإلى ذكورته إيجابًا ، وأن يطور توجهًا ذكريًا للدور الجنسى على الأقل فى منتصف سنوات المرحلة الابتدائية .

ومن الجدير بالذكر أن غياب الأب قبل أن يبلغ الطفل الخامسة من عمره له أثر معوق على نموه الذكرى أكثر من أثره إذا حدث بعد هذا السن ، وتصبح علاقة الأم بالطفل عاملاً هامًا فى هذا الصدد إذا غاب الأب عن الطفل فى سن مبكرة من حياته . فوجد بيلر وبام (١٩٧١) Biller & Bahm أن درجة التشجيع المدرك الذى تقدمه الأم للسلوك الذكرى من جانب الولد يرتبط إلى درجة كبيرة وبقوة بذكورة الأولاد فى المرحلة الثانوية ممن غاب عنهم آباؤهم قبل بلوغهم الخامسة من أعمارهم . وقد تم تقييم مدى التشجيع على السلوك العدوانى عن طريق استجابة أفراد العينة لمقياس تصنيفى ، وعن طريق التعرف على مدى ذكورتهم من خلال وصفهم لذواتهم على قائمة الصفات . ومن

بين الأولاد الذين غاب عنهم آباؤهم قبل بلوغ الخامسة من أعمارهم كان أولئك الذين أدركوا أمهاتهم على أنهن تشجعنهم على القيام بالسلوك التوكيدى والعدوانى المرتبط بالمفاهيم الذكرية للذات بدرجة أكبر من أقرانهم الذين أدركوا أمهاتهم على أنهن تثبطن من قيامهم بمثل هذا السلوك . وعلى الرغم من عدم قيام هذين الباحثين بتناول الكيفية التى يمكن بها لمتغيرات مثل عمر الطفل عند بداية غياب الأب أن تتفاعل مع نوعية سلوك الأم ، فإن هناك نتائج أخرى تؤكد أن الأمومة الفعالة يمكن أن تبعد الطفل الذى يغيب عنه أبوه عن المشكلات التى تعترض توافقه الشخصى والانفعالى (e.g. Kagel, et al. 1978: Santrock & Warshak, 1979) .

وتؤكد بوس (١٩٧٧) Boss على أهمية دور الأم فى الأسرة التى يغيب عنها الأب كما تركز بشدة على الاختلال الوظيفى فى الأسرة التى تعتمد على الوجود السيكلوجى للأب الذى يغيب عنها بجسده فى الواقع على الرغم من أنه يمكن علاج غياب الأب كما لو كان ذلك الأب قد غادر المنزل مؤقتًا فى التو وإن كان فى الواقع لن يعود إليه ثانية . وقد تأثرت بوس Boss وغيرها من الباحثين الذين درسوا تلك الأسر التى فقدت الأب قياسًا بالصلابة الشديدة لبعض الأسر فى تأييدها لفكرة استمرار وجود الأب وحياته على الرغم من انقضاء بعض السنوات ولم توجد أدلة على أنه لا يزال على قيد الحياة .

ومن المهم بالنسبة للأسرة أن تحل غموض الموقف بإعادة توزيع الوظائف المختلفة التي ترتبط بدوره ، وأن تعترف صراحة بأن الأب لن يعود للمنزل ثانية . ووجدت Boss أن السواء الانفعالى للأسرة يرتبط ارتباطًا شديدًا بقدرة الأم على تقبل الحقيقة بأن زوجها لم يعد عنصرا فعالاً فى الأسرة باستثناء إذا كانت الأسرة لا تزال تتلقى حصتها المادية المخصصة لها من الجيش . كما أن قدرة الأم على أن تساير حياتها ، وأن تكافح فى سبيل نضجها الشخصى ، وأن تقيم علاقة حميمة مع الآخرين ، وأن تحاول الوصول إلى مستوى أفضل من التعليم ، وأن تطور خططًا لتتزوج من جديد يرتبط ارتباطًا شديدًا بالتوافق الانفعالى لأطفالها . وبطبيعة الحال لا يجب النظر إلى مثل هذه النتائج على أنها تتعارض مع ذكريات الأم الإيجابية عن زوجها . ومن ناحية أخرى فإن الخطابات والصور الفوتوغرافية والأفلام المنزلية والممتلكات والإنجازات التى تحققت وترتبط

بالأب ، إضافة إلى ما تقدمه الأم من وصف عن الأب يمكن أن تلعب جميعها دورًا بنائيًا فى مساعدة الأطفال على تطوير صورة إيجابية ملموسة للأب الذى ربما لا يعرفه (Biller, 1974c, 1978) . وتوضح هذه النتائج أن الأم يجب ألا تشجع التوقعات غير الواقعية فيما يتعلق بالدور المستمر والمستقبلى للأب الذى لم يعود للمنزل ثانية .

وتكشف دراسة هيذرنجتون وكوكس وكوكس (١٩٧٨) Hetherinton, Cox & Cox عن العديد من النتائج التى تؤكد على أهمية الفروق الفردية فى العلاقة بين الأم والطفل فى الأسرة التى يغيب عنها الأب . فقد وجدن من خلال دراستهن التى تهدف إلى تحديد أثر الطلاق على الأطفال الصغار والتعرف على ما إذا كان من المحتمل أن ترتبط علاقة الطفل الإيجابية مع الأم بالتوافق الشخصى والاجتاعى الجيد للطفل . وحتى إذا كانت العلاقة السابقة بين الأم والأب يسودها الصراع فإن العلاقة الجيدة بين الأم والطفل قادرة على أن تخفف عن الطفل فى الأسرة التى يغيب عنها الأب من وطأة تلك العلاقة المضطربة بين أمه وأبيه . كما أن نوعية العلاقة بين الأم والطفل فى الأسرة التى يغيب الأب عنها لها أثر كبير على الأداء المعرفى للطفل وأدائه الاجتماعى وممارسته للدور الجنسى .

ومن ناحية أخرى فإن الأم التسلطية التى تعمل على الحفاظ على بيئتها المنزلية منظمة يمكنها أن تسهل من الأداء المعرفى للطفل الذى يغيب عنه أبوه ومن نمو قدرته على ضبط النفس . كما أن الأم التى تقوم بتعزيز أنماط السلوك المنمطة جنسيًا من جانب طفلها ، والتى تشجعه على السلوك الاستقلالى والاستكشافى ، والتى تتميز بأنها أقل قلقًا وذات وجهة نظر إيجابية عن الأب يصبح من المحتمل بالنسبة لها أن تساعد أبناءها الذين يغيب عنهم الأب على النمو الذكرى السليم وتسهله لهم . وعلى النقيض من ذلك فقد اتضح أن خوف الأم وقيامها بكف الاستقلالية لدى أطفالها وتثبيطها ورفضها للأب يرتبط ارتباطًا شديدًا بالاعتمادية وأنماط السلوك الأنثوية لدى بعض البنين الذين يغيب عنهم آباؤهم .

استنتاجات ومقترحات :

من المفيد بالنسبة لنا أن نمعن النظر فى بعض الوسائل الأساسية المستخدمة فى الأبحاث والتى تعتبر جديرة بالاكتشاف والدراسة فى محاولة لفهم الأثر المعقد لغياب الأب والطلاق على نمو الطفل . ونحن نؤكد أننا يجب أن نلجأ إلى المنظور النمائى الطولى متعدد الأبعاد ليصبح فى مقدورنا أن نفهم ذلك الأثر . وبالتالى فنحن فى حاجة إلى أن نختار بعناية مجموعة معينة للمقارنة ، كما يجب أن نضع بعض المتغيرات فى اعتبارنا ، وأن نفكر فيما يمكن أن يواجهه الطفل الذى يغيب عنه أبوه وذلك من الناحيتين الإيجابية والسلبية . كما يجب أيضًا على الباحثين أن يضعوا فى اعتبارهم تلك التفاعلات المحتملة بين عدد من المتغيرات من بينها الخصائص البيولوجية التكوينية للطفل ، والأسرة والمتغيرات الاجتماعية الثقافية .

وقد يساعد الاتجاه النمائى الطولى فى إعطاء المزيد من الاهتمام لكل من العوامل الوراثية ، وعوامل البيئة قبل الولادية . كما أن التطورات العلمية يمكن أن تؤدى إلى الوصول إلى أدلة أوضح فيما يتعلق بالإسهام الوراثى من جانب الأب حتى وإن لم يعد الأب يلعب دورًا سلوكيًّا مباشرا فى حياة الطفل . ولنأخذ السؤال التالى كمثال على ذلك: « **كيف يمكن أن يسهم الأب وراثيًّا فى التأثير على الأنماط المزاجية الإيجابية والسلبية من جانب الطفل ؟** » .

ومن الواضح أن غياب الأب قد يرتبط بطريقة غير مباشرة على الأقل بعوامل التوتر من جانب الأم أثناء فترة ما قبل الولادة ، وقد يكون لذلك آثار سلبية على نمو الجنين . فعلى سبيل المثال نجد أنه من غير المحتمل بالنسبة للأم التى يغيب عنها زوجها من بين الأمهات الفقيرات اللائى تنتظر كل منهن مولودًا أن تتلقى عناية مناسبة خلال فترة ما قبل الولادة . أما بالنسبة للزوجين حتى وإن كانا غير متزوجين فإن الأب الذى ينتظر مولودًا بإمكانه أن يوفر للأم التى تتوقع مولودًا مصدرًا للدعم الانفعالى ، وقد يكون عاملاً مباشرا وبطريقة عملية فى ذهابها إلى الطبيب (Biller, & Salter, 1981) . وتوضح نتائج بعض الدراسات أن موت الأب أثناء فترة الحمل بالنسبة لزوجته يرتبط ارتباطًا قويًّا باحتمال وجود اضطرابات سلوكية لدى ذلك الطفل الذى كان جنينًا عندما مات أبوه (Huttunen & Naskanen, 1978) .

ومن المحتمل فى بعض الحالات أن يؤدى رد الفعل المتوتر من جانب الأم إلى موت الجنين ، كما أنه من الأقل احتمالاً بالنسبة للأم التى تفقد مساندة الأب (زوجها) أثناء عملية الولادة أن تعطى مولودها الجديد العناية المناسبة . ويمكن لهذه التفسيرات على الرغم من كونها ذات طبيعة نظرية بدرجة أكبر أن تفتح المجال أمام الباحثين لإجراء العديد من الأبحاث .

وإذا كان علينا أن نفهم بشكل أفضل مدى تأثير غياب الأب على نمو الطفل فإن علينا أن نهتم بسمات شخصية الطفل . كما أننا نحتاج إلى إجراء المزيد من الأبحاث التى يتم فيها بمزيد منه العناية تقييم الكيفية التى يمكن بها لجنس الطفل والفروق المزاجية ، بالإضافة إلى مستوى الأداء العقلى والاجتماعى أن يؤثر على تكيف الطفل لغياب أبيه . وتؤكد نتائج بعض الدراسات التى قمنا نحن بإجرائها على سبيل المثال أن الأطفال الأصغر سنًا الذين يتميزون بدرجة عالية من الكفاءة الجسمية والعقلية عند بداية غياب الأب لم يعق مستوى نموهم بنفس درجة الإعاقة التى تعرض لها أقرانهم ذوو المستوى المتوسط أو الأقل من المتوسط من نفس الكفاءة (Biller, 1974c) .

ومن ناحية أخرى فإننا نحتاج أيضًا إلى مزيد من البيانات والمعلومات عن الأطفال الذين نطلق عليهم أنهم أقل إحساسًا لغياب الأب . كذلك فنحن أيضًا نحتاج لتلك البيانات والمعلومات حول نوعية علاقة الطفل بأمه وبغيرها من الراشدين ، ومدى تأثرها بالحالة المزاجية للطفل وأنماط سلوكه . وإلى جانب ذلك يجب أن يولى الباحثون اهتمامًا بالتراكيب الأسرية المختلفة ، والمتغيرات ذات الصلة بالنسق الاجتماعى ، ويتضمن ذلك أخوة الطفل ، وترتيبهم الميلادى ، ومدى تواجد نماذج بديلة للأب بالمنزل . كما أن سمات شخصية الطفل ، ومدى الصعوبة التى يجدها الوالدان في التعامل معه بناء على هذه السمات يمكن أن نعتبرها عاملاً هامًا يساهم فى عدم تواجد الأب بالمنزل أو فى حدوث الطلاق بين الوالدين .

ويمثل سبب غياب الأب متغيرًا آخر له أهميته . فيترك الطلاق آثارًا على الطفل تختلف اختلافًا كبيرًا عن تلك التى يسببها موت الأب أو غيابه بسبب العمل . ويعتبر رد فعل الأم لغياب زوجها أمرًا له درجة كبيرة من التأثير على الطفل . ونحن فى الواقع

نحتاج إلى مزيد من الأبحاث عن أسباب الطلاق وإدراك الطفل لهذه الأسباب وكيف يؤثر ذلك على مدى تكيفه وتوافقه ، كأن نحاول التعرف مثلاً على طبيعة الفروق التى نحصل عليها لو أن الوالد من نفس جنس الطفل تم إدراكه من جانب الطفل على أنه هو الذى بادر بالطلاق . وبطبيعة الحال فإنه يجب الاهتمام بمثل هذه المتغيرات فى سياق الأنساق الاجتماعية .

كذلك يمكن للباحثين أن يقوموا بإجراء المقارنات بين الأسر التى يغيب عنها الأب والأسرة المتماسكة وذلك بعمل التحليلات اللازمة بمزيد من العناية وذلك فيما يتعلق بالفروق الفردية فى الأداء الأسرى بين كل الأنماط الأسرية وما يرتبط بها من أنماط فرعية. فعلى الرغم من أن دراسة الأسرة التى يغيب عنها الأب على سبيل المثال قد يكون لها قيمة تشجع على افتراض وظائف معينة للأب قد لا يمكنه القيام بها ، فإنه لا يوجد أمام البحوث التى تقوم على مثل هذه المقارنات بديل عن التحليل المباشر للدور الذى يضطلع به الأب فى الأسر المتماسكة . وبطبيعة الحال فإن إجراء مثل هذه الأبحاث يفيد كثيرًا فى فهم ديناميات الأسرة وذلك فى كل من الأسر التى يغيب عنها الأب وتلك التى يتواجد الأب فيها ولا يغيب عنها مع التركيز على العلاقة بين الأب والطفل والأخوة . كما يجب الاهتمام بالمصادر الأخرى للتأثير الشخصى والتى تتضمن تلك الأسر التى نطلق عليها الأسر الممتدة أو المتسعة extended وجماعة الأقران .

ويجب أيضًا أن نولى اهتمامنا لذلك الاتجاه الذى يضع فى الحسبان المراحل النمائية للعديد من أفراد الأسرة إضافة إلى نوعية الأداء الأسرى وهو ما يمكن أن يساعدنا فى فهم أثر الطلاق على الطفل . فرد الفعل من جانب أعضاء مختلفين فى الأسرة فى أوقات مختلفة قبل وبعد الطلاق على سبيل المثال قد يؤثر بشكل كبير على تكيف الطفل على المدى القريب والبعيد . كما أن المنظور الطولى سوف يساعدنا على التمييز بين ما يمكن اعتباره نكسات أو زيادة مفاجئة فى النمو على المدى القريب عما يمكن اعتباره مكاسب أو قصور فى الأداء اللاحق على المدى البعيد . وبطبيعة الحال فإن الاتجاه المستعرض يمكن على الأقل أن يبقى فى الحسبان على أثر الطلاق وغياب الأب على الطفل فى فترات نمائية محددة .

ويتضح من البيانات ونتائج الدراسات التى تم استعراضها خلال هذا الفصل أن الطلاق لا يعنى أن يغيب الأب بالضرورة عن الطفل فيصبح ذلك الطفل بلا أب يساهم فى رعايته حيث يقوم العديد من الآباء المطلقين بزيارة أبنائهم باستمرار ، بل وينغمسون فى حياتهم ويشاركونهم إياها ، ويقيمون معهم علاقات جيدة ، ويقومون برعايتهم بشكل كامل . وإذا ما قمنا بتحليل تلك الأنماط المختلفة للرعاية من جانب الأب فإن ذلك سوف يساعدنا على معرفة الكثير عن الكيفية التى يمكن بها لمدى تواجد الأب بالمنزل ونوعية الأداء الذى يقوم به (مع تفاعل عوامل أخرى) أن يؤثر على الطفل الذى انفصل والداه بالطلاق .

ومن جانب آخر يجب أن تؤدى الأبحاث المستقبلية إلى تحديد أوضح لأنماط السلوك التى تقوم بها الأم ، وأبعاد العلاقة بين الأم والطفل والتى ترتبط بنمو شخصية الطفل الذى يغيب عنه أبوه . وقد تم فى قسم سابق من الفصل الحالى استعراض بعض الدراسات التى تتناول آثار غياب الأب على نمو شخصية البنت ، وهذا يدفعنا إلى الحديث عن مدى أهمية أن يقوم الباحثون الذين يتناولون الأثر الناجم عن غياب الأب على أبنائه من الجنسين بالتعرف بدقة على الآثار المختلفة المحتملة للعلاقة بين الأم والطفل كدالة لجنس الطفل . ومن الممكن بالنسبة للنتائج التى سوف نحصل عليها من مثل هذه الدراسات أن تفيد كثيرًا فى تخطيط البرامج التى تهدف إلى تحقيق الحد الأقصى من الاستفادة من الطاقة العقلية وبين الشخصية الكامنة لدى الطفل الذى يغيب عنه أبوه وتحسين الظروف التى تساعد على تطورها ونموها . كما يمكن أن تفيد أيضًا في تخطيط البرامج التى تهدف إلى مساعدة الأمهات فى الأسر التى يغيب عنها الأب على أن يصبحن أكثر فاعلية فى حياة أطفالهن .

الوقاية والعلاج :

نظرًا لزيادة عدد الأفراد المحرومين من آبائهم كثيرًا بين من يعانون من المشكلات النفسية لن يكون مدهشًا إذا عرفنا أن تقرير الحالة التى يوردها المعالجون النفسيون تتضمن الكثير عنهم . وعلى الرغم من النقص الكبير فى عدد الأبحاث التى تتناول ذلك فإن هناك الكثير من الوصف والإيضاح للمحاولات العديدة التى بذلها جميع المعالجين

النفسيين لمساعدة أولئك الأطفال الذين يغيب آباؤهم عنهم أو الأطفال من ذوى الآباء الذين يفتقرون إلى الكفاءة الوالدية (e.g. Forrest, 1966, 1967;Green, 1974) .

ويرى جلوك وجلوك (١٩٥٠) Glueck & Glueck أن هناك العديد من الأولاد المنحرفين قد أقاموا علاقة حميمة مع بديل الأب واستطاعوا بذلك أن يتخلصوا من ميولهم المضادة للمجتمع . ووجد تيرنمان (١٩٥٢) Ternaman أن الشباب الذين كانوا يعانون من الانحراف الدائم أثناء خدمتهم فى الجيش البريطانى قد أحرزوا تقدمًا ملموسًا وتحسنت حالاتهم نتيجة العلاقات الجيدة التى استطاعوا أن يقيموها مع بديل الأب . وقد يرجع التجاوب الذى يبديه الولد الذى يغيب عنه أبوه مع المعالج الذكر أو نموذج الدور إلى دافعيته لأن يصاحب الذكور . وفى وصفه لأسلوب العلاج المتبع مع الأطفال الصغار الذين تصدر عنهم أنماط سلوكية مضادة للمجتمع لاحظ ريكسفورد (١٩٦٤) Rexford أن احتمال تحقيق المعالجين النفسيين للنجاح مع الأولاد الذين يغيب عنهم آباؤهم يزداد عن احتمال تحقيقهم للنجاح مع الأولاد الذين توحدوا بقوة مع آباء مضطربين انفعاليًا أو مجرمين أو غير أكفاء .

وهناك العديد من الجمعيات التى توفر للأطفال المحرومين من آبائهم بدائل للأب ، مثل جمعيات «الأخوة الأكبر» و«فرق المصارعة» على سبيل المثال . كما أن الاستشارات المهنية المتخصصة التى تقدم لتلك الجمعيات والتأييد المجتمعى الذى تحظى به سوف يساعد على تحقيق الفائدة الأعظم لأكبر عدد ممكن من هؤلاء الأطفال (e.g. Biller, 1974c: Brody, 1978; Jenkins, 1979) .

ويوضح القدر المتاح من الدراسات أنه حتى فى السنوات الأولى من حياة الفرد يمكن أن يتأثر نمو شخصية الطفل كثيرًا بدرجة ونمط المشاركة والاهتمام التى يبديها له الأب أو بديله . وهناك مراكز أخرى كمراكز الرعاية اليومية مثلاً يمكنها أن توفر للعديد من هؤلاء الأطفال بدلاء لآبائهم . كما يتضح أيضًا أن الخدمات التى تقدمها الجمعيات المختلفة كجمعية «الأخوة الأكبر» مثلاً لهؤلاء الأطفال يمكن استغلالها بدرجة جيدة تساعدهم على تحقيق النمو السليم .

مقترحات تربوية :

يستطيع نظامنا التعليمى أن يلعب دورًا كبيرًا فى تقليل آثار الحرمان من الأب وذلك إذا ما استطعنا أن نوفر عددًا أكبر من المعلمين الذكور خاصة فى دور الحضانة ورياض الأطفال والصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية حيث يكون باستطاعة هؤلاء المعلمين الأكفاء القادرين على إقامة علاقات بين شخصية جيدة مع هؤلاء الأطفال أن يساعدوا العديد منهم على النمو المعرفى إضافة إلى إسهامهم فى الأداء الاجتماعى العام لهؤلاء الأطفال غائبى الأب (Sexton, 1969; Biller, 1974a, 1974c) .

وعلى ذلك فإننا نحتاج إلى مزيد من الحوافز لتشجيع العديد من الرجال أن يصبحوا معلمين للأطفال الصغار . كما يجب أن نعطيهم المزيد من الحرية والاستقلالية التى تساعدهم على الابتكار ، إلى جانب إعطاؤهم مزيد من المكافآت المالية . كما يجب أن نوضح لكل من الرجال والنساء على حد سواء مدى التأثير الذى يحدثه الذكور على نمو الطفل ، ومدى أهمية التأثير الذكرى على الطفل فى السنوات الأولى من نموه .

ومن ناحية أخرى يجب أن نحيط الآباء وبدلاءهم علمًا بأهمية دور الأب فى نمو الطفل وذلك من خلال النظام التعليمى ووسائل الإعلام (Biller & Meredith, 1972, 1974) . ويمكن لهذه الإجراءات إضافة إلى استخدام عدد من البرامج المناسبة أن تقلل من عدد الأسر التى يغيب عنها الأب . كما يمكن للامتيازات التى يحصل الآباء عليها كالحوافز المالية وغيرها أن تساعد هؤلاء الآباء على البقاء مع أسرهم ، إضافة إلى ما يحدث حاليًا من بعض المختصين من محاولة الإبقاء على تماسك بعض الأسر وإعادة بناء غيرها من الأسر وهو ما يمكن أن يفيد كثيرًا فى هذا المجال .

ويمكن أيضًا أن يتم تركيز البرامج الوقائية على تلك الأسر التى يزداد احتمال غياب الأب عنها . كما يمكن تصميم عدد من الوسائل والأساليب العلمية الدقيقة التى يمكن بمقتضاها تحديد العواقب الوخيمة المحتملة لغياب الأب عن الأسرة سواء تم ذلك بالانفصال أو الطلاق ، علمًا بأن هناك بعض الأسر التى يستطيع كل من الوالدين والأطفال فيها أن يكون أداؤهم جيدًا بعد الطلاق . كما يجب أيضًا الاهتمام عند حدوث

الطلاق بتحديد ما إذا كان كل الأطفال أو بعضهم فقط هو الذى سوف يستفيد من بقائه مع الأب (Biller & Meredith, 1974) . ويرى سانتروك ووارشاك (١٩٧٩) Santrock & Warshack أنه قد يكون من الأفضل بالنسبة للأطفال الذين ينفصل والداهم بالطلاق أن يعيش كل منهم مع والده من نفس جنسه . وعادة ما يكون من الأسهل أن نجد بديلاً للأم كالجدة مثلاً أو المربية عن أن نجد بديلاً للأب . وهناك من الأدلة ما يؤكد على أن الأب يمكنه أن يكون فعالاً كالأم سواء كان ذلك فى إطار أسرى أو كان منفصلاً عن الأم (Biller & Meredith, 1974; Walters, 1976) .

وعلينا من جانب آخر أن نحدد ما يجب أن نفعله كى نبقى على استمرار التفاعل والعلاقة بين الأب والطفل وذلك فى الأسر التى تم الطلاق بين الوالدين فيها أو حتى أثناء الفترة السابقة لحدوث الطلاق (Biller & Meredith, 1974) حيث توضح الدراسات الحديثة أن هناك فوائد كثيرة تجنى من استمرار الاتصال بين الأب والطفل بعد أن يتم الطلاق بين الوالدين ، ومنها على سبيل المثال دراسة كاشيت وروزنتال (١٩٧٨) Kashet & Rosenthal وأباربانيل (١٩٧٩) Abrabanel ووالرشتاين وكيلى (١٩٨٠) Wakkerstein & Kelly وعلاوة على ذلك فهناك أدلة أخرى تؤكد على حدوث آثار إيجابية لكل من الأطفال والوالدين حينما يقوم الوالدان بالرعاية المشتركة لأطفالهما ويشتركان معًا فى إعداد الترتيبات اللازمة (Biller & Meredith, 1974; Hetherington, Cox, & Cox, 1978; Roman & Haddad, 1978; Grief, 1979; Abarbanel, 1979; Wallerstein & Kelly, 1980a; 1980b; Rosenthal & Kashet, 1981) .

وتؤكد العديد من الدراسات الحديثة نسبيًا والتى تتناول أثر الطلاق على مختلف أعضاء الأسرة على أن الصعوبات التى يواجهها الوالدان فى التغلب على حاجاتهما الخاصة قد تؤثر على مدى كفاءتهما فى التعامل مع الضغوط التى يتعرض لها أطفالهما (Hetherington, et al. 1978; Wallerstein & Kelly, 1980a,b) . كما يجب ألا نتجاهل الآباء وذلك فى الأسر التى يغيب عنها الأب حيث نجد على سبيل المثال أن رد فعل الأم لغياب زوجها قد يلعب دورًا كبيرًا فى مدى تأثير غياب الأب أو قلة تواجده بالمنزل على أطفالها إذ غالبًا ما تكون هذه الأم فى حاجة إلى الدعم النفسى إضافة إلى الدعم

الاجتماعى والاقتصادى . وفيما يتعلق بالصحة النفسية علينا أن نتبع العديد من الأساليب الجيدة لمساعدة الأمهات والأطفال فى الأسر التى يغيب عنها الأب لتحقيق التكيف والتوافق (e.g. Jenkins, 1979; Weiss, 1975; Klein, 1973) .

ومن هذا المنطلق كان أحد الأهداف الأساسية لمجموعة الأمهات التابعة لإحدى الجمعيات التى تهدف إلى تقديم المساعدات للأسر التى يغيب عنها الأب وذلك فى إحدى الدراسات الاستطلاعية أجراها بيلر وسميث (١٩٧٢) Biller & Smith أن تساعد الأمهات اللائى يغيب عنهن أزواجهن على التعامل بطريقة بنائية مع تلك المشكلات الاجتماعية والأسرية التى تواجههن . ومن جانب آخر يرى بولاك (١٩٧٠) Polak أننا يجب ألا نتجاهل المشكلات الجنسية والشخصية المتتابعة التى يعانى منها الآباء والأمهات المنفصلين عن بعضهما ، ويجب أن نقترح لها عددًا من الحلول الذكية التى تساعدهم فى التغلب على مثل هذه المشكلات ، وبطبيعة الحال فسوف يكون بعض هذه الحلول تعليميًّا ويكون بعضها الآخر علاجيًّا (e.g. Jenkins, 1979; Wallerstein, & Kelly, 1977: Weiss, 1975) .

ومن الجدير بالذكر أنه يجب توجيه الجهود المبذولة فى مجال الصحة النفسية والتى تتعلق بالوقاية والعلاج إلى مساعدة الآباء على أن يكون لهم الفاعلية المطلوبة فى تعاملهم مع أبنائهم ، وإلى تحديد بدائل معينة للأب وذلك للأطفال المحرومين من آبائهم . ولذلك فالأمر يتطلب وجود برامج حكومية تتبناها الدولة فى هذا الصدد ، وحتى نوفر الفرص التربوية والاجتماعية الملائمة لنمو أطفالنا جميعًا علينا أن نعالج المشكلة التى يعانى منها عدد كبير منهم والمتمثلة فى عدم وجود اتصال مستمر وهادف بينهم وبين الراشدين من الذكور .

* * *

مراجع الفصل الثامن

Abarbanel. A. (1979). Shared parenting after separation and divorce : A study of joint custody. American Journal of Orthopsychiatry, 49, 329.

Aichorn. A. (1935). Wayward youth. New York: Viking.

Albert, R. (1971). Cognitive development and parent loss among the gifted, the exceptionally gifted. and the creative. Psychological Reports. 29, 19-26.

Altus, W.O. (1958). The broken home and factors of adjustment. Psychological Reports, 4, 477.

Ancona, L.. Cesa-Bianchi, M., & Bocquet, C. (1964). Identification with the father in the absence of the paternal model : Research applied to children of Navey officers. Archivo di Psicologia Neurologia e Psichiatria, 24, 339-361.

Anderson, R. E. (1968). Where's Dad? paternal deprivation and delinquency . Archives of General Psychiatry, 18, 641-649.

Andrews, R. O. & Christensen, H. T . (1951). Relationship of absence of a parent to courtship status : A repeat study. American Sociological Review, 16, 541-544.

Bach, G. R. (1946). Father-fantasies and father typing in father separated children. Child Development, 17, 63-80.

Bacon, M. K., Child, I. L., & Barry, H. (1963). A cross-cultural study of correlates of crime. Journal of Abnormal and Social Psychology, 66,291-300.

Baggett, A. T. (1967). The effect of early loss of father upon the personality of boys and girls in late adolescence. Dissertation Abstracts, 28 (1-B), 356-357.

Baker, S. L., Cove, L. A., Fagen, S. A., Fischer, E. G., & Janda, E. J. (1968). Impact of father-absence: III. problems of family reintegration following prolonged father absence. Paper presented at the meeting of the American ortho Psychiatric Association, Washington, D.C.,March.

Barclay, A G., & Cusumano, D. (1967). Father-absence, cross-sex identity, and field dependent behavior in male adolescents. Child Development. 38, 243-250.

Baxter, J. C., Horton, D. L, & Wiley, R. E., (1964). Father identification as a function of the mother - father relationship. Journal of Individual Psychology, 20,167-171.

Beck., A. T., Sehti, B. B., & Tuthill, R. W. (1963). Childhood bereavement and adult depression. Archives of General Psychaitry, 9, 295-302.

Beller, E. K. (1967). Maternal behaviors in lower- class Negro mothers. Paper presented at the meeting of the Eastern Psychological Association , Boston, April.

Benson L. (1968). Fatherhood :A sociological perspective. New York: Random House.

Biller, H. B. (1968). A multiaspect investigation of masculine development in kindergarten - age boys. Genetic Psychology Monographs, 76, 89-139 (a).

Biller, H. B. (1968). A note on father-absence and masculine development in young lower class Negro and white boys. Child Development, 39, 1003-1006 (b).

Biller, H. B. (1969). Father-absence, maternal encouragement, and sex-role development in kindergartn -age boys. Child Development, 40, 539-546.

Biller, H. B. (1970). Father- absence and the personality development of the male child. Developmental Psychology, 2,181-201.

Biller, H. B. (1971a). Father , child and sex role, Lexington, Mass. : Heath.

Biller, H. B. (1971). The Mother-child relationship and the father-absent boy's peronality development. Merrill-Planer Quarterly, 17, 227-241 (b).

Biller, H. B. (1974a). Paternal and sex-role factors in cognitive and academic functioning. In J. K. Cole & R. Dienstbier (Eds.), Nebraska symposium on motivation, 1973, Lincoln : University of Nebraska Press.

Biller, H. B. (1974b). Paternal deprivation, cognitive functioning and the feminized classroom. In A. Davids (Ed.) Child personality and psychopathology : Current topics. New York: Wiley.

Biller, H. B. (1974c). Paternal Deprivation. Lexington, Mass. : Heath.

Biller, H. B. (1975). The effects of intermittent but prolonged absence of the father . Medical Aspects of Human Sexuality, 9, 179.

Biller, H. B. (1976a). The father-child relationship: Some crucial issues. In V. C. Vaughn & T. B. Brazelton, (Eds.), The family-Can it be saved? Chicago : Year Book Medical Publishers.

Biller, H. B. (1976b). The father and personality development: Paternal deprivation and sex-role development. In M. E. Lamb (Ed.), The role of the father in child development. New York : Wiley.

Biller, H. B. (1977). Sex-role learning :Some comments and complexities from a multidimensional perspective. In S. Cohen & T. J . Comiskey (Eds), Child development : A study of growth . processes. Ithaca, III. : Peacock.

Biller. H. B. (1978). Father absence and military families. In E. J Hunter (Ed.) , A report on the military family research conference. San Diego: Family Studies Branch. Naval Health Research Center.

Biller, H. B., & Bahm, R. M. (1971). Father-absence perceived maternal behavior and masculinity of self-concept among junior high school boys. Developmental Psychology, 4, 178-181.

Biller, H. B. , & Borstelmann L. J. (1967). Masculine development: An integrative review. Merrill - Palmer Quarterly, 13, 253-294.

Biller, H. B., & Meredith D. L. (1972). The invisible American father. Sexual Behavior, 2 (7), 16-22.

Biller, H. B., & Meredith, D. L., (1974). Father power, New York :David McKay.

Biller, H. B., & Salter, M. (1981). The adolescent unwed father. In C. J. Poole (Ed.), Children bearing children : Adolescent pregnancy and parenthood. North Scituate, Mass. : Duxbury Press.

Biller, H. B., & Smith, A. E. (1972). An AFDC mothers group: An exploratory effort in community mental health. Family coordinator, 21,287-290.

Biller. H. B., & Weiss, S. (1970). The father-daughter relationship and the personality development of the female. Journal of Genetic Psychology, 114, 79-93.

Blanchard, R. W., & Biller, H. B. (1971). Father availability and academic performance among third grade boys. Developmental Psychology, 4,301-305.

Boss, P. (1977). A clarification of the concept of psychological father presence' in families experiencing ambiguity of boundary. Journal of Marriage and the Family, 39, 141-151.

Brill N Q., & Liston. E H. (1966). Parental loss in adults with emotional disorders. Archives of General Psychiatry. 14, 307-314.

Brody, S. (1978). Daddy's gone to Colorado: Male staffed child care for father absent boys. Counseling psychologist, 7, 33-36.

Bronfenbrenner, U. (1967). The psychological costs of quality in education. Child Development, 38, 909-925.

Brown, F. (1961). Depression and childhood bereavement. Journal of Mental Science, 107, 754-777.

Brown, J. K. A (1963). cross-cultural study of female initiation rites. American Anthropologist, 65, 837-853.

Burton, R. V., (1972). A cross-sex identity in Barbados. Developmental psychology, 6, 365-374.

Burton, R. V., & Whiting, J. W. M. (1961). The absent father and corss-sex identity. Merrill-palmer Quarterly, 7, 85-95.

Carlsmith, L. (1964). Effect of early father-absence on scholastic aptitude. Harvard Educational Review, 34, 3-21.

Chein, I., Gerrard, D. L., Lee, ·B. S., & Rosenfeld, E. (1964). The road to H. New York: Basic Books.

Cobliner, W. G. (1963). Social factors in mental discorders : A contribution to the etiology of mental illness. Genetic Psychology Monographs, 67, 151-215.

Coleman, J. S., et al. (1966). Equality of educational opportunity. Washington, D. C. : National Center for Educational Statistics, Office of Education.

Cortes, C. F., & Fleming, E. (1968). The effects of father absence on the adjustment of culturally disadvantaged boys. Journal of Special Education, 2, 413-420.

Crook. T. & Eliot J. (1980). Parental death during childhood and adult depression : A critical review of the literature. Psychological Bulletin, 87, 252-259.

Crumley, F. E., & Blumenthal, D. S. (1973). Children's reactions to temporary loss of the father, American Journal of Psychiatry, 130, 778-782.

Oai. B. (1953). Some problems of personality development among Negro children. In L. Kluckhohn, H. A. Murray, & D. M. Schneider (Eds.) , Personality in nature, Society and cluture. New York: Knopf.

D'andrade, R. G., (1973). Father absence, identification and identity. Ethos, 1,440-445.

DaSilva, G. (1963). The role of the father with chronic schizophernic patients. Journal of the Canadian Psychiatric Association 8, 190-203.

Dennehey, C. (1966). Childhood bereavement and psychiatric illness. British Journal of Pschiatry, 112, 1049-1069.

Despert, I. J. (1957). The fatherless family. Child Study, 34, 22-28.

Deutsch, M. & Brown, B. (1964). Social influences in negro-white intelligence differences. Journal of Social Issues, 20, 24-35.

Donini, G . P. (1967). An evaluation of sex-role identication among father - absent and father-present boys. Psychology, 4, 13-16.

Douvan, E., & Adelson, J. (1966). The adolescent experience. New York: Wiley.

Drake, O. T., & McDougall, D. (1977). Effects of the absence of a father and other male models on the development of boys' sex roles. Developmental Psychology, 13, 537-538.

Duke, M. & Lancaster. W. A. (1976). Locus of control as a function of father absence. Journal of Genetic Psychology, 129, 335-336.

Dyl. A. S., & Biller. H. B. (1973). Paternal absence, social calss and readings achievement. Unpublished study, University of Rhode Island.

Egelson, J., & Frank, J. F. (1961). Parents without partners. New York : Dutton.

Eisenstadt, J., M. (1978). Parental loss and genius. American psychologist, 33, 211-223.

Elder, G. H., Jr., & Bowerman, C. C. (1963). Family structure and child-rearing patterns: The effect of family size and sex composition . American Sociological Review, 28, 891-905.

Felner, R., Stolberg, A., & Cowen, E. (1975). Crisis events and school mental health referral patterns of young children . Journal of Consulting and Clinical Psychology, 43,305-310.

Fish, K. D (1969). Paternal availability, family role-structure, maternal employment and personality development in late adolescent females. unpublished doctoral dissertation, University of Massachusetts.

Forrest, T. (1966). Paternal roots of female character development. Contemporary Psychoanalyst, 3, 21-28.

Forrest, T. (1967). The paternal roots of male character development. The Psychoanalytic Review, 54, 81-99.

Frazier, E. F. (1939). The Negro family in the United States. Chicago: University of Chicago Press.

Freud, A. , & Burlingham, D. T. (1944). Infants without family. New York: International University Press.

Freudenthal, K. (1959). Problems of the one-parent family. Social Work. 4,44-48.

Garbower, G. (1959). Behavior problems of children in Navy officers' families : As realted to social conditions of Navy family life. Washington, D. C.: Catholic University Press.

Gay. M. J., & Tonge, W. L. (1967). The late effects of loss of parents in childhood. British Journal of Psychiatry, 113, 753-759.

Glasser. P., & Navarre, E. (1965). Structural Problems of the one-parent family. Journal of Social Issues, 21,98-109.

Glick, P. G., & Norton, A. J. (1978). Marrying, divorcing and living together in the U.S. today. Population Bulletin, 32, 3-38.

Glueck, S., & Glueck, E. (1950). Unraveling juvenile delinquency. Cambridge, Mass.: Harvard University Press.

Goode, W. (1961). Family disorganization. In R. K. Merton & R.A. Nisbet (Eds.), Contemporary social problems. New York: Harcourt, Brace, and World.

Green, R. (1974). Sexual identity comlict in children and adults. New York : Basic Books.

Greenstein, J. F. (1966). Father characteristics and sex-typing. Journal of Personality and social Psychology, 3, 271-277.

Gregory, I. (1958). Studies of parental deprivation in psychiatric patients. American journal of Psychiatry, 115, 432-442.

Gregory, I. (1965). Introspective data fallowing childhood loss of a parent : I. Delinquency and high shcool dropout. Archieves of General Psychiatry, 13,99-109 (a).

Gregory, I. (1965). Anterospective data following childhood loss of a parent: II. pathology, performance, and poential among college students. Archives of General psychiatry, 13, 110-120 (b).

Grief, J. B. (1979). Fathers, children and joint custody. American Journal of Orthopsychiatry, 49,311-319.

Gronseth. E. (1957). The impact of father - absence in sailor families upon the personality structure and soical adjustment of adult sailor sons, part I. In N Andersen (Ed.) , Studies of the family, vol 2. Gottingen: Vandenhoeck and Ruprecht.

Hainline. L., & Feig, E. (1978). The correlates of childhood father absence in college-aged women. Child Development, 49, 37-42.

Hall P., & Tonge, W. L. (1963). Long standing continuous unemployment in male patients with psychiatric symptoms. British Journal of Preventative and Social Medicine, 17, 191-196.

Hamilton, D. M., & Wahl, J. G. (1948). The hospital treatment of dementia praecox. American Journal of Psychiatry, 104, 346-352.

Haworth, M. R. (1964). Parental loss in children as reflected in projective responses. Journal of Projective Techniques, 28,31-35.

Heckel, R. V. (1963). The effects of fatherless ness on the preadolescent female. Mental Hygiene, 47, 69-73.

Hecksher, B. J. (1967). Household structure and achievement orientation in lower- class Barbadian families. Journal of Marriage and the Family, 29, 521-526.

Herzog, E., & Sudia, C. E., (1973). Children in fatherless fa..ailies . In B. M. Caidwell & H. N. Ricciuti (Eds.) , Review of child development research. vol. 3 Chicago : University of Chicago Press.

Hetherington, E. M. (1966). Effects of paternal absence on sex-typed behaviors in Negro and· white preadolescent males. Journal of Personality and Social Psychology, 4, 87-91.

Hetherington, E. M . (1972). Effects of father-absence on personality development in adolescent daughters. Developmental Psychology, 7, 313-326.

Hetherington , E. M. (1979). Divorce: A child's perspective. American Psychologist 34. 851-858.

Hetherington, E. M., Cox, M., & Cox, R. (1976). Divorced fathers. Family Coordinator, 25, 417-428.

Hetherington, E. M., Cox, M., & Cox, R. (1978). Family interaction and the social, emotional and cognitive development of children following divorce. paper presented at the Johnson and Johnson Conference on the Family, Washington, D. C. , May.

Hetherington, E. M., & Deur, J. (1971). The effects of father absence on child development. Young Children, 26, 233-248.

Hetherington, E. M., & Parke, R. D. (1979). Child psychology :A contemporary viewpoint, 2nd ed. New York: McGraw Hill.

Hilgard, J. R., Neumann, M. F., & Fisk, F. (1960). Strength of adult ego following bereavement. American Journal of Orthopsychiatry, 30, 788-798.

Hill, O. W., & Price, J. S. (1967). Childhood bereavement and adult depression. British Journal of Psychiatry, 113, 743-751.

Hill, R. (1949). Families under stress. New York: Harper.

Hoffman, M. L., (1971). Father-absence and conscience development. Child Development, 40, 400-406 (a).

Hoffman, M. L. (1971). Identification and conscience development. Child development, 42, 1071-1082 (b).

Hunt, L. L., & Hunt, J . G. (1975). Race and the father - son connection : The conditional relevance of father absence for the orientations and identities of· adolescent boys. Social Problems, 23, 35-52.

Hunt, J. G., & Hunt, L. L. (1977). Race. daughters and father-loss : Does absence make the girl grow stronger ? Social problems, 25.90-102.

Huttunen. M. O., & Niskanen, P. (1978). Prenatal loss of father and psychiatric disorders. Archives of General Psychiatry, 35, 429-431.

Ingham, H. V. A (1949). statistical study of family relationships in psychoneurosis. American Journal of Orthopsychiatry, 106, 91-98.

Jacobson, G., & Ryder, R. G. (1969). Parental loss and some charachteristics of the early marriage relationship American Journal of Orthopsychiatry, 39, 779-787 .

Jenkins, S. (1979). Children of divorce. In S. Chess & A. Thomas (Eds.). Annual progress in child development, 1979 . New York: brunner / Mazel.

Jones, E. (1963). Raising your child in a fatherless home. New York: MacMillan.

Kagel, S. A., White, R. M., & Coyne, J. C. (1978). Father-absent and father-present families of disturbed and nondisturbed adolescents. American Journal of Orthopsychiatry, 48, 342-352.

Kellam, S. G., Ensminger, M. E., & Turner, R. J. (1977). Family structure and the mental health of children. Archives of General Psychiatry, 34, 1012-1022.

Kelly, F. J., & Baer, D. J. (1969). Age of male delinquents when father left home and recidivism. Psychological Reports, 25, 1010.

Kelly, J. B., & Wallerstein, J. S. (1976). The effects of parental divorce :Experiences of the child in early latency. American journal of Orthopsychiatry, 46, 20-32.

Keshet, J., & Rosenthal, R. (1978). Fathering after marital separation, Social Work, 25, 14-18.

Klein. C. (1973). The single parent experience: New York: Avon.

Koch. M. H. (1961). Anxiety in preschool children from broken homes. Merrill -Palmer Quarterly, 1, 225-231 .

Kohn, H. L (1959). Social Class and parental values. American Journal of Sociology, 64, 337-351.

Kopf, K. E. (1970). Family Variables and school adjustment of eight grade father-absent boys. Family coordinator, 19, 145-150.

Kriesberg, L, (1967). Rearing children for educational achievement in fatherless families. Journal of Marriage and The Family, 29, 288-301.

Lamb, M. E. (1979). Paternal influences and the father's role : A personal perspective. American psychologist, 34, 938-943.

Lamb, M. E., & Lamb, J. E. (1976). The nature and importance of the father-child relationship . Family Coordinator, 25, 370-386.

Landis, J. 1. (1962). A reexamination of the role of the father as an index of family integration. Marriage and Family Living, 24, 122-128.

Landis, P. H. (1965). Making the most of marriage, New York : Appleton - Century -Crofts.

Landy, F., Rosenberg, B. G., & Sutton-Simth, B. (1967). The effect of limited father abesence on hte cognitive and emotional development of children. Paper presented at the meeting of the Midwestern Psychological Association, Chicago, May.

Langner, T. S. , & Michael, S. T. (1963). Life stress and mental health, New York: Free Press.

Lawton, M. J., Securest, L, (1962). Figure Drawings by young boys from father absent and father-presented homes. Journal of Clinical Psychology, 18,304-305.

LeCorgen. L,. C. & Laosa. L. M (1976). Father absence in low-income Mexican-Amen can families. Childrens' Social adjustment and conceptual ditlerentiation of sex-role attitudes. Developmental Psychology. 12, 439-448.

Lederer, W. (1964). Dragons, delinquents, and destiny. psychological Issue, 4 (Whole No.3).

Lee, P. C. & Wolinsky, A. L. (1973). Male teachers of young children: A preliminary empirical study. Young Children, 28, 342-352.

Leichty, M. M. (1960). The effect of father absence during early childhood upon the Oedipal situation as reflected in young adults, Merrill-Palmer Quarterly, 6,212-217.

Leiderman, G. F. (1959). Effect of parental relationships and child training practices on boy's interactions with peers. Acta psychological, 15, 459.

Leonard, M. R. (1966). Fathers and daughtes. International Journal of Psychoanalysis. 47, 325-333.

Lerner, S. H. (1954). Effect of desertion on family life. Social Casework, 35, 3-8.

Lessing, E. E., Zagorin, S. W., & Nelson, D. (1970). WISC subtest and IQ score correlates of father absence. Journal of Genetic Psychology, 67, 181-195.

Levy, D. M. (1943). Maternal overprotection. New York. Columbia University Press.

Longabuagh, R. (1973). Mother behavior as a variable moderating the effects of father absence. Ethos, 1, 456-477.

Loeb, J. (1966). The personality factor in divorce . Journal of Consulting Psychology, 30, 562.

Louden, K H. (1973). Field dependence in college students as related to father absence during the latency period. Unpublished doctoral dissertation, Graduate School of Psychology. Fuller Theological Seminary.

Lynn, D. B. (1969). Parental and sex-role identification, Berkeley: McCutchan.

Lynn, D. B. (1974). The father : His role in child development. Belmont, Calif Brooks/Cole.

Lynn, D. B, & Sawrey, W, L. (1959). The effects of father absence on Norwegian boys and girls. Journal of Abnormal and Social Psychology, 59, 258-262.

Machtlinger, V. (1976). Psychoanalytic theory: Preoedipal and oedipal phases with special reference to the father. In M. E Lamb (Ed.), the role of the father in child development. New York: Wiley.

Madow, L. & Hardy, S. E. (1947). Incidence and analysis of the broken family in the backgroW1d of neurosis. American Journal of Orthopsychiatry, 17, 521-528.

Maxwell, A. E. (1961). Discrepancies between the pattern of abilities for normal and neurotic children. Journal of Mental Science, 107, 300-307.

McCord J., McCord W., & Howard, A. (1963). Family interaction as an antecedent to the direction of male aggressiveness. Journal of Abnormal and Social Psychology, 63,219-224.

McCord, J., McCord, W., & Thurber, E. (1962). Some effects of paternal absence on male children. Journal of Abnormal and Social Psychology, 64, 361-369.

McDermott, J. F. (1968). Parental divorce in early childhood. American Journal of Psychiatry, 124, 1424-1432.

Meerloo, J. A. M. (1956). The father cuts the cord: the role of the father as initial transference figure. American Journal of Psychotherapy, 10,471-480.

Miller, B. (1961). Effects of father-absence and mother's evaluation of father on the socialization of adolescent boys. Unpublished doctoral dissertation. Columbia University.

Miller, W. B. (1958). Lower-class culture as a grenerating milieu of gang delinquency. Journal of Stoical Issues., 14,5-19.

Mischel, W. (1958). Preference for delved reinforcement: An experimental study of cultural observation. Journal of Abnormal and Soical Psychology, 56,57-61.

Mischel, W. (1961). Preference for delayed reward and social responsibility. Journal of Abnormal and Social Psychology,62, 1-7 (a).

Mischel, W. (1961). Father -absence and delay of gratification. Journal of Abnormal and Social Psychology, 62, 116-124 (b).

Mischel, W. (1961). Delay of gratification, need for achievement, and acquiescence in another culture. Journal of Abnormal and Social Psychology, 62, 543-552 (c).

Mitchell, D., & Wilson, W. (1967). Relationship of father-absence to masculinity and popularity of delinquent boys. Psychological Reports, 20, 1173-1174.

Monahan, T. P. (1957). Family status and the delinquent child. Social Forces, 35, 250-258.

Moynihan, D. P. (1965). The Negro family: The case for national action. Washington, D. C. : U. S. Department of Labor.

Mueller, C., & Pope, H. (1977). Marital instability : A study of its transmission between generations. Journal of Marriage and the Family, 39, 83-93.

Nash, J. (1965). The father in contemporary culture and current psychological literature. Child Development, 36,261-297.

Nelsen, E. A., & Maccoby, E. E. (1966). The relationship between soical development and differential abilities on the scholastic aptitude test. Merrill-Plamer Quarterly, 12, 269-289.

Nelsen, E. A., & Vangen, P. M. (1971). The impact of father absence upon heterosexual behaviors and social development of preadolescent girls in a ghetto environment. Proceedings of the 79th Annual Convention of the American Psychological Association, 6, 165-166.

Neubauer, P. B. (1960). The one-parent child and his Oedipal development. The Psychoanalytic Study of the child, 15, 286-309.

Norton, A. (1952). Incidence of neurosis related to maternal age and birth order. British Journal of Social Medicine, 6, 253-258.

Nye, F. 1. (1957). Child adjustment in broken and unhappy homes. Marriage and Family Living, 19, 356-361.

Oltman, J. E., & Friedman, S. (1967). Parental deprivation in psychiatric conditions : III. In personality disorders and other conditions. Diseases of the Nervous System 28, 298-303.

Oltman, J. E, McGarry, J. 1., & Friedman, S. (1952). Parental deprivation and the broken home in dementia praecox and other mental disorders. American Journal of Psychiatry, 108,685-694.

Parish, T. S., & Copeland, T.F . (1980). Locus of control and father loss. Journal of Genetic Psychology, 136, 147-148.

Parke, R. D. (1979). Perspectives on father -infant interaction. In J. D. Osofsky (Ed.) Handbook of infant development. New York: Wiley.

Pedersen, F. A. (1966). Relationships between father-absence and emotional disturbance in male military dependents. Merrill-Plamer Quarterly, 12, 321-331.

Pedersen, F. A. (1976). Does research on children reared in father-absence homes yield information on father influences ? Family Coordinator, 25, 458-463.

Pedersen, F. A. Rubenstein, .J., & yarrow, L. J. (1979). Infant development in father-absent families. Journal of Genetic Psychology, 135, 51-61.

Pettigrew, T. F. (1964). A profile of the Negro American. Princeton, N. J. : Van No strand.

Phelan, H. M. (1954). The incidence and possible significance of the drawing of female figures by sixth-grade boys in response to the Draw- a-Person Test. Psychiatric Quarterly, 38, 1-16.

Pollak, G. K. (1970). Sexual dynamics of parents without partners. Social Work, 15.,79-85.

Pope, B. (1953). Socioeconomic contrasts in children's peer culture prestige values. Genetic Psychology Monographs, 48, 157-200.

Radin, N. (1976). The role of the father in cognitive, academic, and intellectual development. In M. E. Lamb (Ed.) the role of the father in child development. New York: Wiley.

Reuter, M. W., & Biller, H. B. (1973). Perceived paternal nurturance-availability and personality adjustment among college males. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 40, 339-342.

Rexford, E. N. (1964). Antisocial young children and their families. In M. R. Haworth (Ed.)., Child Psychotherapy. New York :Basic Books.

Rogers, W. B., & Long, J. M. (1958). Male models and sexual . identification: A case from the Out Island Bahamas. Human Organization, 27, 326-331.

Rohrer, H. H., & Edmonson, M. S. (1960). The eighth generation. New York: Harper.

Roman. M, & Haddad, W. (1978). The disposable parent. New York: Holt. Rinehart. & Winston.

Rosenberg, M. (1965). Social and the adolescent self-image. Princeton : Princeton University Press.

Rosenthal, K.. & Keshet, H. F. (1981). Fathers without partners: A study of fathers and the family after marital separation. Totowa, N. J., : Rowman & Littlefield.

Rubenstein, C. (1980). The children of divorce as adults. Psychology Today, 14,74-75.

Rutter, M. (1971). Parent-child separation : Psychological effects on children. Journal of Child Psychology and Psychiatry, 12, 233-260.

Santrock., J. W. (1970). Paternal absence, sex-typing, and identification. Developmental Psychology, 2, 264-272 (a).

Santrock, J. W. (1970). Influence of onset and type of paternal absence on the first four Eriksonian developmental crises. Developmental Psychology, 3,273-274 (b).

Santrock, J. W. (1972). Relation of type and onset of father-absence to cognitive development. Child Development, 43, 455-469.

Santrock, J. W. (1975). Father absence, perceived maternal behavior, and moral development in boys. Child Development, 46, 753-757.

Santrock, J. W. (1977). Effects of father absence on sex-typed behaviors in male children :Reason for the absence and age of onset of the absence. Journal of Genetic Psychology, 130,3-10.

Santrock, J. W., & Tracy, R. L. (1968). Effects of children's family structure status on the development of stereotypes by teachers. Journal of Educational Psychology, 70, 754-757.

Santrock. .J. W. . & Warshak. R. A. (1979). Father custody and soical development in boys and girls. Journal of Social Issues, 35. 112-125.

Salltrock. .I. W.. & Wohlford. P. (1970). Effects of father absence: Influences of reason for and onset of absence. proceedings of the 78th Annual Convention of the American Psychological Association, 5, 265-266.

Schlesinger, B. (1966). The one-parent family: An overview. Family Life Coordinator, 15, 133-137.

Sears, P. S. (1951). Doll-play aggression in normal young children: Influence of sex age, sibling status, father's absence. Psychological Monographs, 65 (Whole No.6).

Sears, R. R., Pintler, M. H., & Sears, P. S. (1946). Effect of father-separating on pre-school children's doll play aggression. Child Development, 17, 219-243.

Seward G. H. (1945). Cultural conflict and the feminine role : An experimental study. Journal of Social Psychology, 22,177-194.

Sexton, P C. (1969). The feminized male: Classrooms, white collars, and the decline of manliness. New York :Random House.

Shinn, M. (1978). Father absence and children's cognitive development. Psychological Bulletin, 85, 295-324.

Siegman, A. W. (1966). Father-absence during childhood and antisocial behavior. Journal of Abnormal Psychology, 71, 71-74.

Stanfield R. E. (1966). The interaction of family variables and gang variables in the etiology of delinquency. Social Problems, 13, 411-417.

Stendler, C. B. (1952). Critical periods in socialization and overdependence. Child Development, 23, 3-12.

StendleL C B. (1954). Possible causes of overdependence in young children Child Development, 25. 125-146.

Stephens, W. N. (1961). Judgments by social workers on boys and mothers in fatherless families. Journal of Genetic Psychology, 99, 59-64.

Stephens, W.N (1962). The oedipus complex: Cross-cultural evidence. Glencoe, III.: Free Press.

Stolz, L. M., et al. (1954). Father relations of war-born children. Stanford: Stanford University Press.

Suedfiled, P. (1967). Paternal absence and overseas success of Peace Corps volunteers. Journal of Consulting Psychology, 31, 424-425.

Sutton-Smith, B., Rosenberger, B. G., & Landy, F. (1968). Father absence effects in families of different sibling compositions. Child Development, 38, 1213-1221.

Sutherland, H. E. G. (1930). The relationship between IQ and size of family in the case of fatherless children. Journal of Genetic Psychology, 38,161-170.

Tasch, R. J. (1952). The role of the father in the family. Journal of Experimental Education, 20, 319-361.

Tiller, P.O. (1958). Father-absence and personality development of children in sailor families. Nor disk Psychology's Monographs Series, 9, 1-48.

Tiller, P. S. (1961). Father separation and adolescence. Oslo, Norway: Institute for Social Research.

Toby, J. (1957). The differential impact of family disorganization. American Sociological Review, 22, 505-512.

Travis J. (1933). Precipitating factors in manic-depressive psychoses. Psychiatric Quarterly, 8,411-418.

Trenaman, J. (1952). ut of step. London: Methuen.

Trunell T. L. (1968). The absent father's children's emotional disturbances. Archives of General Psychiatry, 19.180-188.

Wahl C. W. (1954). Antecedent factors in family histories of 392 schizophrenics. American Journal of Psychiatry, 110, 668-676.

Wahl, C. W. (1956). Some antecedent factors in the family histories of 568 male schizophrenics of the U.S. Navy. American Journal of Psychiatry, 113, 201-210.

Wallerstein, J. S., & Kelly, J. B. (1974). The effects of parental divorce : the adolescent experience. In E. J. Anthony & C. Koupernick (Eds.) the child in his family: Children at psychiatric risk, vol. 3. New York :Wiley.

Wallerstein J. S., & Kelly, J. B. (1975). The effects of parental divorce : Experiences of the preschool child. Journal of the American Academy of Child Psychiatry, 14, 600-616.

Wallertein J. S., & Kelly, J. B. (1976). The effects of parental divorce :Experiences of the child in later latency. American Journal of Orthopsychiatry, 46, 256-269.

Wallerstein, J. S., & Kelly, J. B. (1977). Divorce counseling :A community service for families in the midst of divorce. American Journal of Orthopsychiatry, 47,4-22.

Wallerstein, J. S., & Kelly, J. B. (1980a). Surviving the breakup: How children actually cope with divorce. New York :Basic Books.

Wallerstein, J. S., & Kelly, J. B. (1980). California's children of divorce. Psychology Today, 14, 67-76 (b).

Walters, J. (Ed.) , (1976). Fatherhood. Family Coordinator, 25, 335-520 (Special issue.).

Weiss. R. S., (1975). Marital separation. New York : Basic Books.

West. D. J. (1967). Homosexuality. Chicago :Aldine.

White. B. (1959). The relationship of self-concept and parental identification to women's vocational interests. Journal of Consulting Psychology, 6, 202-206.

Whiting, J. W. M., Kluckhohn, R. & Anthony, A. (1988). The function of male initiation ceremonies at puberty. In E. E. Maccoby, T. M. Newcomb, & E. L. Hartley (Eds.) Readings in Social psychology. New York: Holt.

Winch, R. F. (1949). The relation between loss of a parent and progress in courtship. Journal of Social Psychology, 29, 51-56.

Winch, R. F. (1950). Some data bearing on the Oedipus hypothesis. Journal of Abnormal and Social Psychology, 45, 481-489.

Wohlford, P., & Lieberman, D. (1970). Effects of father absence on personal time, field independence, and anxiety. proceedings of the 78th Annual Convention of the American Psychological Association, 5, 263-264.

Wohlford, P., Santrock J. W., Berger, S. E., & Lieberman. D. (1971). Older brother influence . on sex-typed , aggressive , and dependent behavior in father absent children. Developmental Psychology, 4, 124-134.

Wood, H. P., & Duffy, E. L., (1966). Psychological factors in alcoholic women. American Journal of Psychiatry, 123, 341-345.

Wylie, H. L., & Delgado, R. A. (1959). Apattem of mother-son relationship involving the absence of the father. American Journal of Orthopsychiatry, 29, 644-649.

* * *